# العلاقات الصحيحة



## الأساس الكتابى لتكوين وإصلاح العلاقات

تأليف
توم مارشال

# العلاقات الصحيحة

# Right Relationships

## الأساس الكتابي لتكوين وإصلاح العلاقات

تأليف: توم مارشال

ترجمة: جوزيف لويز



طبعة يونيو ١٩٩٨

"العلاقات الصحيحة"

تأليف: توم مارشال

الناشر للنسخة العربية:

مكتبة المنار

١٧ ش مراد الشريعي –سانت فاتيما

مصر الجديدة – ج.م.ع

تليفون: ٠٢/٢٤٩٥٠٣٠

فاكس: ٠٢/٣٥٣٦٣٧٧



رقم الإيداع بدار الكتب: ٨٦٦٠ / ٩٨

الرقم الـدولي:

**Right Relationship**

Author: Tom Marshal

Original Publisher: Sovereign world international Book Chichester-England

Publisher of the Arabic Edition:
Lighthouse Book Center
17, Murad El Sherei Str. Saint Fatima
Heliopolis - Egypt
Tel.: 202/2495030
Fax: 202/3536377



Cover Designed by:
Anne-Lise SABER

ISBN: 977 - 5674 - 18 - 2

# مقدمة

هذا كتاب عن العلاقات. ليس عن نوع معين من العلاقات مثل الزواج أو العمل أو حياة الكنيسة، بل عن العلاقات بصورة عامة، ماهي، كيف تعمل، كيف تصير خاطئة والأهم جداً كيف يمكن إصلاحها مرة ثانية.

إننا بحاجة إلى كتاب مثل هذا لعدة أسباب. أحد هذه الأسباب هو أنه إذا لم نفهم كيف صمم الله العلاقات كي تكون فعالة أساساً سنظل في مرحلة التجربة وملاحظة النتائج أو تتبع طرق نقلد فيها غيرنا في التعامل، وهي أكثر طرقنا شيوعاً في اكتشاف كيفية القيام بهذا الأمر. وهذا هو الأسلوب الذي من خلاله اكتسب معظمنا المهارات العلاقية التي نمتلكها، لكن حتى إذا كانت هذه المهارات تعمل بصورة جيدة فهناك الكثير الذي يجب قوله ويستحق اقتطاع وقت بسيط من حياتنا للحصول على تدرب أكثر احترافاً. فهذا يقودنا إلى تحسين أدائنا بلا حدود.

السبب الثاني أكثر أهمية ما لم ندرك أنه مقصود بالعلاقات أن تؤدي دورها بفاعلية وما الذي يلزم للمحافظة على نموها، قد نصل إلى نقطة انهيار العلاقة ونحن لا ندري مطلقاً ما الذي قادنا إلى هذه النقطة المأساوية. من المعتاد جداً بالنسبة للأشخاص الذين يواجهون علاقة يرونها تنهار أمام أعينهم أن يكون هذا بالنسبة لتفكيرهم لغزاً أو معضلة مستعصية على الفهم. "كيف يحدث أن نصل بأنفسنا إلى فوضى مثل هذه؟" أو "لقد بدأنا ونحن نحب بعضنا البعض حقاً، والآن ينتهي بنا المطاف عند هذا النزاع المتشابك؟" وفي النهاية عندما نكون في هذه الحالة من الحيرة والارتباك نكون في موضع من الصعب جداً أن ندرك فيه ما الذي علينا أن نفعله لإعادة هذه العلاقة إلى مسارها الطبيعي ثانية.

لكن يجب أن أعترف أن هذا الكتاب قد كتب نتيجة صراع، بل وألم لإدراكي أن المسيحيين بصورة عامة لديهم مشاكل في علاقاتهم بنفس القدر الذي لغير المسيحيين تماماً. وفوق ذلك، على الرغم من افتراض أننا خبراء في تفهم وتغير الطبيعة البشرية، فسجلنا الخاص بإصلاح حال العلاقات المتوترة وإعادة الأمور إلى نصابها مع أولئك الذين يعانون من

تفسخ للعلاقات، لا يشير هذا السجل إلى ما يعزز ذلك الافتراض.

والحق يقال، إن ما تحقق على هذا الصعيد أفضل قليلاً من النتائج التي تحققت بواسطة المستشارين غير الدينيين، لكن ليس أي منهما حافلاً بالإنجازات للدرجة التي تحفز على التحمس له بصورة قوية.

عندما عدت إلى الأساسيات لأسأل الأسئلة الأساسية التي كان يجب أن أسألها في المقام الأول، وأن أطلبها من "الكتاب" الذي وضعه الخالق بذاته، بدأت أرى نوراً عند نهاية النفق المظلم. واكتشفت أن الكلمة المقدسة لا تخاطب فقط طبيعة العلاقات والعوامل الضرورية لجعلها تعمل بفاعلية، فهي تكشف عن المحرك المذهل في اتجاه إعادة العلاقات لوضعها الصحيح بطريقة أعطتني رجاءً أكبر مما اعتقدت أنه متاح منذ عدة سنوات مضت. وقد برهنت الخبرة، بالنسبة لي على الأقل، أن هذا الرجاء لم يكن واهياً. إني أعيش اليوم توقعاً متحفزاً أن تكون هناك أموراً جديدة أخرى لفهمها ووضعها موضع التنفيذ.

## العلاقات،(الفئة المركزية)

من الصعب حقاً المبالغة في أهمية موضوع العلاقات. وأنا الآن أدرك أنني قمت لوقت طويل بمعالجة الأمر كموضوع هامشي بعض الشيء. وكانت العلاقات موضوع على هامش حياتي في الوقت الذي كانت حياتي تتأثر بحياة الآخرين أو تتفاعل معها. والآن أرى أن العلاقات هي العنصر المحوري لوجودنا ذاته ككائنات بشرية. إننا نقضي حياتنا وسط شبكة ملموسة من العلاقات ولو أننا قطعنا كل هذه العلاقات سنموت. بأقل جهد يمكن للشخص العادي أن يتحدث عن مابين اثنى عشر وعشرين نوعاً مختلفاً من العلاقات التي يتعرض لها في ساعات يوم واحد. ومع ذلك نخصص وقتاً ضئيلاً للغاية لفحص ومراجعة المواد الأولية التي تتكون منها هذه التعاملات المتبادلة.

لعل هذا هو أحد تعليلات وأنها تسبب لنا الكثير من المتاعب، لأن الحقيقة هي أن معظم مشاكلنا تنبع أساساً من صعوبات في العلاقات. من مشاكل زوجية وعائلية وفي التواصل والعمل، ومشاكل اجتماعية ودينية وعرقية ومشاكل خاصة

بالنزاع في مجال الصناعة والتوترات السياسية والدولية، وكلها أمور تصب في خانة العلاقات غير الفعالة. إن القوة الدافعة لكل إغراء والتأثير الأول لكل الخطايا هو تحطيم العلاقات. والنتيجة النهائية هي ما يسميه علم النفس بالتنافر والتباعد - ويسميه الكتاب المقدس الاغتراب أو الانفصال عن الله، وعن الآخرين وعن العالم، وعدم القدرة على الاختيار والتفاعل من خلال العلاقات. لقد آن الآوان منذ وقت بعيد كي نفكر بجدية بخصوص هذا الموضوع برمته، وإني أقترح أن نبدأ بكل من تشريح العلاقات واكتشاف وتصنيف الأجزاء المريضة فيها. خلاف ذلك، فأفضل النوايا الحسنة في العالم لن تجدي أكثر مما يجدي طبيب يحاول أن يجبر ساقاً مكسورة أو يشخص مرضاً ما بدون حتى دراسة علم وظائف أعضاء الجسم البشري.

إن تفهمنا لموضوع العلاقات يصطبغ بأهمية أكثر لأنه يؤثر على اختبارنا لله.

كان اكتشافاً قلب حياتي رأساً على عقب عندما أدركت منذ سنوات أننا نتعامل مع الله بنفس الأسلوب الذي نتعامل به مع الآخرين. بمعنى آخر، نحن نستخدم نفس

صفاتنا في كلا الاتجاهين. هناك أشخاص كثيرون ليست لهم علاقة وثيقة مع الله، أو لا يفهمون حقاً كيف تكون لهم علاقة مع الله لأنهم يواجهون صعوبة في التعامل ببساطة أو على الإطلاق لأنهم لا يعرفون كيف يفعلون ذلك. وهو أمر محزن، فلغة الكنيسة تصبغ بغموض شديد كل ما يتعلق بمعرفة الله حتى أنها تبدو اختباراً غامضاً وغريباً بعض الشيء حتى أن قلة مكرسة دينياً هي التي تكتشف كنه هذه العلاقة فقط.

والحقيقة هي أنها تحتل جوهر وقلب الإعلان الكتابي بأكمله. الحياة والموت مسألة علاقات؛ إذا كانت لي علاقة مع الله، مصدر الحياة، فأنا حي؛ إذا كنت منفصلاً عن الله مصدر الحياة فأنا ميت. قد أتحرك وأضحك وآكل وأصارع وأنام، لكني ميت. فالأمر برمته يعتمد على علاقتي معه.

هذا هو سبب أن "البر" أيضاً تعبير مبني على العلاقات في جوهره، فهو يعني أن تكون على علاقة صحيحة، أو وفقاً للتعبير الإنجليزي الكلاسيكي "تكون في الجانب الصواب" مع الله.

كنت أعلم على الدوام متى أكون على الجانب الخطأ في حياتي. نادراً ما تمكنت من الصمود أكثر من ساعة واحدة ثم كان يتعين عليّ أن أمضي وأصحح الوضع. حتى "خوف الرب" في العهد القديم يقدم مفهوماً جوهرياً للعلاقات. فبالنسبة للعبراني القديم، خوف الرب يعني حفظ وصاياه، والسير في طرقه وسماع صوته والتمسك به وحبه وخدمته[1] فلا عجب أن يصير خوف الرب هو رأس الحكمة أو بدايتها والمبدأ الأول في كل معرفة.

ليس هذا فقط بل علاقتنا مع الله وعلاقتنا مع بعضنا البعض متشابهة في طبيعتها بصورة جوهرية. ليست متطابقة تماماً، لأن هناك عناصر في علاقتنا مع الله (العبادة مثلاً)، قاصرة عليه فقط وليس لها مكان في العلاقات البشرية. لكن خلاف ذلك فهي من نفس النوع أساساً. وهذا سبب أننا نلاحظ في بعض الأحيان أن العديد من ترانيم العبادة التي نرفعها للمسيح من الممكن أن تصير، مع إضافة بعض التعديلات الطفيفة للكلمات، أغاني حب يمكننا أن نشدو بها لزوجاتنا أو أزواجنا أو أحبائنا. وهذا هو السبب الذي لأجله

---

[1] تثنية ١٠ : ١٢، ١٣، ٢٠، تثنية ١٣ : ٤

أيضاً يستطيع يوحنا أن يقول في أحد مواضع رسالته إننا نعرف أننا نحب الله لأننا نحب إخوتنا، وفي موضع آخر يستطيع أن يقول إننا نعرف أننا نحب إخوتنا لأننا نحب الله.[٢] دعونا ننظر إذاً إلى الطبيعة الجوهرية لهذه التفاعلات التي تقترب جداً من جوهر بشريتنا.

[٢] ١يو ٤: ١٢، ٥: ٢

## الفصل الأول

# العلاقات، ما هي بصورة عامة؟

في كل يوم من أيام حياتنا نشترك في احتكاكات وتعاملات مع غيرنا. بعض هذه التعاملات تأتي في فئة العلاقات الشخصية لكنها أنواع مختلفة تماماً عن بعضها. البعض، كما في علاقات الزواج أو الأسرة يكون خاصاً جداً وقاصراً على أفراد بعينهم، والبعض الآخر مثل عضوية نوادي رياضية أو كنائس أو أحزاب سياسية يكون عاماً وشاملاً. بعض العلاقات ممتد وباق ومن المعتاد ممارسته، مثل العلاقات مع زملاء العمل، أما غيره فهو غير منتظم ويتم على فترات متقطعة مثل العلاقة بين الطبيب والمريض أو البائع والمشتري. لكن ما هي الأرضية المشتركة التي تبرر تصنيف كل هذه العلاقات كعلاقات شخصية؟ التعريف البسيط التالي سينطبق على معظم علاقتنا ويعبر عن طبيعتها الجوهرية.

"العلاقة هي مشاركة حياتية بين شخصين أو أكثر".

لاحظ أننا نقصر تعريفنا على العلاقات بين البشر. من الواضح

أن هناك أنواعاً أخرى من العلاقات، مثل تلك التي بين الأفراد والحيوانات أو بينهم وبين البيئة المحيطة، لكن مثل هذا النوع من العلاقات يقع خارج نطاق دراستنا هذه.

***هناك عدة معاني ضمنية هامة تبرز من بين طيات تعريفنا هذا:***

**١ـ التبادلية**

كي توجد علاقة بين شخصين، يجب أن يساهم كل منهما أو يقدم شيئاً ما للتعامل المستمر بين الطرفين. لا يمكنك أن تكوّن علاقة كاملة من جانب واحد أو من طرف واحد، فكل من الطرفين يجب أن يشارك بطريقة ما. أحد أفراد جماعة المعجبين بنجمة سينمائية معينة لابد أن يعرف كل شيء عنها، ويتعرف على أدق التفاصيل الخاصة بها، لكن إذا كان هذا الشخص مجهولاً تماماً لدى تلك الشخصية التي يتعبد لها، فلا توجد إذا علاقة بينه وبينها على الرغم مما يقوم به من نشاط في سبيلها.

إن مساهمة كل طرف في علاقة ما لا يجب أن تكون من نفس النوع أو بنفس الدرجة. في العمل يساهم العامل بوقته، ومهارته ومجهوداته؛ ويساهم صاحب العمل بالمال

وتوجيه الإمكانيات المتوافرة، وهي علاقة قائمة بينهما. يساهم المعلم بمعرفته وخبرته وحماسته للموضوع، ويساهم الطلبة بالانتباه والأسئلة والمجهود ونتائج الامتحان، هناك علاقة بين المدرس والفصل. قد يبدو في بعض الأحيان أن أحد الطرفين هو الذي يقدم كل العطاء، مثل الأم مع طفلها الوليد، لكن الطفل الوليد له دوره في المساهمة أيضاً في العلاقة، كما تعترف بذلك كل أم.

للتبادلية معاني ضمنية أخرى أيضاً. إذا كان المطلوب لعلاقة ما أن تنمو وتتطور، فمسئولية الوصول إلى هذه النتيجة تقع على عاتق كلا الطرفين. إذا تحطمت علاقة ما يمكنك إلقاء المسئولية على حدوث فشل ما من جانب كلا الطرفين، وإذا كان يجب إعادة علاقة محطمة إلى وصفها الأول، فكلا الطرفين يجب أن يتقبل الالتزام المتبادل بالعمل على الوصول إلى هذا الهدف. لا تعيش وتستمر العلاقة بواسطة طرف واحد مطلقاً، ولا تتحطم في الأغلب بواسطة طرف واحد، ولا يمكن علاجها وإعادتها بواسطة طرف واحد بكل تأكيد.

### ٢ـ المشاركة في الحياة

عندما نبدأ في النظر إلى هذا الموضوع فعلياً وما يحتويه

نجد أنفسنا في منطقة شديدة الحساسية فعلاً. ما الذي يتكون منه هذا الأمر؟ إنه في الأغلب عبارة عن سلوكيات أو تفاعلات بينية خارجية... أم أن هناك شيء آخر؟

تذهب إلى متجر ويقوم البائع بتغليف مشترياتك ويأخذ منك النقود ويقول لك "شكراً" بطريقة آلية تجعل الأمر يشبه الذهاب إلى ماكينة بيع آلية. ثم تذهب إلى متجر آخر ويقوم البائع بتغليف مشترياتك ويأخذ منك النقود ويقول لك "شكراً". فتشعر في هذا المتجر أنك قوبلت بالترحيب والتقدير والإعجاب؛ وتشعر أن ما اشتريته يستحق عناء يوم عمل كامل. أنا أضمن لك أن هذا المتجر هو الذي سترغب أن تعاود زيارته ثانية. ما الفرق؟ هنا بائع يمارس مهامه، وهناك آخر يقوم بنفس المهمة. لكن ماذا يعني هذا؟

الحقيقة هي أننا أرواح متجسدة والروح المتجسدة قد تكون متفهمة للأمر برمته بصورة أفضل. إن جوهرنا الداخلي هو روح. الجسد بدون روح ميت. مجرد جثة، يقول لنا يعقوب هذه الكلمات في رسالته[٣] لكن لأننا روح، فنحن نحيا انطلاقاً من هذه الحقيقة. فمثلاً، ألا تتذكر آخر مرة تحدثت

[٣] يعقوب ٢ : ٢٦

فيها لشخص وكانت من المرات التي تطابق فيها كلامكما فعلاً؟ كانت ردود الأفعال مطابقة، كنتما على نفس الموجة، مهما كانت الملابسات التي ستحاول أن تشرحها. هل تذكر ما الذي شعرت به بعد ذلك؟ شعرت أنك حي، مبتهج، مشبع بصورة أو بأخرى. الذي حدث هو أنك تلامست من روح ذلك الشخص الآخر. روح تعيش خارج النطاق الجسدي. أتذكر مرة كنت تتحدث فيها مع شخص ما وكأن هناك جداراً زجاجياً غير مرئي يفصل بينكما. كل ما فعلته هو أنك غيّرت نوعية الكلمات أو تفاهات الحديث أو المجادلات. ما الذي شعرت به بعد ذلك؟ شعرت أنك، مشدود، خارج الفورمة. ما حدث هو أنك وصلت إلى روح ووجدت أنها أحاطت بك.

تشمل المشاركة في الحياة التفاعل البيني للروح. يقوم البعض بذلك بشكل طيب ومن الطبيعي أن تكون علاقاتهم دائماً مفعمة بالحياة وتدل عليهم.بينما يقوم البعض الآخر بذلك قليلاً، أو كما كان الحال بالنسبة لي حتى منتصف العمر، لم أكن أعرف كيف يتحقق ذلك على الإطلاق. وهم يشتاقون بعمق لعلاقات تعني شيئاً بالنسبة لهم لكنهم بصورة

أو بأخرى لا يعلمون مطلقاً كيف يفعلون ذلك، وهم لا يعلمون سبب ذلك.

مثل هؤلاء لم يتعلموا مطلقاً كيف يصلون للآخرين بأرواحهم ويشاركون بما في داخلهم مع غيرهم. إنها ليست مسألة شخصية أو طبع، بل شخص انبساطي في مواجهة شخص انطوائي. فالانبساطي قد يهلك بسبب الوحدة الداخلية على الرغم من كل صخبه وأحاديثه لأنه لا يستطيع الوصول إلى الأشخاص الآخرين ولا يستطيعون أن يصلوا إليه. فالشخص الحقيقي حبيس هذه الصورة الخارجية أو مختبيء خلف الدور الذي يلعبه الشخص الخارجي. قد ينسل الشخص المنطوي بهدوء إلى الصحبة بدون أن يلحظه أحد لكنه أول من يتحدث إليه ينجذب إليه بالدرجة التي تجعله يرغب في احتكار كل وقت ذلك المنطوي لأنه تعثر في شخص غير زائف الشخصية مما يدفع كل من يتعامل معه لأن يكون على حقيقته أيضاً. سنعود إلى هذه الجزئية عدة مرات على امتداد دراستنا هذه.

## ٣ـ كيـان ثـالث

"تعبير كيان" هذا ليس بالكلمة المثلي للاستخدام هنا لكن تسميته "عنصر" أو "معامل" لا ينطبق عليه إلا بصعوبة. النقطة هنا هي أن العلاقة عبارة عن كيان أو واقع منفصل في حد ذاته، بعيداً عن الأشخاص الذين يشكلون أطرافها. في الزواج يكون كل من الزوج والزوجة كياناً منفصلاً. وهناك علاقة الزوج والزوجة ككيان ثالث. هناك صاحب عمل وموظف، وهناك أيضاً العلاقة بين صاحب العمل والموظف. وفي مجال الأعمال يمكن التعرف على ذلك بصورة واضحة. يتم تعريف علاقة العمل ووصفها بتعبيرات تعاقدية، مثل شروط التوظيف، والأجور والحوافز، وتوصيف مهام الوظيفة وهكذا. لكن العلاقة تشمل أيضاً أشياء مثل أساليب الإدارة واتجاهات الإدارة والعمالة والعلاقات بين كل هذا.

هذا راجع إلى أن العلاقة واقع مستقل بذاته مما يجعلك تلاحظ عادة تناقضاً مذهلاً بين كينونة أطراف العلاقة في حد ذواتهم وكينونة العلاقة التي تكونت بينهم. لقد رأيت شخصين عاديين جداً، وإمكانياتهما ومواهبهما الفردية في منتهى التواضع ودوافعهما نحو تحسين مظهرهما

وشخصيتيهما ضعيفة للغاية، لكن زواجهما كان وضاء. رأيت حالات أخرى كان طرفي العلاقة يمتلكان فردياً شخصيات موهوبة بصورة غير طبيعية ولهما سحرهما الشخصي ورقتهما وجاذبيتهما، لكن زواجهما كان كارثة تسير على قدمين. الزوجان في الحالة الأولى وضعا كل إمكانياتهما المتواضعة في علاقتهما، بينما في الحالة الثانية مضى وقت منذ توقفا عن وضع ما لديهما بالكامل في تنمية علاقتهما.

البشر لا يفهم بصورة عامة هذا المبدأ الذي يبدو واضحاً أو لا يلتفتون لتطبيقاته. كم من زوجة بدلاً من العمل على تنمية علاقتها الزوجية مع رجلها تعمل على توجيه زوجها، محاولة أن تعدل من أساسيات شخصيته إذا استطاعت. ويفعل الأزواج نفس الشيء. تبدد اتحادات العمال وأصحاب العمل ساعات لا حصر لها وأموالاً طائلة في ممارسات عقيمة، فأصحاب العمل يحاولون تغيير النقابيين إلى مناصرين للسوق المفتوحة، ويحاول النقابيون تحويل أصحاب العمل إلى اشتراكيين فابيين. في نفس الوقت نجد أن جوهر الموضوع ذاته، وهو العلاقة بين الطرفين تتراكم عليها الهزائم والأحزان التي لا حل لها والتي في بعض الأحيان تضغط لتمزيق هذا

الأمر برمتـه أو في أفضـل الحـالات تجعـل هـذه العلاقـة غـير مفيـدة ومخيبـة لتوقعـات الطرفـين.

## علاقتنا مع الله

كل مـا سبق أن ذكرنـاه حتـى الآن، ومعظـم مـا سيلي هـذه النقطـة، ينطبـق أيضـاً علـى علاقتنـا مـع الله. بـل ومـن الممكـن أن ينطبـق مبدئيـاً علـى علاقتنـا معـه ثـم ينطبـق بعـد ذلـك علـى علاقتنـا بعضنـا البعـض.

إن مجـال التبادليـة هنـا يعـني أنـه علـى الرغـم مـن رغبـة الله بكـل تـأكيد أن تكـون هنـاك علاقـة نشـطة معنـا وقـد قـام بكـل مـا هـو مطلـوب لتحقيـق ذلـك، سـيتم الأمـر كلـه بشـرط أن نكـون مستعدين للدخـول في هـذه العلاقـة بفاعليـة. أكـثر مـن مـرة قـال الله لي "لا يمكنـني أن أفعـل أكـثر مـن هـذا معـك وأن آخـذك إلى أبعد مـن ذلـك حتـى تفعـل أنـت شـيئاً بخصـوص تطويـر وتحسـين علاقتـك الشـخصية معـي".

إن عطـاء الله غـير محـدود في نعمتـه ومـداه، لكـن نوعيـة العلاقـة بيننـا تعتمـد أيضـاً علـى مـا نسـاهم بـه في هـذه العلاقـة،

وما الذي علينا أن نساهم به، وهو ما تستلزمه أية علاقة بصورة جوهرية، وهذا الشيء هو "أنفسنا". قد أقضي ساعات في دراسة الكتاب المقدس والصلاة والخدمة المسيحية من مختلف الأنواع لكن إذا لم أكن موجوداً شخصياً في هذا الأمر، إذا لم تكن روحي مشتركة في الأمر فلن تكون هناك علاقة حقيقية مع الله وسريعاً ما سأصاب بالملل مما سيبدو لي ممارسات لا معنى لها.

لكن إذا كان وضع ذاتي في علاقة بشرية يعني أني ألامس روحاً بشرية أخرى، ويصبح عملي هذا مثيراً ودافعاً للحياة بصورة كبيرة، ما الذي يحدث عندما تتلامس روحي مع روح الله القدوس؟ إنها حياة أبدية، إنها ينبوع مياه حية، إنها اتصال كامل بمصدر الطاقة الرئيسي وليس بالأمر شبه خطأ!

كيف نفعل ذلك؟ ببساطة، بتقديم أنفسنا من كل القلب، والتلامس مع الله بأرواحنا وبناء علاقة حقيقية معه بإرادتنا وفكرنا بصورة مستمرة. نقترب منه في قلوبنا، ليكون حاضراً في صلواتنا ويكون حضوره معنا عملياً. الشيء المثير للدهشة هو أن الله يفعل نفس هذه الأمور تجاهنا أيضاً.

تأمل في هذا. ألا تلاحظ أنه على الرغم من وجود ستة بلايين شخص في العالم اليوم إلاّ أنه عندما تطلب الله لا يقول لك مطلقاً "انتظر دقيقة، فأنا الآن مشغول جداً". ولا يمنحك جزءاً من ستة بلايين جزء من اهتمامه. فهو بصورة لا تصدق يمنحك اهتمامه الكلي غير المجزأ. إنه أمر مدهش. في الوقت الذي يمنحني أنا وملايين آخرين اهتمامه الكلي غير المجزأ ينال الجميع نفس هذا الاهتمام في نفس الوقت. وهذا راجع إلى كونه غير محدود.

إذاً، ما الذي نعمل على تحقيقه في علاقتنا مع الله؟ لقد حصلت على العلاقة فعلاً، وعليك أن تقدم ما تقدمه ليس لله ذاته، بل لنوعية تعاملنا معه، ومدى إخلاص وتكامل وأمانة هذه العلاقة وخروجها من القلب حقاً. كيف نفعل ذلك؟ هذا ما سيتضح أكثر كلما تقدمنا في هذا الكتاب.

## أصل العلاقات

من المهم جداً فهم أن العلاقات تشكل جزءاً جوهرياً من الإنسان، المخلوق على صورة الله. لعلها، كما يقترح "لورنس

كراب"، تمثل جوهر شخصية الإنسان كصورة الله، حيث إن العلاقات موجودة ضمن كيان الله منذ الأزل مهما تكن الصورة التي تنظر بها إلى العلاقات، فمن الواضح أن العلاقات أمر ممكن وطبيعي في حياة الإنسان لأنها جزء من تصميم الله لحياته منذ البدء. دعونا إذاً نلقي نظرة على أنواع العلاقات التي خُلق الإنسان لأجلها.

في الاصحاحين الأولين من سفر التكوين نرى أصل نوعين مختلفين من العلاقات.

وبينهما نجد تعريف كل تنوعيات العلاقات الشخصية التي نختبرها. والنوعان هما:

١ـ علاقات تنفيذية أو تعاونية.

٢ـ علاقات استهلاكية أو اجتماعية.

## علاقات تنفيذية

يسمي (تك ١ : ٢٦ – ٢٨) بصورة عامة "تفويض الخلق، أو تفويض السيادة" الذي يمنحه الله للإنسان فيما يتعلق بباقي الخليقة.

"أثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض".

هذا الأمر والسلطان ممنوحان للإنسان، الذكر والأنثى ونسلها المتكاثر، وللجنس البشري كله. إن العامل كوكيل مفوض من قبل الله على الخليقة يعني تعهد هذه الخليقة بصورة متعاونة بحيث يوحّد الرجال والنساء مجهوداتهم وإمكانياتهم لعمل ما لن يقدر أي منهم على تحقيقه بمفرده مطلقاً. لاحظ أن الأساس في البداية كان هو التعاون وليس التنافس. يمكن تسمية هذا النوع من العلاقة أيضاً "تنفيذية"، وهذا يعني أنها هدف في حد ذاته. قد يدخل أفراد في علاقات تعاونية لتحقيق هدف، أو الحصول على غرض، أو إنهاء مهمة مشتركة، أو الوصول إلى هدف ما.

العلاقة وسيلة لتحقيق هذا الهدف وبدون وجود الهدف أو الغرض لن يكون هناك شيء يجعل البشر يتعاملون معاً. الكثير من علاقاتنا يندرج تحت هذا البند، مثل العلاقة بين صاحب العمل والموظف أو المدرس والتلاميذ أو المورّد والعميل.

قد يكون صحيحاً أن هناك أيضاً جوانب اجتماعية مجزية للعلاقة في حد ذاتها، لكن بدون عمل أو هدف لن يكون في العلاقة ذاتها ما يكفي كي يحافظ على استمراريتها وبقائها.

## علاقات استهلاكية

في (تك ٢ : ١٨) نجد شيئاً مختلفاً تماماً. نظر الله إلى آدم في جنة عدن وقال: "ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره".

لذا من جنب آدم صنع الله له امرأة. وفي صيحة آدم المليئة بالنشوة والجذل "عظم من عظمي ولحم من لحمي" نجد بداية نوع جديد من العلاقة.

"لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً".[٤]

هنا نجد علاقة ليست تعاونية بل اجتماعية، وهي ليست علاقة تنفيذية بل علاقة تكميلية، وهذا معناه أن هذه

---

[٤] تكوين ٢ : ٢٤

العلاقة ليست وسيلة لتحقيق هدف بل أنها هدف في ذاتها. وهذه هي بداية العلاقات التي تُعد "جيدة" في ذاتها، أي أنها لا تحتاج إلى أهداف أو أغراض خارجية لتبرير وجودها. الزواج لا يتم لتحقيق غرض أو هدف خارج نطاق الزواج ذاته، لكنه يهدف إلى تحقيق الزواج ذاته. والزواج ليس حتى لإنجاب الأطفال؛ بل يمكن بالأحرى القول أن الأطفال والعائلة هما بهدف إكمال وتحقيق الزواج. الشيء الذي يجعل الطلاق مأساوياً وكارثة حقيقية هو أن الطلاق يحطم هدفاً صنعه الله. وليس مستغرباً أنه عندما يختفي هذا الهدف أو الغرض، تكون الوسيلة ذاتها موضع تساؤل أيضاً. إذا سقط الزواج على الصخور ما الفائدة من إنجاب أطفال. هناك ارتباط بين اتجاه الإجهاض في مجتمعنا وانهيار كيان الزوجية وهذه الرابطة لم تحظ بالاهتمام الجدير بها. اعلن الحق الكتابي ونظرته للزواج وتابع ما سيحدث بعد ذلك لمعدلات الإجهاض.

هناك بالطبع عدة علاقات "تنفيذية" بصورة بحتة وعلاقات تكميليةً بنفس القدر. حتى العمل له جانب اجتماعي مهم وفي بعض الأحيان يشترك الأصدقاء مع الأسر في دفع العجلة لتنفيذ مهام ومشروعات معينة.

وعلى الرغم من ذلك، فسوء التفاهم أو الفهم المختلف للطبيعة الجوهرية لعلاقة ما، هما أكثر مصدرين معتادين لإثارة المشاكل.

فمثلاً إذا وجدت أن صداقتي تنمو لأنني أمثل دعماً جيداً لمشروع صديقي على مائدة اجتماعات اللجنة، سأشعر أنني أتعرض "لاستغلال". فالصداقة ليس المقصود منها أن تكون وسيلة لتحقيق هدف ولا أقصد هذا بأي مستوى. ومن جهه أخرى إذا اتصل بي أحد البائعين في مكتبي وأخذ يثرثر بخصوص عائلته وما يقوم به في عطلات نهاية الأسبوع سأشعر أيضاً بالتبرم لأنه "يضيع وقتي". فهو يتصل بي لهدف معين وعليه الالتزام به.

لكنني لا أجد غضاضة في أن يطلب أحد الزملاء مساندتي لمشروعه، أو في أن يزورني أحد الأصدقاء في مكتبي لتبادل بعض الأحاديث العابرة. في هذه الحالات تكون طبيعة العلاقة مفهومة ومحترمة من كلا الجانبين ولا يوجد ما يوحي بأنها قد أسيئ استخدامها من جانب أي من الطرفين.

نفس هذا التفريق يستلزم ألا أتوقع تحت أي مسبب أن يعاملني رئيسي في العمل أو مديري كزميل له وأن يكون

حساساً لكل احتياجاتي المتنوعة. يجب أن ألتزم بالبنود العامة التي تحكم العلاقة التي هي علاقة تنفيذية بالدرجة الأولى وألاً أخلط بينها وبين غيرها إذا كان التركيز منصباً على نوعية وإنتاجية هذه العلاقة وليس على كونها تفاعلاً اجتماعياً. الخلط والارتباك بخصوص هذا يمثل عادة قضية واقعية في الأعمال والمشروعات المسيحية أو في إدارة وقيادة الأمور الإدارية في الإرساليات أو هيئات المعونة. العلاقات بين الأفراد في العمل مهمة، ولا غبار عليها، لكني وجدت أن بعض الأشخاص يتوقعون من مديريهم أو مشرفيهم في العمل أن يسددوا احتياجاتهم نحو المشاركة والرعاية والمشورة بل وحتى للتعليم والعبادة وكل هذا داخل إطار العمل اليومي. لكن لا يمثل هذا الهدف الذي لأجله نشأت هذه العلاقة أصلاً. وبقولي هذا أتفق مع الكثير من المشروعات المسيحية التي يوجد بها فصل واضح وصريح بين العلاقات التنفيذية وتلك الاجتماعية. إن وجود إعلان واضح وصريح وعام للقواعد الأساسية من شأنه أن يقي من وقوع الكثير من المشكلات غير الضرورية.

## علاقتنا نحو الله

صُنع الإنسان بادئ ذي بدء بتكوين علاقة مع الله وهناك بالتالي بعض الجوانب في تلك العلاقة لا نظير لها في علاقات الإنسان مع غيره من الكائنات البشرية.

العبادة هي إحدى هذه الجوانب؛ وهدفها الأوحد هو الله وحده، وتقديم عبادة لشخص أو شيء آخر غير الله هو وثنية ويدان لكونه كذلك. إن سمو طاعة الله فوق أية سلطة بشرية أخرى أمر جوهري أيضاً، وعندما تأخذ هذه الطاعة مكانتها الأولى مرة ثانية، نجد باقي علاقتنا الأخرى تأخذ مواقعها الطبيعية تباعاً.

إلاّ أن دوافع ومحركات علاقتنا بالله تماثل في عدة محاور دوافع ومحركات علاقتنا بغيرنا من البشر. أولاً، علاقتنا مع الله هي أول العلاقات التنفيذية على الإطلاق.

إنها علاقة لتحقيق هدف، وهي الهدف الأسمى بين كل الأهداف الأخرى، وهي الشيء الذي تمكن من قلب بولس بإصرار شديد:

"...أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني المسيح أيضاً"*

إن هدف الله من كل الأبدية هو استعلان مملكته، وهو هدف عظيم للدرجة التي قال عنها يسوع أنها تشبه كنزاً مخفياً في حقل. إذا رآه شخص للحظة، سيبيع كل ما يمتلكه كي يحصل على هذا الكنز. إذا فقدنا هذا الهدف فكل ما يمكننا الوصول إليه محدوداً بقدرة ذاتنا الصغيرة التافهة المغرورة وبحدود حياة تمضي كالوميض. إن أعظم أهداف الإنسان تافهة ورخيصة جداً حتى أن الرجال والنساء يتساءلون ما إذا كانت الحياة تستحق المعاناة أو العيش داخل إطار هذه القشرة الرقيقة للحياة السطحية ورفض التفكير أو البحث عن أي شيء أعمق من هذا. أذكر ذات مرة كنت أتحدث فيها مع معلم بارز في نيوزيلاندا، وكان قد تقاعد بعدما وصل أرفع المواقع في مجال تخصصه هذا الذي انتقاه لنفسه، وسألته كيف يستمتع بوقت فراغه الكبير الذي توفر له مؤخراً. لن أنسى مطلقاً النظرة التي بدت على وجهه، وقال لي "توم... الأمر مرعب. أنه مثل الذهاب إلى البنك

* فيلبي ٣ : ١٢

واكتشاف أن كل أموالك هناك قد تحولت إلى رماد". وتوفي في نفس السنة.

لكن عندما نشترك في أهداف الله العظيمة ونرتبط بها، يكون لكل شيء ثقله، ويمتلئ بالقيم والمعاني. وتنكمش المصاعب والعقبات لتصير هوامش مهملة عندما يظهر ملكوت الله في الصورة، ويصير لأصغر شيء أهميته الأبدية إذا كان يتعلق هذا الشيء بذلك الملكوت.

لا تضلوا، الله لا يحتاجنا. فهو كلي السلطان ويمكنه عمل أي شيء يرغب فيه في أي وقت يشاء. والله كلي القدرة، لذا فهو يملك كل القوة على الإطلاق، وهو كلي المعرفة لذا فهو يملك كل المعرفة، وهو أبدي، يسود على كل الزمن. لا يمكنك أن تزيد من قوة الله، ولا أن تفوقه ذكاءً، ولا أن تصمد أمامه وتنجح. لكن هذا السلطان الكامل لا يشبع قلب الله. فالسلطان الذي يشبع قلبه فقط هو سلطان الآب، وأن تتحقق أهدافه بواسطة أبناء وبنات يقومون بذلك، فقط لأنها مشيئة الآب. وهذا يحركنا ويدفعنا طوال حياتنا، والحياة القادمة.

لكن علاقتنا مع الله هي أكثر العلاقات تكاملاً على الإطلاق. إن معرفته هي الهدف الأسمى لكل كينونة. إذا

عرفنا المسيح فقط بهدف الحصول على الفوائد التي يجلبها الخلاص، فنحن لم نعرفه جيداً بعد. قال أحدهم ذات مرة "يسوع المسيح قدوس وجذاب بالدرجة التي إذا رأيناه لأحببناه حتى وإن لم يكن هو فادينا". فهم بولس ذلك أيضاً.

"بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي..."[٦] وهذا يخلق انقلاباً في اتجاهاتنا الشخصية. نصلي - فقط لأجل الصلاة، ونعبد - فقط لأجل عبادة الله، ونخدمه لأجل الفرح الغامر النابع من خدمته، ونقرأ الكتاب المقدس - فقط لأنه كتابه، فقط لأجل فرح معرفته.

مما يثير الدهشة والحيرة أن الله يمنح نفس هذه الصفات الاستهلاكية لعلاقته معنا لأنه يختار أن يكون صديقنا، وبطريقته هذه يجعل تلك العلاقة أكثر العلاقات البشرية الخالية من المنفعة الذاتية على الإطلاق. قال الله "..إبراهيم خليلي." وقال يسوع "أنتم أحبائي..."[٧]. هناك مساواة في الصداقة؛ لا يمكنك أمر أو قيادة صديق بهذا

[٦] فيلبي ٣ : ٨

[٧] إشعياء ٤١ : ٨ ، يوحنا ١٥ : ١٤

الأسلوب، لأنه لعل الله باختياره مثل هذه العلاقة مع كائنات مخلوقة يقدم لنا أعظم أشكال التنازل والاتضاع المثيرة للدهشة والعجب على الإطلاق.

## ما مدى العمق، ما مدى الاتساع؟

هناك فئتان هامتان أخريتان في وصف العلاقات الشخصية:

١- الألفة الحميمة أو القرب. ما مدى العمق الذي ننوي أو نتوقع الوصول إليه في حياة الشخص الآخر في هذه العلاقة؟

٢- المجال أو المدى. ما القدر الذي سنكرسه من حياتنا وسيشارك في هذه العلاقة؟

تتباين العلاقات بصورة واسعة سواء في مستوى الألفة الحميمة أو مدى التفاعل البيني. وفوق ذلك، على الرغم من أن الألفة الحميمة والمدى قد يرتبطان ببعضهما إلاّ أن هذا ليس هو الحال الدائم بالضرورة. قد تحتل علاقة العمل أو المشاركة في مشروع جزء كبير بصورة جوهرية من ساعات يقظتنا اليومية، بل وقد يكون هذا الجزء أكبر مما ينبغي من

حياتنا بعيداً عن العمل، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يحتوي إلا على قدر ضئيل جداً من الألفة الشخصية الحميمة. على الجانب الآخر، قد تشمل جلسة مشورة أو زيارة طبية مستوى عميق جداً من الألفة الحميمة والتقارب لكنها مع ذلك لا تتلامس إلاّ مع نذر يسير من حياتنا وتمتد لبرهة من الوقت لا أكثر.

## الألفة الحميمة

من الممكن أن يكون اختلاف التفاهم والتوقعات بالنسبة لنقطة الألفة الحميمة في موضوع العلاقات مصدراً للقلق مثلها في ذلك مثل أية جوانب أخرى. فمثلاً إذا حاولت أن أصل بعلاقة إلى مستوى من الألفة الحميمة لا يتوقعها الطرف الآخر أو يرغب فيها أو يسمح بها، سأبدو متطفلاً محرجاً وقريباً من الآخر بصورة تثير الضيق وتقض راحته. على الجانب الآخر، إذا كان الشخص الآخر يتوقع الحصول على مشاركة عميقة حميمة في الرغبات والمخاوف والمشاعر لكني لا أتفاعل معه في ذلك، سأبدو محجماً ومتحفظاً وسطحياً.

المقصود من الزواج أن يصير أكثر العلاقات الإنسانية ألفة على الإطلاق، وأن يكون طرفاه قريبين جداً من بعضهما.

في الواقع حتى يمكن وصف علاقة الزواج بأن طرفيها يصيران "جسداً واحداً".[8] لكن من الممكن أن يدخل طرفان في علاقة زواج بأفكار مختلفة عما تحتويه الألفة الحميمة وتكون قدرتاهما على المشاركة بالأمور العميقة التي بقلبيهما مختلفة أيضاً. إذا لم يتم التعبير عن هذه الاختلافات أو تفهمها وإذا لم يسمح بوجودها أصلاً، ستلوح في الأفق بوادر أزمات على وشك الهبوب. ينطبق نفس الشيء على باقي أجزاء الحياة العائلية. عندما يكبر الأطفال، ما المدى الذي يفترض الوالدان التزامهما. سيتوقعان مشاركة هؤلاء المراهقون أو من هم أكبر قليلاً من ذلك في كل المطامح والمخاوف والأفكار والشكوك؟ إلى أي مدى يشاركان الأولاد بآلامهما وإحباطاتهما وآمالهما؟ لا توجد أجابات معلبة أو معدة سلفاً أو محصنة ضد الفشل لمثل هذه المعضلات. يعاني الأطفال عادة بصورة ضخمة في فترة طفولتهم وفي حياتهم اللاحقة نتيجة نقص الألفة الحميمة بينهم وبين والديهم. لكنني عرفت أيضاً أشخاص أصيبوا بجروح عميقة في طفولتهم لأنهم حملوا ثقل مشاكل وثقة أبويهم فيهم بصورة تفوق بكثير قدرتهم على التحمل.

---

[8] تكوين ٢ : ٢٤

المشيرون والخدام والكهنة أيضاً يواجهون مشاكل محتملة تتعلق بالألفة الحميمة مع أولئك الذين يقدمون لهم المشورة. إذا كانت هناك سيدة تفتح أعماقها الدفينة لك اليوم وتتوقع أن يستمر هذا المستوى من الألفة الحميمة معك بينما لا يكون هذا هو ما بداخلك في المقابل، قد تصاب هي بجرح عميق ومهانة إذا قابلتك في السوبر ماركت اليوم التالي ولم تفز منك إلا بابتسامة على وجهك وتلويحة مرحة بيدك. على الجانب الآخر هناك شخص يتوقع أن تنتهي الألفة الحميمة على عتبة غرفة المشورة، وقد يتساءل في الغد عما إذا كان قد أخبرك بأمور أكثر مما يجب عندما تقابله في السوبر ماركت فتغير مسارك لتقف وتثرثر معه قليلاً بدلاً من المرور به سريعاً وتحيته بابتسامة وإشارة باليد.

يتزايد جدا احتمال حدوث مشكلة عندما لا يُطرح للمناقشة أصلاً مستوى الألفة الحميمة المفترض توافرها أو الاتفاق عليها. هناك الكثير الذي يمكن جنيه من وضع قواعد أساسية واضحة عند بداية العلاقة بحيث يتمكن كل من طرفيها فهم ما المتوقع أو المقبول في هذا الإطار. هذا الاحتياج لا يقود إلى تثبيت العلاقة على أرضية متينة. فالعلاقات تموج

بالحركة، وليست ثابتة في إطارها، وهي دائمة التغيير والتبديل، لكن الألفة الحميمة قضية حساسة للدرجة التي لا يجب اعتبارها أمراً مفروغاً منه.

## المدى

تبرز نفس القضايا فيما يتعلق بالمدى المقصود لعلاقة معينة أن تصل إليه. فمثلاً، هل تعني علاقتي بزميل في المهنة أن أكون موطن ثقته فيما يتعلق بكل مشاكله العائلية، أو هل يجب أن أستمع إلى شرح مستفيض متكرر لكيفية تسجيله للنقاط في مباراة للجولف أثناء عطلة نهاية الأسبوع. من الواضح أنه يفترض ذلك، لكن هل أفترض أنا ذلك أيضاً؟ هل يجب أن أبهجه بتحليلي لسيمفونية برامز التي استمعت إليها الليلة الماضية حتى على الرغم من علمي أنه لا يفرق مطلقاً بين النغمات؟ أين تقع الحدود القانونية لمطالبة رئيس العمل لمرؤوسيه بالكذب؟ متى يتوقف عن كونه مشرفاً عطوفاً ومقدراً للظروف ويتحول إلى قائد عسكري مزعج؟ إلى أي مدى ينتظر مني أن أشارك في الحياة الخاصة لرفاقي في الاجتماع؟ هل المنتظر مني أن أكون رهن الإشارة والاستدعاء من جانب هذا

الزوج السكير وتلك الثرثارة المقتحمة على امتداد ساعات الليل أو النهار؟

تبرز الصعاب عادة في الزيجات والمتهم هنا هو الافتراضات التي لم تطرح للنقاش. قد تفترض زوجة مثلاً لأنهما واحد في زواجهما، يجب عليهما أن يتشاركا بكل شيء معاً. لذا عندما يعود زوجها إلى المنزل تقدم له وصفاً تفصيلياً لكل ما مرت به في يومها وكل تصرفات الأطفال المعتادة. وفوق ذلك، فهي تتوقع من زوجها أن يشاركها بكل ما مر به في المصنع في ذلك اليوم. وإذا لم يقم بذلك قد تشعر أنها مطرودة خارج جزء هام من حياة زوجها، أو قد تساورها شكوك متعبة أنه يخفي فعلاً أشياء عنها. أما الزوج على الجانب الآخر فيفترض أن العمل عمل وهو أمر ينتهي تماماً في الخامسة مساءً. وهو لا يرى أي فائدة في جلبه معه إلى المنزل لإفساد الأمسية. لقد عاد إلى المنزل لينسى كل هذا، وبغض النظر عن الدافع لاسترجاع كل ما قام به أثناء اليوم، فهو سيكرر نفس الأمر غداً واليوم الذي يليه. إذا ضغطت زوجته عليه ليقص عليها التفاصيل قد يشعر بالضيق ثم يأخذ في الدفاع عن موقفه، ثم يأتيه شعور بالاحتقار والاستهزاء لأن شكوكها غير

المنطوقة تبـدأ في الظـهور علـى السـطح.

وهـذا ليـس معنـاه أن أحـد المداخـل نحـو مـا يجـب المشـاركة بـه صواب وغـير ذلـك خطـأ، أو حتـى أن أحـد المداخـل أفضـل مـن غـيره، بـل الأمـر عـائد إلى أن لكـل مـن الشـخصين منظـور مختلـف للأمـر لكنـهما لم يطرحـا افتراضاتـهما للمناقشـة مطلقـاً.

## ماذا بخصوص علاقتنا مع الله؟

لا يمكننـا تـرك هـذا الموضـوع بـدون أن نُذكّـر أنفسـنا أن مسـألتي الألفـة الحميمـة والمـدى تنطبقـان بصـورة جوهريـة علـى علاقتنـا بـالله. في الحقيقـة إن علاقتنـا بـالروح القـدس هـي أكـثر العلاقـات ألفـة وحميميـة علـى الإطـلاق. إن أقـرب شـخصين يمكنـهما التشـارك معـاً أو حتـى الدخـول في علاقـة زواج. لكـن علاقـة الـروح القـدس مـع أرواحنـا هـي علاقـة سـكنى متبادلـة أو "كيـان داخـل كيـان"، حيـث أننـا فيـه وهـو فينـا. والـذي يرتبـط بـالرب يكـون روحـاً واحـداً مـع الـرب.[٩] لكـن هـل حـق مثـل هـذا

[٩] ١ كورنثـوس ٦ : ١٧

هو حق فعلاً في اختبارنا الشخصي لله - أم هو أمر قاصر على قلة تعرف الألفة الحقيقية مع الخالق؟ هل يمكننا تنمية هذا؟ وهل هو أمر متاح لنا حقاً؟ دعوني أقول هذا: الألفة الحميمة على أي مستوى أمر صعب النوال ولا يتم بدون ألم. في الحقيقة إن النمو والتطور في أي مستوى يشتملان على ألم ومعاناة. سريعاً ما يتعلم الرياضيون أنه عليهم أن يدفعوا الثمن ويندفعوا عبر مستوى الألم لتطوير أدائهم أو ربح السباق. بنفس الأسلوب يجب علينا دفع الثمن وأن نندفع عبر مستوى الألم إذا كان علينا أن ننمو عاطفياً وروحياً وعقلياً. وهذا أمر غير سهل في التوافق مع أفكارنا الحديثة الرقيقة وإنجيل اليوم الذي ينادي بالشفاء والرخاء والنصرة الدائمة. لكنها حقيقية بالنسبة للحياة وللكلمة المقدسة على الرغم من ذلك. الألم شيء نحاول أن نتجنبه إذا أمكننا ذلك لكننا لا نتجنب ذلك؛ بل على العكس نحن نسكّن ألم الأجساد غير السليمة أو ردود الأفعال العاطفية المشوشة أو الوحدة التي نشعر بها في علاقتنا.

## قوالب بناء العلاقات

نصل الآن إلى العناصر الضرورية لبناء علاقة مع شخص آخر وللمحافظة عليها في الحياة والصحة. يجب وجود

مساهمة متبادلة، لكن نشوء علاقة من تلقاء ذاتها فهذا أمر غير كافي. الشيء نفسه يمكن قوله عن وجود اهتمام مشترك أو هدف واحد. ومع أهميتها، إلا أنها ليست كافية في حد ذاتها لضمان النجاح، واستمرار العلاقة حية.

هناك زيجات عديدة وعلاقات عمل أو تحالفات سياسية تبدأ بكل هذه العناصر لكنها تتلاشى أو تتوقف عن الدوران في المضمار. يجب أن يكون هناك ما هو أكثر من مجرد التوافق أو الأهداف المشتركة.

تتكون كل العلاقات من أي نوع أو صنف من أربعة عناصر أو عوامل أساسية، وهي تمثل قوالب البناء الأساسية. يمكن إدراج أمور أخرى، وقد تكون هامة جداً، لكن هذه العناصر الأربعة جوهرية. إذا أُهمل أي منها أو تأثر بدرجة كبيرة ستتعرض العلاقة لضغوط. وإذا لم تتم معالجة أو تصحيح هذا الخطأ، تبدأ العلاقة في الانهيار.

العوامل أو العناصر الأربعة التي سندرسها هي:

١- المحبة - الشيء الذي يبقى

٢- الثقة - تكلفة الإخلاص

٣- الاحترام أو الإعزاز - الشيء الأكثر تجاهلاً

٤ـ التفهم أو المعرفة ـ الشيء الذي يستغرق أطول وقت.

قد تختلف الأهمية النسبية لهذه العناصر في مختلف العلاقات. يجب أن تكون الثقة هي العنصر السائد في العلاقة بين أفراد الاجتماع والقادة، ويجب أن يسود الاحترام بين الموظفين وصاحب العمل، ويجب أن تكون المحبة هي السائد بين أعضاء الأسرة الواحدة. وعلى الرغم من هذا، فالعناصر الأربعة جميعها جوهرية في كل علاقة ولا يمكن تجاهل أي منها بدون حدوث نتائج خطيرة مترتبة على ذلك. كذلك قد تتباين الطريقة التي يتم التعبير بها عن تلك العناصر. فالحب بين الزوج وزوجته يتم التعبير عنه بصورة مختلفة عن الحب بين الأصدقاء أو الحب بين المعلم وتلاميذه، لكن يجب وجوده في كل علاقة.

فوق كل ذلك، لا يقوم أي عنصر بدور البديل لعنصر آخر. لا يمكنك الاستعاضة عن الفشل في جزئية معينة بتوجيه انتباه أكثر لجزئية أخرى. لا يمكنك قول "أنا لا أثق فيه" لكني مازلت أحبه. فالمحبة لا تعوض نقص الثقة. لا يمكنك قول أنك فقدت احترامك لها لكنك مازلت تتفهمها حقاً. فالتفهم لا يعوض عدم الاحترام. العلاقات مصممة كي تقف

على أربعة أقدام، إذا كان أحدهما ضعيفاً سترتعش العلاقة، وإذا أخفقت قدمان فستتقوض العلاقة بلا شك. لبناء واستمرار علاقة نحن بحاجة إذا إلى معرفة ما يجب علينا فعله في كل من هذه المناطق الأربع. بالإضافة إلى ذلك يجب علينا أن نضع هذه المعرفة موضع التنفيذ بصورة مستمرة وبمثابرة حتى تصير هي أسلوبنا الطبيعي في التعامل.

## الفصل الثاني

# المحبة، الشيء الذي يبقى

نبدأ بمسألة المحبة، ليس لأنها بالضرورة العنصر الأكثر أهمية بل لأن تعودنا الكبير وتركيزنا عليها عادة ما يحشدنا في نهاية المطاف ضد أهميتها الحقيقية.

إننا نرتكب خطأين شائعين وخطيرين في حكمنا على موضع المحبة في العلاقات الشخصية. أولهما أننا لا نعطيها مكاناً على الإطلاق في بعض العلاقات، مثل تلك التي نصادفها في السوق أو في العمل أو التجارة مثلاً، وثانيهما هو أننا نتوقع أن تتحمل المحبة كل الحمل في علاقات أخرى مثل الزواج والأبوة. "إذا كنا فقط نحب بعضنا البعض بدرجة كافية، كل شيء سيسير حسناً". وكما سنرى لا حقاً، فنحن مخطئون في كلا الافتراضين.

قد يكون جزء من المشكلة هو أن كلمة "محبة" في لغتنا صارت كلمة دارجة مستهلكة فقدت في الواقع كل معنى لها. قد أقول مرات عديدة أني "أحب" زوجتي، وأحب القطط السيامي وأحب صيد الأسماك، وأحب الله، وموسيقى الآلات النحاسية، والأطباق الإيطالية والكلمات المتقاطعة. السؤال إذاً

هو، ما مدى محبتي لزوجتي في الحقيقة؟ وهل أحب البيتزا أو الكلمات المتقاطعة بنفس الأسلوب؟ المحبة ككلمة تحولت إلى عملة ضعيفة القيمة جداً.

من بين كل ما قرأته أو سمعته عن موضوع المحبة دعونا نستخلص بعض المبادئ الأساسية التي يمكنها مساعدتنا على تكوين تصوراً عنها. في الحقيقة كثيراً ما قيل لنا أننا يجب أن نحب، نادراً ما يخبرنا الوعاظ كيف نقوم بذلك.

**أولاً**، فرقٌ بين المحبة العاطفية والمحبة الإرادية. فالمحبة العاطفية مسألة مشاعر وأحاسيس. قد تتحرك بداخلي المشاعر الرقيقة لمنظر طفل صغير، أو تستيقظ الأحاسيس الرومانسية في حضور امرأة جميلة، أو تفيض مشاعر الشفقة والتعاطف وهي مشاعر تجمع بين المحبة والأسف عند رؤية شخص محتاج، وهكذا مثل هذه الحالات الشعورية تمثل دائما إفرازاً جانبياً، لأنه يحق لنا القول أنها ردود أفعال ذهنية لأحداث أو وقائع تتم في البيئة المحيطة بنا ونتعرض لها. إنها مهمة؛ فمشاعرنا جزء من كياننا الذي منحنا الله إياه كأشخاص. وهي عناصر تدفع للحركة، أو

محركات ذهنية، وهذا معناه أنها تحركنا. تأتي كلمة مشاعر من الكلمة اللاتينية **movere** ، بمعنى يحرك.

لكن لأن المشاعر هي ردود أفعال فهي بلا قيمة أخلاقياً في حد ذاتها. فمشاعر "المحبة" مثلاً من الممكن أن تقودنا إلى الشهوة كما من السهل أيضاً أن تقودنا إلى تكريس الزواج.

المقصود من مشاعرنا أن تقوم بتقوية سلوكنا لكنها غير موثوق بها في حد ذاتها عند تقرير كيف يكون سلوكنا. من الممكن أن تصير أحاسيس الرقة بل والتعاطف أيضاً حالات ممتعة للدرجة التي تجعلنا نستمتع بها في حد ذاتها. وعندما يحدث هذا تتدهور هذه المشاعر إلى أن تصير مجرد حالة شاعرية. المقصود من المشاعر هو أن تحركنا، وليس المقصود منها أبداً أن تكون هدفاً في حد ذاتها.

النوع الآخر من المحبة هو المحبة الإرادية، وهي تلك التي تشتمل على رد فعل لإرادتنا أو اختيارنا النشط. إنه الاختيار الإرادي الذي يمنح المحبة قيمتها الأخلاقية. يمكنني اختيار أن أحب. وهذا هو سبب قول الله "تحب الرب إلهك"[١٠] أو "أحبوا أعدائكم"[١١] إذا كانت المحبة مسألة

---

[١٠] تثنية ٦ : ٥

مشاعر بحتة كيف يمكنني أن أحب الله ما لم أشعر بمحبة تجاهه، وكيف أشعر على الأرض بمحبتي لشخص سرق سيارتي للتو أو أساء إلى اسم وسمعة زوجتي؟

المحبة رد فعل في الواقع المقصود منه المشاركة في كل جوانب حياتنا. الله الذي هو محبة وهو بالتالي خالق وبادىء هذه الصفة قد وضع معايير المحبة بوضوح شديد، على الرغم من شكي في مدى إدراكنا لأهمية هذه الصفة.. يقول الله أنه كي تحب فهذا معناه أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. المحبة التي لا تتعدى كونها بعض الأحاسيس الدافئة، هي مجرد شاعرية، والمحبة التي تختص بها أذهاننا فقط هي مجرد إعجاب، والمحبة التي تقودها الإرادة فقط هي مجرد عمل خير بمفهومه البارد والسلبي. قد نقول عندئذ أن المحبة تتكون من عناصر أساسية وهي الاتجاه الشخصي والذي يمثل العنصر السلوكي. الاتجاه الشخصي المحب هو ما يُعتقد به في العلاقات.

**ثانياً، علينا أن ندرك الأهمية القصوى لمحبة الله أولاً.**

[١١] متى ٢٢ :٣٧

وهذا ليس معناه أن الله يرغب أن يكون ملك أو قمة المشاهير المحبوبين، لكن لأننا عندما نحب الله أولاً يمكننا عندئذٍ فقط أن نحب الآخرين بعد ذلك بصورة صحيحة وحرة. إن حقيقة طبيعتنا المخلوقة هي أننا مخلوقون لمحبة إلهية. هناك احتياج مخلوق بداخلنا لأن نكون محبوبين بمحبة اعتمادية بالكامل لا تتبدل إلى الأبد. بداخلنا شوق عميق للأمان النابع من كوننا محبوبين، لذاتنا وليس لأي سبب آخر، ليس لما يمكننا القيام به، أو منحه أو تحقيقه، بل فقط لأجل أنفسنا. الله فقط هو من يمكنه أن يحب هكذا. والله هو الوحيد الذي يحب انطلاقاً من ملء وليس من احتياج. وهو الوحيد الذي يحبنا لذواتنا فقط. ومحبته فقط هي التي لا تتبدل كما أنه لا يتبدل. ما لم يتم إشباع حاجتنا لمثل هذا النوع من المحبة عن طريق محبة الله سنمضي للتفتيش عنها لدى البشر، ولا يوجد من يمكنه إعطاء ذلك، حتى إن كان حبيباً أو صديقاً أو زوجة أو أبوين أو عن طريق أي نوع علاقات لا يمكننا بذلك الحصول على محبة إلهية.

وفوق ذلك، نحن نمتلك حساً واضحاً للأهمية القصوى للمحبة حتى أننا نرغب في استثمار محبتنا فقط مع شخص

يستحق تماماً هذه المحبة وشخص يعيش بموجب مبادئنا كلها كهدف يستحق ذلك. لكن هناك شخص واحد فقط لن يتركنا أبداً. إنه المسيح. يمكننا أن نحبه بكل قلبنا، وفكرنا وروحنا وقوتنا ولن نُحبط مطلقاً نتيجة فتور في شخصيته أو نقاط ضعف في سلوكه. إذا لم نستثمر محبتنا في أن نحب الله، فنحن نبحث عن معايير أداء لا يستطيع كائن بشري الوصول إليها. نحن نقول، أو نوصل إلى شريك الحياة أو الأطفال "أحبك كثيراً فيجب ألا تخذلني أو تصيبني بالإحباط". إنه أمر مستحيل. فهم لم يستطيعوا الوفاء بمهمة مثل هذه من قبل مطلقاً ولا يوجد أي أمل في وفائهم بذلك أيضاً.

الشيء العجيب هو أنه عندما نحب الله أولاً وقبل الجميع، تجد حاجتنا لمحبة إلهية غير متغيرة شبعها. وحاجتنا لشخص كامل كي نحبه قد تسددت بهذا الشكل ونحن نُعتق كي نمنح وننال ما تستطيع المحبة البشرية تقديمه وتلقيه ـ فهي محبة وردود فعل بشرية متباينة وبها مد وجذر وهي غامرة ودافئة ومتعاطفة وصدوقة وحنونة ومهتمة. يالها من صفات رائعة، لكنها مثلنا تماماً، تبعد كثيراً عن حد الكمال.

## وضع المكونات داخل إطار الحب، "الاهتمام"

إن الكتاب المقدس الذي يعد أفضل كتاب في السوق بخصوص المحبة، غني جداً بالمصطلحات والمفاهيم التي تعبر عن الطبيعة الديناميكية لصفة المحبة التي تتميز بكمال القلب. بعضها حالات شعورية أو أحاسيس مثل التعاطف، وهي أحاسيس شخص تجاه زميله أو رفيقه، أو مشاعر الرحمة التي هي محبة وغفران، أو العطف الذي هو خليط من المحبة والشفقة، أو المحبة العطوفة وهي محبة وعطف ممتزجان، أو الرقة أو الإعجاب أو التعلق الوجداني.

يركز الآخرون على التعبير النشط للمحبة. الاهتمام هو كلمة أكن لها احتراماً كبيراً لأن الاهتمام يظهر في السلوك. استبدال كلمة الاهتمام بكلمة محبة في بعض المقاطع الكتابية المميزة الخاصة بهذا الموضوع وستجد أنها تضيء بشكل جديد "هكذا اهتم الله بالعالم حتى بذل ابنه الوحيد..." [١٢] "نحن نهتم لأنه هو اهتم بنا أولاً" [١٣] "بهذا أظهر اهتمام الله بنا أن

---

[١٢] يوحنا ٣ : ١٦

[١٣] ١ يوحنا ٤ : ١٩

الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به"[١٤].

كم من مرة تجد علاقات يُفترض أنها مؤسسة على المحبة وتسمع هذه الشكوى "أنت لا تهتم بي حقاً" أو عن أفراد الكنيسة "ألا يوجد من يهتم بأحد هنا؟".

الاهتمام هو اختبار صبغة عباد الشمس لإثبات وجود المحبة. يسأل "روبرت جرينليف" في كتابه (القيادة الخادمة) "إذا كنت تشعر حقاً أنك محبط ومعنوياتك محطمة ومهان وبلا كرامة، وكان هناك تعاطف حقيقي من جانب شخص ما واستعداد للسير الميل الثاني في محاولة لمساندتك كشخص، فهل هناك مجال آخر تكون لديك فيه فرصة أفضل للاستفادة من هذا الاهتمام والوقوف على قدميك؟" ونجد الكاتب يجيب عن هذا السؤال بقوله "في مجال العمل، في أي عمل كبير". يلاحظ "جرينفيلد" باستياء أن "التعاطف المهتم موجود عادة بتناسب عكسي عند مقارنته بمُثل هذا المجال"

يسلط "الاهتمام" الضوء على تغلغل احتياجنا للمحبة. إنه المحبة في أوسع صورها؟ الأطباء الذين يهتمون بمرضاهم، والمدارس التي تهتم بتلاميذها، والمجالس المحلية التي تهتم

---

[١٤] ١ يوحنا ٤ : ١٠

برخاء أهل مدنها. لن ينجح عمل مطلقاً لا يهتم بعملائه ولا يهتم بالعاملين فيه. تمثل الخدمة في العمل بكل مستوياته بيت القصيد، لكن الخدمة هي الاهتمام بالجودة والقيمة والمصداقية والدقة والالتزام. إنها محبة عملية، تهتم بخير شخص آخر وتختص بالوفاء بما يريده. يقود الاهتمام المتبادل إلى التناغم والتوافق والتفاعل المثمر. حيثما يحدث تجاهل لهذا الأمر أو نصبح غير مهتمين إلاّ وتكون النتيجة هي نزاع والخلاف والجدال واللافاعلية.

## الصداقة

الصداقة والعطف يمثلان بعدين آخرين يجب إضافتهما إلى المحبة . فأن يكون الشخص عطوفاً ورقيقاً فهذا معناه محبة في أوضح صورها الإنسانية. وهي تنشأ من إدراكنا العميق لقرابتنا مع شخص آخر. نحن من نفس الجنس البشري وهذا يمكننا من التعرف على المشاعر واحتياجات ورغبات الشخص الآخر الإنسانية والتعاطف معها. عندما نكون عطوفين فنحن بالبداهة ندرك أنه في نفس تلك الظروف لابد أننا سنكون بحاجة لشخص يقوم بنفس الشيء معنا، لذا فما نقوم به له ما

يبرره، لذا فهو مجاناً. وهو أمر له جذوره في نعمة الله العطوف حتى مع الأشرار وغير الشاكرين.[١٥] لأننا مصنوعين على صورة الله، فهناك صلة نسب معه، هناك شيء في طبيعة الإنسان البشرية المخلوقة يناظر شيء في الطبيعة الإلهية. وهذا أيضاً سبب أن القسوة مؤلمة للغاية، فهي تخرق أو تجرح الإحساس بالتشابه بيننا.

إن الصفات الخاصة في الصداقة بحاجة إلى تقدير أكثر وتفهم أفضل خاصة بين المسيحيين. هناك تكليف خاص بداخلنا كي نكون أصدقاء، لمن لا صديق لهم وللخطاة مثلما كان يسوع يفعل. إن عرض الصداقة من الصعب مقاومته فالبشر يريدون أن يُعاملوا كأصدقاء، لا كأهداف كرازية.

أحد أكثر الذكريات المدهشة التي احتفظ بها كان في ذلك اليوم الذي قالت لي فيه زوجتي "أتعرف، أنت أفضل صديق لي". إنه أمر مدهش لأني أذكر السنوات المبكرة في حياتنا الزوجية عندما لم تستطع زوجتي أن تقول ذلك، ولم يكن لها أن تقول ذلك. فقد استغرق الأمر مني وقتاً أطول من اللازم، كي أتعلم أنه إلى جانب كوني زوجاً ومحباً ومدبراً،

[١٥] يوحنا ٣ : ١٦ ، ١٧

فزوجتي كانت بحاجة إليّ كصديق. إني أضع على شاهد قبرها ذلك العدد الذي في سفر نشيد الأنشاد والذي كنت أرغب أن تضعه على قبري. "**هذا حبيبي وهذا خليلي**".

يضع الكتاب المقدس الصداقة في مكانة عالية جداً، عالية بالدرجة التي بها تصير معظم صفات الصداقة في مجتمعنا الحديث شاحبة بالمقارنة بالصداقة الكتابية. من المشكوك فيه أن تتعدى صدقات اليوم مستوى التعارف أساساً.

أولاً، هناك مساواة بين المحبة والصداقة. فهما موضوعان يقفان عن إدراك وقصد على نفس المستوى فيما يخص العلاقة بينهما. ولعل هذا هو سبب أن الصداقة صعبة جداً على القادة في العادة. فهم يجب أن ينزلوا من أبراجهم العالية، ويتخلوا عن إمتيازات مناصبهم ويسقطوا رموز وضعهم إذا كانوا سيقدمون ويتلقون صداقة ما. أذكر نواح رجل كان يحاول أن يوطد أواصر الصداقة مع جاره الذي كان خادماً. قال "لقد حاولت أن أكون صديقاً له لكن كل مرة نكون سوياً أجده يرغب في وعظي أو تقديم المشورة لي".

عندما يكون الزوج والزوجة أصدقاء خقيقين، فالصراع على من يكون الرأس وماذا يعني هذا في الزواج، يصير كل

هذا عملياً بلا معنى أو مغزى. من يجادل بين الأصدقاء ليكون هو صاحب القول النهائي، أو من يكون الرئيس؟

هذا الجانب من المساواة يجعل الله يختار الصداقة لتكون أحد النماذج الصاعقة بالنسبة لنا. يقول الله أن إبراهيم صديقه وينزل إليه ليتحدث معه كما تحدث مع موسى، وجهاً لوجه كرجل يتحدث إلى أصدقائه. مَن بإمكانه تخيل الوضع عندما جلس يسوع وسط الاثنى عشر ودعاهم أصدقائه؟ لا يمكنك توجيه أوامر لصديق، ولا يمكنك توقع الطاعة من صديق. فما يفعله الصديق هو اختياره الحر لأجل خاطرك وخاطر صداقتكما.

**ثانياً**، بسبب هذه المساواة هناك ألفة وانفتاح بين الأصدقاء. فهم يستطيعون الوصول إلى حياتنا وليسوا بحاجة أن ينتظروا مراسم معينة أو دعوة. ونحن أيضاً لسنا مضطرين أن نهندم ملابسنا أو نتصنع عند تعاملنا معهم. التظاهر من ناحية والتملق من الناحية الأخرى شيئان لا تطيقهما الصداقة. إن انعدام المصلحة التام في علاقة الصداقة يستلزم منا أن نتكلم بالحق مهما كانت التكلفة. في هذا، يحتل الأصدقاء عادة مكانة فريدة، فهم قريبون للدرجة التي تجعلهم

حساسين عاطفياً لمشاعرنا، وفي نفس الوقت بعيدين وموضوعيين بما يكفي ليكونوا صرحاء عندما تستلزم الحاجة. "أمينة هي جروح المحب". "الحديد بالحديد يحدد الإنسان يحد وجه صاحبه".[16] يمكنك أن تشعر بإجفال الكاتب ورعشته في اللحظات التي كان قلمه يخط هذه الكلمات.

في النهاية، إن محبة الصديق الحقيقي تضم صفات الصبر والاستمرارية بصورة تفوق التصديق تقريباً – داود ويوناثان، "إيتاي" الفلسطيني والملك داود، راعوث ونعمي. قال يسوع "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه".[17] ما نود أن نسلط الضوء عليه هنا هو الالتزام الأخلاقي للصداقة التي لا يستطيع أي شيء في الحياة، أو حتى الموت ذاته أن يفصلني عن صديقي. في التجسد أخذ يسوع في ذاته ذلك الالتزام الأخلاقي للصداقة تجاهنا، وهذا معناه أنه لن يتركنا ولن يهملنا إلى الأبد ولأجل هذا مات وقام ثانية من بين الأموات؛ ولأجل هذا أرسل روحه القدوس ليتحد مع روحنا كي نتمكن الآن أن نصرخ مع الرسول بولس

[16] أمثال ٢٧ : ١٧

[17] يوحنا ١٥ : ١٣

قائلين أن لا شيء يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا، لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رياسات ولا سلاطين ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا أية خليقة أخرى.[١٨]

## تعبير المحبة

المحبة شيء متحرك، وهذا معناه أنه يجب أن يكون لها هدف. لا يمكنك أن تحب فحسب، أو تكون بداخلك محبة هكذا وكفى، بل يجب أن تحب شيئاً أو شخصاً. هكذا تحتاج المحبة أيضاً إلى التعبير عن ذاتها. أنها بالنسبة للأولاد بحاجة للتعبير عدة مرات وبطرق متنوعة كي يمكن تصديقها. لقد توقفت عن حصر أعداد أولئك الذين ينظرون للخلف ويسترجعون طفولتهم ويقولون بأسى "أعتقد أن أبوي قد أحباني، بطريقتهما الخاصة، لكني لم أشعر بذلك مطلقاً".

المحبة بحاجة للتعبير عن ذاتها. مازالت كلمات "أنا أحبك" هي أعذب كلمات في مسامعنا على الإطلاق. لي صديق لديه ولدين مراهقين كانا قد سببا له كل أنواع الضيق والتبرم.

---

[١٨] روميه ٨ : ٣٥ – ٣٩

قال لي "استدعيتهما في أحد الأيام. وكنت أشعر ببعض الخجل مما سأفعله لأنهما كانا شخصين كبيرين، لكني قلت لهما "انظرا، لقد مر وقت طويل لم أخبركما بهذا، لكني أرغب الآن أن تعرفا أني أحبكما حقاً". وتوقف صراعه مع ولديه بين ليلة وضحاها.

المحبة شيء يمكن توصيله للآخرين بطرق أخرى غير الكلمات، فهي تصل عن طريق نظرة شخص لأخر، وعن طريق التلامس. كان أحد أبنائي يقوم بالتدريس في مدرسة حيث تضم الكثير من الأطفال القادمين من بيوت محطمة. وأخبرني كيف كان يسير في فناء المدرسة أثناء فترة الراحة ويأتيه أطفال صغار من الفصول الأولى ويمسكون بيده، لا يقولون شيئاً بل مجرد السير معه وهم ممسكون بيده. وبعد فترة وجيزة قد يتركونه وهم مملئون رضا وراحة وينطلقون للعب؛ لقد رضعوا شيئاً كانوا بحاجة إليه من مجرد التلامس مع يد مهمته بهم.

كلما كانت العلاقة حميمة، كلما أصبح عنصر المحبة أكثر أهمية وكلما ظهرت على السطح جوانب المشاعر والعواطف. وهذا ينطبق بصورة خاصة على الزواج والأسرة لأنه

كلما اقترب الأشخاص منا أكثر كلما تعانقت مشاعرنا أكثر في هذه العلاقة.

أسجل في هذا السياق أن وصية المحبة في الكتاب المقدس موجهة للزوج بقدر أكبر مما هي موجهة للزوجة. لعل هناك سبب وجيه حقاً لهذا. النساء متلقيات؛ أحب زوجتك بصورة حقيقية وصائبة وهي لن تجد صعوبة تذكر في أن تحبك في المقابل بدرجة كافية. وبهذا الوضع، تقع على عاتق الزوج مسئولية ضمان توافر محبة كافية في الزواج. يمضي بولس إلى أبعد من هذا، فهو يقول إن مسئولية الزوج لا تقل عن كونها مسئولية الوصول بالزوجة لأن تكون زوجة كاملة! "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة"[١٩]. أنا كزوج ملتزم بتعليمات أن أبذل نفسي لأجل زوجتي كي أوفر لها الجو المناسب الذي به تستطيع أن تكون كاملة حقاً.

كلما أتسع مدى العلاقة، كلما قلت أهمية المكونات العاطفية للمحبة وكلما زادت أهمية الجوانب الإرادية. لكنها

---

[١٩] أفسس ٥ : ٢٥ – ٢٧

تظل محبة. أستطيع أن أسرد هنا خبرتي الشخصية فقط لكن أحقاقاً للحق، لم ولن يحدث مطلقاً أن كانت مشاعري دافئة متدفقة تجاه ذاتي. عندما أنظر إلى وجهي في مرآة الحمام في الصباح لا أضعف وأسقط على ركبتي وألهث في نشوة وطرب قائلاً "يالك من رجل محبوب!". مطلقاً. لكنني مع ذلك ألاحظ أني أهتم بنفسي جيداً وأراعي احتياجاتي بمنتهى الأمانة على الرغم من نقص تلك المشاعر تجاه ذاتي، بل وحتى عندما لا أكون في الحقيقة راضياً عن نفسي بالمرة. وهذا هو الأسلوب الذي عليّ أن أحب به قريبي - بنفس الأسلوب الذي أحب به ذاتي. أن أهتم بتحقيق أفضل شيء لمصلحته بنفس الأمانة والتيقظ الذي أفعل به هذا لذاتي.

الفصل الثالث

# الثقة – تكلفة الالتزام

الثقة أمر جوهري لأية حياة في المجتمع حيث أن التفاعل والاحتكاك الاجتماعي سيكون مستحيلاً في عالم ليس به من يمكن الثقة فيه. إننا بحاجة إلى بيئة تعتمد على بعضها ويمكن التنبؤ بأحداثها كي نستطيع أن ترتب حياتنا بناء على ثقة معقولة، لذلك فنحن نتوقع أن يكون العالم والبشر الذين فيه جديرين بالثقة. يولد الطفل الرضيع وهو مليء بالثقة. الشكوك وعدم الثقة أمور يتعلمها لاحقاً ودائماً ما تكون عن طريق خبرات مؤلمة. أنهم يستبدلون ثقة الطفولة البريئة بأعين نارية تراقبنا من عدة منطلقات. لكن على الرغم من أن الثقة جوهرية للغاية، فطبيعتها ومتطلباتها ليست معروفة جيداً. إننا نسميها الإيمان ونصدر مئات الكتب سنوياً كي نمجد ونطري مناقبها ونحاول أن نشرح أبعادها وأصولها. لكن على الرغم من ذلك فالأمر يستحق أن نتريث عنده لبرهة كي نحصل على بعض التوضيح عن ماهيتها الفعلية قبلما نبتعد كثيراً في مناقشتنا لدورها في العلاقات الشخصية. ولنقوم

بذلك علينا أن نبتعد عن الشعارات، الدينية وغيرها، "آمن"، "ثق فيّ"، "آمن فقط"، "يمكنك أن تراهن بحياتك على هذا الأمر" وهكذا.

ما هي الثقة؟ وما هي شروطها؟ وكيف تبنيها؟ وما الذي يحدث عندما يتم خرقها أو فقدانها؟ أنها أسئلة أساسية لكنها حيوية، ولا يمكننا افتراض إجابات لها أو تقبلها كأمر مفروغ منه.

## تعريف الثقة

إن جوهر الثقة هو أني أجعل ذاتي معتمدة إرادياً وباختياري على شخص آخر بخصوص أمر ما. الثقة أو الإيمان بذلك هما اختيار أقوم أنا به، ولا يمكن إجبَاري عليه. والدليل على أني قد اتخذت قراراً فعلياً بأن أثق هو أني لم أضع خططاً طارئة لحماية نفسي أو مصالحي لئلا يخذلني الشخص الذي أثق فيه. أما إذا استعددت لاحتمالات الفشل أو وضعت أسواراً وحواجزاً فهذا يضع مستوى ثقتي وليس بالضرورة مستوى تمييزي وقدرتي على التنبؤ موضع تساؤل.

الثقة إذاً تعني أنه فيما يتعلق بموقف معين، بغض

النظر عن نوعه، أضع ذاتي في موقف أكون فيه عرضة لهجوم غيري أو أن ينال أحد مني. ونتيجة ذلك أو الآثار المترتبة على ذلك تكون خارج حدود سيطرتي المباشرة بل في يد شخص آخر عليّ الآن أن أعتمد على قدرته أو أمانته. هذه الحالة الاعتماديه التي تفرزها الثقة هي ما نراه أصعب جزء في التعامل. إن جوهر سقوطنا هو رفضنا أن نعيش معتمدين على الله، واختيارنا بإرادتنا أن نكون مستقلين وأن نبحث عن الكفاية الذاتية، وأن نتحكم في مصيرنا. والثقة تضرب جذور كل هذا.

لكن هناك أيضاً تناقض ظاهري هنا. وقد قفزت فوقه عندما كنت أشرح ذات مرة مدى صعوبة تكوين منظوراً أخلاقياً ضد القمار بحيث يكون مقنعاً وجذاباً. ثم رأيت فجأة ما هو القمار، أنه شر اجتماعي وهذا شيء معروف، لكنه أيضاً نوع من الإيمان العالمي. فهو يسدد بعض من احتياج الإنسان الكامن في داخله في العيش في مخاطرة. ولأن الإنسان قد رفض مخاطرة الاعتماد على الله، فعليه أن يشبع نشوته بكل أنواع الطرق المؤذية وغير اللائقة. يبدو أننا مخلوقون وبداخلنا احتياجان عظيمان، الاحتياج لليقين والاحتياج للمجهول. يتم

تسديد احتياجنا لليقين والأمان بواسطة الله الثابت إلى الأبد والذي محبته وكلمته جديرة بالثقة ولا تتغير. أما احتياجنا للمجهول فيسدده الله الذي يفعل دائماً أشياء جديدة "هانذا صانع أمراً جديداً"[٢٠] فهو يدعونا باستمرار كي نخرج من نطاق المسلمات ونسير في طريق الإيمان، وندخل في علاقة شخصية معه اعتماداً أساساً على الثقة. تتحرك هذه الحاجة لذلك الإيمان ضد مشيئتنا في أغلب الأحيان وتصاحبها الحاجة للثقة، والحاجة للمجهول، والحاجة للمخاطرة والتي تصر على البروز على السطح. وهذا يفسر ما كان يقصده بولس عندما كتب قائلاً "...آمن إبراهيم بالله فحسب له براً".[٢١] أحد معاني البر هو الوفاء بالمقياس أو المعيار المتبع. عندما وثق إبراهيم في الله، وعندما خاطر بالإيمان بالوعد، حتى يدون وجود ابن يحمل اسمه (لاحظ عدد النقاط الشاذة في هذا الموقف) أوفى بذلك المعيار الذي كان المقصود من الإنسان أن يوفيه، وهو أن يكون مؤمناً بالله.

إن الكفاية الذاتية التي كان يفكر آدم فيها لم تتحقق

[٢٠] إشعياء ٤٣ : ١٩

[٢١] روميه ٤ : ٣

مطلقاً ومن المستحيل أن تتحقق يوماً ما، لذا فنحن مجبرون كل يوم من أيام حياتنا أن نقرر أن نثق. وهذا ينطبق حتى على أبسط الأمور مثل شراء علبة من الحبوب المستخدمة في الإفطار أو صعود الحافلة أو التوجه إلى كشك الهاتف لإجراء مكالمة. ما الذي يحدث إذا وجدت أن تلك الحبوب متعفنة، أو تأخرت الحافلة أو كان الهاتف معطلاً؟ بعيداً عن أي ضيق وتبرم قد نجد نتيجة هذا بروز مشاعر قوية من السخط والنقمة على السطح أيضاً. نشعر أننا تعرضنا للغش أو الخيانة أو التخلي عنا. ما قد حدث هو أن هناك مستوى معين من الثقة قد خُذلَ. لقد اعتمدنا على جودة البضاعة أو دقة مواعيد الحافلة أو مصداقية خدمة الهاتف لكنها خذلتنا. ما ينطبق على هذه الأمور الدنيوية نسبياً ينطبق بدرجة أكثر جداً على العلاقات الشخصية. في الحقيقة، كلما زادت أهمية العلاقة، كلما زادت حيوية الدور الذي تلعبه الثقة في ذلك. وكلما كانت العلاقة حميمة أكثر احتلت الثقة قلب هذه العلاقة، وكلما صارت تكلفة الالتزام بالثقة الحقيقية تكلفة أعلى. وليست مفاجأة إذا أن تكون الثقة هي القضية السائدة في العلاقات الحساسة مثل القيادة والخدمات المهنية والمكاتب العامة من

جانب والعلاقات الحميمة مثل الزواج وجلسات العلاج والمشورة من جانب آخر.

## كيف تفعل هذا، أو كيف تجعل الثقة ممكنة؟

نصل إلى وضع تكون الثقة فيه قراراً وشيئاً يتم التدرب عليه في نفس الوقت. بمعنى آخر، من الممكن أن تكون وليدة موقف أو أزمة بالإضافة إلى كونها عملية متدرجة. يمكننا وضع ثقتنا في لحظة قرار. فأنا أقوم بتعيين محاسب لوظيفة يحمل بموجبها مسئوليات ضخمة، وأوافق على أن أخضع نفسي لعلاج الطبيب أو أن أقول "نعم" لعرض زواج. قد تموج نفسي بكل أشكال الأسئلة والشكوك في طريقي نحو اتخاذ القرار لكن تأتي نقطة معينة حيث يجب عليَّ عندها أن أوافق على ذلك أو أتراجع. وأعلم أنه طالما صدر هذا القرار فهناك التزام. عندما أغير رأيي بعد ذلك أو أرتد إلى المجهول فعدم الالتزام هذا يصفع بقوة تلك الثقة. كلما كانت تكلفة قرار الثقة هذا كبيرة كلما أخذت التزامي بها بصورة أكثر جدية وكنت أكثر إحجاماً في تغييري لرأيي وقراري.

إن هذا بمقدوره أن يسلط الضوء على المفهوم المتكامل لموضع الإيمان في علاقتنا مع الله. فنحن نبدأ في رؤية الإيمان

على أنه ليس مجرد نزوة طائشة أو شرط وضعه الله ليكون أساس الخلاص. فالايمان هو الشرط الجوهري لأية علاقة شخصية.

بناء على أسس الكون الذي نعيش فيه، هناك حقيقة تقول أن كل العلاقات تشتمل على ثقة. وأغرب شيء على الإطلاق هو أن نكتشف أنه من غير الممكن أن نتعامل مع الله بصورة شخصية بأسلوب لا يشتمل على عنصر الإيمان أو الثقة هذا. وبغض النظر عن كينونة مثل هذه العلاقة فهناك شيء واحد أكيد فيها، وهو أنها من المستحيل أن تكون علاقة شخصية.

لكن الثقة عملية لها خطواتها. وتنمو بموجبها. في البداية تكون ثقتنا في القائد مترددة واختباريه، خاصة إذا كان شخصاً جديداً وليست لدينا خبرة مسبقة معه. إلا أنه مع إظهار هذا القائد قدرته ومصداقيته، يتنامى مستوى الثقة فيه. ويتمنى القائد أن يستمر هذا النمو حتى يصل إلى النقطة التي يظل فيها أولئك موالين له حتى إن لم يفهموا ما الذي يحدث في فترة من فترات قيادته لهم. إن الفكرة الأساسية لسفر أيوب تتناول هذه القضية بالتحديد – هل يثق إنسان بالله حتى وإن

أساء فهم مصدر معاناته وأهداف الله تماماً، لكن تظل مع ذلك ثقته ثابتة "هوذا يقتلني... فقط أزكي طريقي قدامه"[22]. وهذا هو سبب أن الإجابة النهائية في نهاية هذا السفر لم تكن توضيحاً وشرحاً لسبب حدوث تلك الأمور بهذه الصورة، بل كانت إعلاناً عن شخص الله "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد"[23].

الثقة في هذه التعبيرات ثقة مبنية على اتجاه شخصي، مثل المحبة، حيث أنها لا تشتمل على عنصر عقلي أو فكري فقط، بل على عنصر عاطفي أو شعوري وعنصر سلوكي أيضاً. والتزام الإيمان يشتمل على هذه العناصر الثلاثة، فهو يشتمل على موافقة ذهني، وشعوري بالثقة وقراري بوضع ثقتي في شخص ما. لكن إذا كان الأمر مسألة عقل فقط، فالأمر لا يشتمل إلا على "المعتقد" بصورة عامة ونحن لا نتصرف أو نخاطر على أساس معتقداتنا فقط. إذا كان الإيمان مسألة مشاعر فقط سيتدهور ليصير مجرد نبضة ـ اليوم أنا أشعر بمطلق الثقة فيك، وغداً لا أشعر أنه بإمكاني الثقة فيك بنفس

[22] أيوب ١٣ : ١٥

[23] أيوب ٤٢ : ٥ – ٦

القدر الذي بإمكاني أن أراك به في ليلة مظلمة. أما إذا كان الإيمان مسألة إرادة فقط فهو سيصير مجرد قرار بحت، وحدود هذا لا تتعدى عادةً ثلاثة أيام، ثم يبدأ في التبخر. الثقة أو الإيمان إذا هي كل الإنسان الداخلي الذي يجعلنا نقول "نعم" للاعتياد الملتزم هذا.

إن تحرك الثقة لمرة واحدة في أية علاقة ليس كافياً، فنحن نحتاج أن نواظب على التحرك بهذه الصورة. يولي العهد الجديد معظم اهتمامه إلى طبيعة ونمو الإيمان بالمسيح بعد ممارسة هذا الإيمان في سبيل الحصول على ذلك الخلاص. علينا أن ننمو في الإيمان، وأن نتقدم من إيمان إلى إيمان وينطبق نفس الشيء على علاقتنا البشرية أيضاً. علينا أن ننمو في الثقة من مستوى لآخر. قليل من البشر من يعطون هذا الجانب من علاقاتهم اهتماماً لائقاً. أني أشك أن هذا الأمر يشتمل في الأغلب على أكبر نقص في التعليم الخاص بمهارات الزواج. إذا تعلم الأزواج والزوجات أن يعملوا بقوة في سبيل وضع وبناء الثقة بنفس الأسلوب الذي به تعلموا أن يعملوا على بناء وتثبيت المحبة لرأينا هبوطاً درامياً في معدل الطلاق في ظرف جيل واحد.

## الزواج والعهد

إن النظرة الكتابية للزواج تناظر النظرة للعهد، لذا تأتي الثقة في قلب وجوهر هذا الأمر. العهد هو رابطة من الولاء الشخصي بين طرفين وهو يُعد تلقائياً بطبيعته عهداً أبدياً ويتم التعامل معه من هذا المنطلق بصورة دائمة. أما العهد المبني على توقيت محدد فهو بذلك يناقض نفسه وهذا هو أحد الجوانب التي تجعل العهد مختلفاً عن العقد. فالعقد علاقة أنشئت بناءً على شروط متفق عليها؛ وعندما تتغير الشروط يتغير بالتالي العقد. أما العهد فله شروط أو التزامات لكنها لا تخلق العهد، بل تدور حول جوهره، فعلاقة العهد هي التي تخلق الشروط. العهد في ذاته التزام شخصي بين طرفين، أحدهما تجاه الآخر؛ وكل الالتزامات والمسئوليات تنساب خارجة من هذا الالتزام ومبنية عليه. وما يخلق عهد الزواج هذا بناء على ذلك ليس هو محبة الطرفين أحدهما للآخر؛ فهي موجودة عادةً من قبل. والزواج يتم بإقراراتهم التي ينطقونها بأنفسهم أحدهما تجاه الآخر. فكلمة القسم تخلق العهد. ونحن نقول: أتعهد بذلك أمام الله.

أحد أكثر الإصابات المحزنة التي أصيبت بها

الأخلاقيات الوضعية في العصر الحديث هي تلك المتعلقة بالوعد. لقد فقدنا تقريباً أي إحساس بوجوب الارتباط بالوعد. ومن المتعارف عليه ضمنياً في معظم الوعود التي نقطعها اليوم هي وجود شرط يقول "مع الوضع في الاعتبار عدم تبدل أي من الشروط أو وجهة نظري للأمور أو ظهور شيء أكثر أهمية بالنسبة لي". وعندما تكون الوعود شرطية أو مؤقتة فلا عجب مطلقاً أن تصير الثقة أيضاً شرطية ويتبدل الالتزام بدون إخطار مسبق.

تكمن المأساة في التضحية بالمطالب الصارمة للعهد مما يؤدي إلى تضحيتنا أيضاً ببركاته. في العهد أتمتع بإمكانية ارتكابي لأخطاء والتعلم منها لأن العهد يحفظني ويمنحني الفرصة لأصحح أخطائي. بدون هذه الحماية تصير متطلبات الأداء الكامل أمراً غير محتمل. في العهد ألتزم بمواجهة مشاكلي وأن أعمل على حلها بدلاً من سلوك الطريق السهل والخروج من هذا العهد والدخول في عهد مع شخص آخر مرة ثانية. فأنا آخذ مشاكلي غير المحلولة معي لأعاود الكرة مرة ثانية مع الرفيق التالي. والعهد يجعلني آمناً أثناء انخفاض المد الشعوري وفترات الرتابة والملل لأن متطلباته تظل قائمة سواء

كنت أشعر أني أحبها أم لا. ولدي الثقة أيضاً أنها ستحفظ شريك حياتي أيضاً عندما يمر (أو تمر) بنفس تلك الأمور. بدون هذا لا أعرف ما إذا كان بإمكاني أن أثق في مشاعر شريكي أو مشاعري أنا شخصياً.

لقد قرأت لتوي تعليقاً كتبه أخصائي نفساني عن الزواج من منظور دنيوي بحت. يقول فيه: أن توقع الشبع الجنسي وغيره من الأمور التي يتجه معظم الشباب اليوم نحو الزواج محملين بها، يكون توقعاً غير واقعي في سموه للدرجة التي بها يكون محكوماً على تلك الزيجات بالانهيار منذ البداية وهذا لا يرجع جزئياً إلى عملية التكيف النفسي، وهي الخاصة بضبط أعضائنا الحسية للإشارات الحفازة بحيث مع كل تكرار لهذا الأمر تحتاج إلى مستويات أعظم من تلك الإشارات الحفازة وذلك للحافظة على نفس مستوى التجاوب. ثم قال هذه الكلمات: "إذا تعلمنا النظر للزواج بناء على الواجب والالتزام، ففرص تحقيقه لخبرات أكثر إسعاداً ستكون أكثر فعلياً بالمقارنة بنظرتنا الحالية للزواج المبنية على المتعة والإشباع الذاتي".

## كيف تبنى الثقة؟

الثقة ليست حالة سلبية. فهي مثل التعبير الديني المناظر لها وهو "الإيمان"، فالثقة التزام فعال، لذا ففي العلاقات نحن بحاجة لأن نعمل على تنميتها. يجب أن نعمل على ممارسة الثقة وخلق ظروف تستطيع الثقة أن تنمو بموجبها. يتعلم صاحب العمل أن يثق في موظفه وذلك عن طريق إعطاءه فرص أكبر وأكبر لتحمل المسئولية. ومع كل نجاح تنمو الثقة. يتعلم آباء الأطفال الآخذين في النمو أن يثقوا في أبنائهم المراهقين، ويتعلم الأبناء أيضاً أن يكونوا جديرين بالثقة، وذلك بإعطاء هؤلاء الأبناء مسئوليات متزايدة في اتخاذ قراراتهم الشخصية. لكن يجب أن يتم هذا بترتيب وحرص وحكمة. فالأمر لا يعني ترك هذا الشيء فجأة كي يمضوا في طريقهم تصحبهم الأمنيات أن تسير الأمور معهم بصورة حسنة، بل يختص الأمر بتعليمهم. كيفية أن يكونوا جديرين بالثقة وتركهم يتعلمون ذلك عملياً. وكل خطوة من هذا الطريق تُعد مخاطرة. وكل تصرف ثقة من جانبنا يعرضنا لعواقب هذا التصرف؛ فنحن نعتمد على شخص آخر بخصوص أمور ستتم. بغض النظر عن هذه المخاطرة. فحتى ألم الفشل يمثل

جزءاً ضرورياً لنمو العلاقة. لكن كل نجاح يمثل إنتصاراً للإيمان وتأكيداً أن الثقة لم توضع في غير محلها، ونمواً لمستوى النضج على كلا الجانبين.

الثقة تعني أيضاً الاعتماد، وعلى الجانب الآخر تعني أن الشخص يعتمد عليه ويعتد به. وقد اكتشفت أنه بالنسبة لأية امرأة هناك أشياء صغيرة كثيرة تتعلق بمنزلها يجب إتمامها، وكلها أشياء تحمل معنى رمزي سامي. في السنوات الأولى من زواجنا مثلاً كنت لا أهتم مطلقاً بأشياء مثل الصنابير غير المحكمة أو دفع الفواتير في أوقاتها أو إصلاح قفل نافذة محطم وكانت زوجتي تضجر جداً في بعض الأحيان نتيجة ذلك. وكنت أفكر قائلاً "كم هي تافهة التفكير تلك المخلوقات التي تدعى نساء فالعالم من حولنا يموت وكل ما يشغل بالها هنا صنبور تالف". ثم أدركت في النهاية ما كان يحدث. لم يكن الأمر في العقل الواعي بل في أحد أركان ذهن زوجتي كانت تدور فكرة تقول "إذا لم يكن باستطاعتي الاعتماد عليه في هذه الأمور الصغيرة، فما الذي سيفعله حقاً إذا أصابتنا كارثة حقيقية". بمعنى آخر كانت تشعر بعدم الأمان. عندما بدأت أهتم بتلك التفاصيل الصغيرة بالصورة التي كان يجب

على أن أقوم بها منذ البداية وجدت زوجتي تهدأ وتشعر بالأمان. الاعتمادية في الأشياء الصغيرة تخلق جواً من الشعور بالثقة.

الأشياء غير المنظورة مثل المحافظة على الوعود والثبات على المبدأ والتحكم في الحالات المزاجية كلها أمور أساسية، لأن التقلب المزاجي يعد نقطة لا يعتمد عليها في مشاعرنا، وإلاّ كيف يمكنني إذاً الثقة في شخص إذا لم أعرف مطلقاً أي مزاج سيكون عليه في مثل هذا الوقت غداً؟

تعتمد الثقة على الشخصية أكثر من أي شيء آخر. الولاء والأمانة والالتزام والاستقامة كلها أمور شخصية. أذكر أن جاءتني مرة سيدة في الثلاثين من عمرها. وكانت تبحث عن زوج لسنوات مضت. وسألتني قائلة "توم، لماذا يبدو الكثير جداً من الرجال المؤمنين مترهلين ومتكاسلين؟" لم أعلق على مدى دقة حكمها هذا لكني كنت أعلم ما الذي كانت تعنيه. كانت تبحث عن شخصية معينة، شخصية صلبة يُعتمد عليها. كانت تريد شخصاً يمكنها الاعتماد عليه لا أن تنحني تحت ضغطه أو يفقد تفكيره عندما تكون الأمور صعبة. بعد حوالي سنة سمعت أنها ذاهبة إلى مدينة برث وأنها على

وشك الزواج. فاتصلت بها هاتفياً لأنقل لها أمنياتي وكان ذلك في صباح يوم زفافها. كانت أول كلماتها عندما التقطت السماعة هي "توم، لقد وجدت لنفسي رجلاً!"

لا تنفرد النساء في تلك الصفة. فالرجال يريدون شخصية معينة في زواجهم أيضاً. إني أبارك الله لأجل الزوجة التي أعطاني إياها، فمنها تعلمت تقريباً كل ما أعرفه عن الالتزام غير المشروط. كانت صريحة ومستقيمة كالحديد وذراعي الأيمن القوي في بعض الأيام حالكة الظلام.

هناك سمة جوهرية أخرى تتعلق باستحقاق الثقة وهي الأمانة، مثل مواطن صهيون في (مزمور ٢ : ١٥) "المتكلم بالصدق في قلبه". في يومنا هذا سقط الحق في الشوارع. واستُبدل على المستوى العام بالأخبار المبرمجة. فتلفيق الحق وجذب الانتباه بعيداً عن الأخطاء الفادحة يدعى في هذه الأيام "السيطرة على الأذى". وتتركز بؤرة الاهتمام دائماً على النتائج المرغوب فيها وإذا كانت هناك كذبة ما ستخدم تلك النتائج المطلوبة بصورة أفضل مما ستفعله الحقيقة، فالكذبة أولى بالذكر لكن عدم الحقيقة وأنصاف الحقائق والمراوغة لاتترك أساساً آمناً يمكن بناء الثقة عليه. لذا فاليوم لا يستطيع أي

حزب سياسي أن يعتمد على المساندة الملتزمة إلا من جانب القلة المخلصة للحزب. هناك قطاعات كبيرة ومتزايدة بين البشر غير ملتزمة بأي اتجاه؛ إنها "الصوت الانتخابي العائم" الذي سيضع الحكومة في مقعد السلطة لكنه لا يثق في هذه الحكومة التي أتى بها إلى السلطة وإذا سارت الأمور إلى الأسوأ، فسيسقط تلك الحكومة بدون أي ندم. لكن هذا الأمر له بذاره التي سبق أن زُرعت؛ فالسياسيون أنفسهم هم الذين خلقوا تلك الأصوات الانتخابية العائمة، فهم حصاد الالتواء والتغطية.

## الثقة والقيادة

الثقة عنصر سيادي في العلاقة بين الأشخاص وقادتهم. يجب أن يثق الأشخاص في قادتهم، ويجب أن يثق القادة في أفرادهم بالتبعية. تقع المسئولية الأكبر على القادة. فهم الأشخاص الذين يقررون ما الذي يجب عمله، ومتى تم ذلك ومن الذي عليه عمل ذلك. إنهم يمارسون السلطة. وفوق ذلك فهم بصورة عامة يحصلون على معلومات أكثر من أي شخص آخر، والمعرفة سلطة أيضاً. لذلك يتمتعون بسلطة أكبر من أي شخص آخر. بناء على ذلك فمركز القائد يدعى "مركز الثقة".

من المهم جداً فهم ذلك لأنه إذا فشل القائد في الأسلوب الذي يمارس به دوره في القيادة أو إذا فشل أخلاقياً في حياته الخاصة، ففي هذا خرق للثقة. لا يدرك الكثير من القادة المسيحيين ذلك. وتكون الصيحة في بعض الأحيان: "لماذا يجب معاملتي بصورة مختلفة عن باقي البشر الذين لهم أيضاً هذه السقطات الأخلاقية؟" فيما يتعلق بالسقوط الأخلاقي، سواء كان زنى أم كذب أم عدم أمانة مالياً، فالإجابة الواضحة هي أنهم يجب معاملتهم بصورة مختلفة عن أي شخص آخر. لكن هناك شيء آخر في ذلك الأمر وليس له ذكر بالنسبة لباقي البشر الذين لا يحتلون مقاعد القيادة، وهو خرق الثقة. إنها قضية منفصلة يجب مناقشتها. لا تعود الأمور إلى نصابها ما لم تستعيد الثقة عافيتها.

عندما نتحدث عن أشخاص يثقون في قادتهم، يجب عموماً أن نسأل ما الذين يثقون فيه على وجه التحديد؟ بكلمات أخرى، ما هي منطقة الاعتماد المعينة التي أخصها بوضع ثقتي في شخص معين كقائد لي؟

**أولاً، أنا أثق في حكمهم.**

أنا أعتمد عليهم للوصول إلى الأهداف الصائبة وجعل

هذه الأهداف تتحقق. تتعلق وظيفة القائد بالمستقبل؛ و"موطن القيادة" الذي يمتلكه القائد، كما يوضح "روبرت جرينليف" عن حق، هو أن ذلك القائد أفضل من غيره في مهمة توضيح الاتجاه، وعند التعامل مع المستقبل الذي لم تتضح معالمه بعد. الآن أنا لا أستطيع رؤية الأمور بالوضوح الذي يراه القائد. إذا كان بإمكاني ذلك لوجب أن أكون أنا القائد.لذا يجب أن أعتمد بدرجة كبيرة على حكمة القائد وتقييمه للاحتمالات المتوقعة للمستقبل. وهذا هو سبب أنه من الأصعب دائماً وضع الثقة في قائد لم تتم تجربته من قبل أو بلا خبرة، فنحن لا نملك سابقة خبرة له. لكن عند سيرنا مع قائد محنك، قدرته وحكمه وإمكانياته معروفة جيداً؛ هناك شيء يمكن الاستناد عليه للتقرير ما إذا كنت سأرغب في الوثوق فيه أم لا وإلى أي مدى سأفعل ذلك.

القادة بحاجة من جانبهم أن يدركوا نوعية الولاء الذي يطلبونه من شعبهم، ونوعية خطوة الإيمان التي يشملها هذا الولاء. الثقة كما رأينا تجعلني عرضة لتصرفات الغير لأني سلمت جزء من مصيري لشخص آخر، وإذا كان هذا الولاء كبيراً، فالفشل من جانب الشخص الذي وثقت فيه سيجلب

لي خوفاً وضياعاً غير قليلين. يقود الخوف دائماً إلى الغضب لأن الغضب عاطفة طوارئ، والغرض منها هو تقسيتنا لمواجهة موقف تهديد أو خطر. وحيث أن القائد هو الشخص الذي أدى فشله إلى تهديد أمانيّ، فلن يكون مفاجأة إذا صار أيضاً هدفاً لغضبي. يولد خرق الثقة في القيادة دائماً مناخاً شعورياً مشحوناً للغاية، لكن الغضب، إذا حدث، ليس هو رد الفعل غير العادل أو غير المستحق تماماً كما يظن القادة في بعض الأحيان.

**ثانياً، يجب أن يضع البشر ثقتهم في كمال "القائد"**

أي في أمانة وإخلاص القائد. تعلمت درساً مهماً جداً بخصوص هذا في منتصف الستينات عندما كنا في البدايات الأولى لحركة تجديد كاريزماتية بين الكاثوليك الروم في نيوزيلاندا. كان القديسون الأحباء الذين أتوا إلى اجتماعات الصلاة الأولى هذه لا يعلمون إلاّ القليل، وكانوا يصدقون أي شيء أقوله لهم. أعتقد أنهم لوقت كانوا ينظرون إليّ كما لو كنت كاردينالاً غير رسمي تقريباً – ياله من تملق كبير وخطير جداً. وفي أحد الأيام أخبرتهم بشيء ظننت أني تلقيته حقاً من الله، وعلى امتداد الأسبوع التالي اكتشفت أني كنت

مخطئاً تماماً. مرت بي ليلتان بلا نوم على الإطلاق. فكرت قائلاً "إذا أخبرتهم بما حدث فلن يثقوا فيَّ مطلقاً بعد ذلك". لكني لم أستطع الفكاك من ذلك، لذا ففي أول مرة أقابلهم بعد ذلك واجهت ذلك الأمر وقلت لهم "الأسبوع الماضي أخبرتكم بكذا وكذا وأنا كنت أعتقد أني قد سمعت هذا حقاً من الله. لكني في واقع الأمر كنت مخطئاً تماماً، وارتكبت خطأ بذلك، لقد منحتكم نصيحة سيئة".

منذ تلك اللحظة فصاعداً، اكتشفت أنهم بدأوا فعلاً في وضع ثقتهم فيَّ. لا يطالب البشر قادتهم أن يكونوا معصومين من الخطأ (في بعض الأحيان يفكر القادة أنهم يجب أن يكونوا معصومين من الخطأ) لكنهم يطلبون منهم أن يكونوا أمناء مخلصين. سيتبع البشر قادتهم إلى أي موضع تقريباً مع افتراض أنهم متأكدون أنه إذا قادهم القائد في طريق خطأ واكتشف ذلك فسيعترف بخطأه ويقودهم عائداً إلى أرض الأمان. قد يكون ارتكاب خطأ في القيادة مكلفاً، لكن ارتكاب خطأ ثم محاولة تبريره فهذا أمر قاتل. ذلك سيعرض القائد لتضليل حقيقي.

## ثالثاً، يجب أن يثق البشر في مثابرة القائد

أي أن يظل ممسكاً بالدفة حتى إذا تدهورت الأمور إلى الأردأ. إنها مسئولية القائد أن يحافظ على الجماعة في المضمار والسير على رأسها نحو الهدف حتى عندما يكون كل شخص آخر مستعداً أن يتخلى عن الهدف على اعتبار أنه أمر لا خير فيه. يستطيع أي شخص أن يقود عندما تسير الأمور حسناً وعندما تكون الحماسة والأمل من سمات المسيرة. أما عندما يلوح الفشل كاحتمال واضح وتوهن الرؤية فهذا هو الوقت التي تبرز فيه الشخصية الحقيقية للقائد. هل يرغب أن يوصف بالنجاح فقط؟ إذا كان الأمر كذلك فالقائد مهتم بسمعته الشخصية أكثر من اهتمامه بالهدف. هل يفضل أن تصيبه الشرور عن أن يوصم سجله بحالة فشل واحدة؟ إذا شعر أولئك الذين يتبعون بهذا التوجس غير المريح فلن يلتزموا بهذا القائد في فترات الأزمات. تنقسم بناء على ذلك معايير الثقة إلى أمرين، أولهما هو القدرة والثاني هو الشخصية. من بين هذين الأمرين تبرز الشخصية لتكون هي الأمر الأهم. ليست معظم الأخطاء قائلة. إن عدم القدرة في شخصية القائد أمر مؤذي، لكن إذا كان القائد راغباً في التعلم يمكن التغلب

على معظم الأمور مع الوقت. الشخصية هي الأمر الأكثر أهمية، ونقاط الضعف هنا من الممكن أن تكون قاتلة. حتى عدم القدرة على التعلم من الأخطاء يعود في الأغلب إلى عيب في الشخصية أكثر من كونه نقصاً في القدرة. لكن الشخصية لا تتطور أو تتغير فجأة. المآزق لا تخلق الشخصية، بل تسلط الضوء فقط على الشخصية الموجودة فعلاً. الثقة إذا تعتمد على معرفتي بشخصية ذلك الإنسان وكذلك ثقتي في قدرتي. وقد تضمن لي قدرته أنه سيعرف في أي موقف ما هو الصواب ويقوم به. الشخصية فقط هي التي ستمنحني الثقة في أنه سيفعل في الواقع ما يعلم أنه صواب.

ليس الأشخاص فقط هم المحتاجون لأن يثقوا في قادتهم، فالقادة أيضاً يجب أن يثقوا في أفرادهم. خبرتي بصورة عامة هي أن القادة لا يفعلون ذلك كما لا يفعله الأتباع أيضاً، وهذا هو سبب وجود صعوبة شبه دائمة في أن تقود قادة. فالقادة بصفة عامة ليس لديهم قدر كبير من الثقة في الأشخاص الذين يقودونهم. وحيثما أجد في أي منشأة من أي نوع، بما في ذلك الكنائس، أن القادة يحتفظون لأنفسهم بالحق النهائي في اتخاذ القرار، وهو سلطة احتياطية تستخدم

فقط في حالة سير الأمور في اتجاه خاطيء، أتوقع أن جذور ذلك تعود إلى أن ثقتهم في أفرادهم ثقة مشروطة أو محدودة فقط. وليس لهم بعد ذلك الشكوى إذا كانت ثقة الأفراد فيهم مشروطة أيضاً.

## الفصل الرابع

# صنع للكرامة

إذا كان العنصر الأكثر تأثيراً والأكثر ثباتاً من بين هذه العناصر الأربعة التي تصنع العلاقة هو عنصر المحبة، وإذا كان العنصر الأكثر رقة وحساسية هو الثقة، فبالتأكيد أن أكثر العناصر التي تتعرض للتجاهل أو الإهمال في مجتمعنا اليوم هو الاحترام أو الكرامة.

ومع ذلك فالكتاب المقدس حافل بالدلائل التي تشير إلى تقديم الاحترام والكرامة. ونحن غير مطالبين بالإفراط في تقديم ذلك. فأول كل شئ نحن مطالبون بإكرام الله؛ ففي الحقيقة يعود أصل خطية الإنسان كما يقول الرسول بولس في رسالته إلى أهل (رومية ١ : ٢٧) هو أنهم لم يكرموا الله كإله.

ونحن مطالبون أيضاً أن نكرم آبائنا وأمهاتنا [٢٤] فطاعة الآباء أمر يخص مرحلة طفولتنا، أما الإكرام فهو مُلزم لنا على امتداد حياتنا. إنه جزء من القانون الأخلاقي وهو في الواقع

---

[٢٤] أفسس ٦ : ٢

الوصية الأولى المصحوبة بوعد. سترى أهمية ذلك لاحقاً. لكننا يجب أيضاً أن نكرم أصحاب العمل الذين نعمل لديهم، وقادتنا وشيوخنا في الكنيسة؛ وعلى الأزواج أن يحترموا زوجاتهم وأن تحترم الزوجات أزواجهن وأن يكون الزواج مكرماً من الجميع. مما يثير الدهشة أننا مطالبون أيضاً باحترام الضعاف وقليلي الحظ - الأرامل، وأعضاء الجسد المتقدمين في السن وقليلي المواهب والذين لم يصيبوا إلا قدراً قليلاً من النجاح. إننا في الحقيقة مطالبون بإكرام بعضنا البعض والجميع بغض النظر عن حالة الشخص أو وضعه. ومما يثير الدهشة أكثر حقيقة أن الإكرام ليس مجرد شيء نقدمه نحن فقط لله، بل يقدمه الله أيضاً لنا. يقول الله عن شعبه "اكرم الذين يكرمونني"[٢٥]. يقدم لنا الكتاب المقدس صورة مجتمع مبني على تدفق متبادل من الكرامة والاحترام، بين كل أعضائه.

## ما هي الكرامة أو الاحترام؟

الكرامة أو الاحترام هي الاعتراف بقدر أو قيمة شخص

[٢٥] صموئيل الأول ٢ : ٣٠

آخر. عندما أقدر أو أحترم شخص ما أعترف بقدر وقيمة وكرامة هذا الشخص. لذا يجب إكرام الله قبل الكل وفوق الكل لأنه القيمة الأعلى والأسمى في كل الكون، بل وأعلى بكثير في الحقيقة من قيمة كل الكون مجتمعاً معاً. لكن الكرامة تعترف أيضاً بقدر وقيمة رجال ونساء مخلوقين على صورة الله. وهذا الإكرام يمثل أمراً جوهرياً لعدة أسباب.

أولاً، عندما أعترف بقيمة شعبي أكون مدركاً لمدى غنى حياتي بصورة لا تصدق لأنها محاطة برجال ونساء كثيرين لهم قيمتهم وقدرتهم، بل وتتفاعل أيضاً معهم. تكتسب حياتي بذلك إحساساً بالمعنى والأهمية. إذا لم أقدر الاحترام أو التقدير، وإذا لم أكرم الأشخاص المحيطين بي، فأنا أضرب حياتي الشخصية بالفقر وأجردها من أهميتها لأني أتصرف كما لو كنت أتعامل مع أشخاص لا قيمة لهم.

ثانياً، فقط عندما أتلقى أنا بنفسي الإكرام والاحترام من الآخرين أستطيع أن أشعر بقدر وقيمة نفسي. هناك علاقة مباشرة بلا شك بين الأعداد الكبيرة من البشر في مجتمعنا التي تعاني من تدني نظرتها لذاتها وبين الطريقة التي نتحرك بها كمجتمع نحو إظهار عدم الاحترام للآخرين. إننا لا

نهاب الله ولا كلمته، ونكيل عدم الاحترام لمؤسسات المجتمع، ونحتقر الماضي والقيم الأخلاقية والأبوة والسلطات وحقوق الآخرين. إن عدم الاحترام أو الإكرام أمر ليس جديراً بالتباهي كما يحدث في الواقع. فهناك الكثيرون في وسائل الأعلام يتكسبون معيشتهم من هذا. يجب إظهار ذلك الأمر كخلل وعيب وعار. إننا نحصد ما سبق وزرعناه كما يقول مرنم المزمور "الأشرار يتمشون من كل ناحية عند ارتفاع الأرذال بين الناس" (مزمور ١٢ : ٨)

إلا أننا نحصد أيضاً النتيجة في ذواتنا. إننا نواجه عدم الكرامة ونعاني من قلة احترامنا لذواتنا، ويضربنا إحساس عدم الاستحقاق. في النهاية، إن محاولة إعطاء أنفسنا صورة شخصية جيدة تصل في النهاية إلى طريق مسدود. لا يمكن أن يتم هذا، فأنا لا أستطيع أن أمنح نفسي الكرامة، على الرغم مما تخبرنا به كل كتب "علم النفس الذاتي". إننا معتمدون أحدنا على الآخر، وتتشكل صورتنا الذاتية بناء على علاقاتنا. لا يمكن الدليل على وجود صورة ذاتية متدنية نظراً لعدم القدرة على تكوين أو المحافظة على علاقات جيدة مع

الآخرين، لكنها تتكون في المقام الأول نتيجة وجود علاقات سيئة أو نتيجة نقص في العلاقات الجيدة والنقص يكون أساساً نقصاً في التأكيد على الذات أو الكرامة.

## معايير القيمة

إذا كان الاحترام أو التقدير هو اعترافاً بالقيمة أو الاستحقاق، علينا أن نقرر من أين تنبع القيمة أو كيف تنشأ. كل قيمة تُنسب إلى شيء ما. فقيمة أي شيء هي ببساطة التقييم الذي يضعه الأشخاص لهذا الشيء. قد أنفق مليون دولاراً لأصمم وأنتج أداة رائعة، ومتفوقة في مجال ما وقد أنفق قيمة مماثلة لتسويق تلك الأداة، لكن إذا لم يشتر أحد هذه الأداة الرائعة فقيمتها تساوي صفراً أو تساوي بالأكثر قيمة الخردة التي ستؤول إليها هذه الأداة. وعلى جانب آخر ينفق بعض الأشخاص ثروة كبيرة للحصول على طابع بريدي نادر قيمته كمادة لا تتعدى قيمة سنتيمترين مربعين من الورق وهي بذلك تساوي صفراً. إن الأشياء التي يحترمها أو يقدرها البشر تكشف بناء على ذلك بمنتهى الوضوح القيم المبني عليها المجتمع. إنها تقدم لنا أسساً لمقارنة مجتمعنا بمجتمعات

أخرى أو مجتمعنا الآن بمجتمعنا في عصور أخرى. من الواضح أن المجتمع الغربي يعطي أعلى قيمة للتسلية والمتعة والقدرات الرياضية والثروة المادية حيث أن من ينجحون في هذه النواحي ينالون أعظم تقدير واحترام.

عندما يصل الأمر إلى البشر ذواتهم، فهناك ثلاثة معايير مستقلة للتقييم بحاجة لتمييزها عن بعضها بوضوح. أولها هو "القيمة الداخلية" أو قيمتي كشخص، بعيداً عن مواهبي أو ممتلكاتي أو إنجازاتي. وهذه القيمة والأهمية الأبدية ممنوحة لي من لدن الله، وهي بذلك مرتبطة في قيمتها أيضاً بما هو خارجها. فلا شيء أستطيع فعله ليضيف إلى تلك القيمة ولايوجد ما يمكنني عمله للانتقاص منها. لقد منحني الله المحبة بلا شرط، لذا فهو يمنحني الأهمية بلا شرط أيضاً. مازال بإمكاني تذكر الوقت الذي حلت هذه المحبة عليّ. الآن أدرك أنه إذا عشت منذ تلك اللحظة بصفتي الشخص الأكثر نجاحاً ولمعاناً على مر التاريخ، فلن يضيف هذا مثقال ذرة إلى قيمتي الداخلية الأبدية. فهذه القيمة ممنوحة لي، لم أربحها أو أنالها عن استحقاق. لكن إذا أخذت من هذه اللحظة أفشل في كل شيء أقوم به، وإذا فقدت سمعتي أو صحتي أو

ممتلكاتي أو أصدقائي أو سلامتي العقلية، لن يهدد أي من هذا بالخطر قيمتي الداخلية الأبدية مثقال ذرة. إن إدراكي لهذا الحق جلب الشعور بالأمان لحياتي مثلما لم يفعله سوى حفنة قليلة من الحقائق الجوهرية الأخرى.

إن أهمية احترام القيمة الداخلية للشخص أمر لا يمكن المزايدة عليه. إن أكثر الأشخاص تدهوراً أو أكثرهم في عدم الكفاءة أو أكثرهم في عدم القدرة أو أكثرهم إعاقة يظل ممتلكاً لقيمة داخلية بصفته شخص حي. لا يعود هذا إلى أن الشخص يمثل قيمة بالنسبة للمجتمع أو لأي هدف آخر، فللشخص قيمة كهدف في حد ذاته وهذه القيمة يجب احترامها دائماً. فهم لهم كرامتهم التي تخص كينونتهم كأشخاص أبديين مخلوقين على صورة الله. ساقطون نعم لكنهم مفديون وقادرون على الشركة الأبدية مع الله. إن نقص هذا الفهم الأساسي يمثل الخلفية للكثير من الظلم والقهر في عالمنا اليوم بما في ذلك الإجهاض والفقر والتمييز العنصري والدعارة والأفلام الإباحية.

هذا النوع من الاحترام المنصب على الشخص في حد ذاته يستلزم منا أن نضع تفرقة واضحة جداً بين تفسير ما هي

كينونة الشخص، وبين ما يفعله ذلك الشخص. كان يسوع يطبق هذا التفريق دائماً، وأحد أكثر الأمثلة وضوحاً لذلك هي مقابلته مع المرأة السامرية المسجلة في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. عندما قال يسوع لها "كان لك خمسة أزواج (ومن المرجح أنها تطلقت في كل مرة ولم تترمل) والذي لكِ الآن ليس هو زوجك"، لم تنفجر في وجهه أو تغضب أو تقول له "هذا ليس من شأنك". بل قالت "يا سيد أرى أنك نبي". إنه أمر مثير للعجب. أعتقد أن هذا راجع إلى أن المرأة في تلك اللحظة أدركت فعلاً أن يسوع كان يقدرها كشخص. كان يخاطبها بنفس التعبيرات التي استخدمها عندما تحدث مع أمه في عرس قانا الجليل مع أنه كان يدرك أسلوب حياة تلك السامرية إدراكاً تاماً أيضاً. ولأن يسوع كان يهتم بها بعمق كان عليه أن يواجهها بسقوطها الأخلاقي، لكن لأنها كانت تشعر بالأمان في تقبله لها كشخص لم تشعر أنها مرفوضة في هذه المواجهة، وعندئذ وقف الاثنان جنباً إلى جنب ينظران إلى حياتها ويقول يسوع لها "إنها فوضى" وتجيبه هي "نعم يا سيد أنها فوضى رهيبة".

هذا النوع من الاحترام يأتي في قلب وجوهر كل

علاقات الفداء. لكنك لا تستطيع أن تتظاهر به أو أن تتحرك بهذا التظاهر. فالبشر حساسون جداً للاتجاهات الشخصية. لكن إذا كان هذا الأمر موجوداً حقاً في قلبك، اكتشف أنا أنه باستطاعتك أن تكون صريحاً ومباشراً بقدر الاحتياج بخصوص أسلوب حياة الشخص الذي أمامك وهو لا يشعر في نفس الوقت أنه مرفوض. قد يجادلونك بخصوص تقييمك أو بخصوص حالتهم، لكنهم لن يكونوا بعيدين عنك كأشخاص نتيجة أنك ترى الأمور بصورة مختلفة عنهم. لكن إذا لم يكن هذا الاحترام متوفراً، وكنا في أذهاننا نخلط بين الشخص وأسلوب حياته في قالب واحد، فنحن نواجه المتاعب. أحد هذه المتاعب هو أنه عند إصدارنا حكماً على أسلوب الحياة فنحن نرفض الشخص أيضاً في ذات اللحظة والمشكلة الثانية هي أننا عندما نريد أن نتقبل ذلك الشخص لا نعرف كيف نتصرف تجاه أسلوب حياته. فنحن لا نملك إجابة للشخص الذي يقول لنا "يجب أن تقبلني كما أنا وهذا يشتمل على سلوكي الشاذ جنسياً أو إدماني للمخدرات أو عدم أمانتي. فأنا لا أحتمل انتقاد هذه الأمور، أو أنت تصدر أحكاماً والمسيحيين لا يفترض فيهم الإدانة".

إن مهارة إدارة وتوجيه البشر في أماكن العمل أو في الكنيسة تعتمد على نفس قاعدة التفريق الأساسية. قد يتعين عليَّ أن أقول لذلك الشخص "أنا كشخص أقبلك تماماً وبلا تحفظ. وأنا كأخ أو أخت لك في المسيح أقبلك بلا شرط. لكني لا أستطيع أن أقبل مستوى تصرفاتك هذا ولن أقبله؛ ويجب فعل شيء في هذا الصدد".

## قيمة الصيت الحسن

المعيار الثاني للقيمة الذي يجب إدراكه هو القيمة المنسوبة للصيت الحسن. يقول سفر الأمثال "الصيت أفضل من الغنى العظيم"[٢٦] تنشد العروس لحبيبها في نشيد الأنشاد قائلة "اسمك دهن مهراق"[٢٧]. الأسماء في الكتاب المقدس تعني دائماً إثبات للصيت الحسن. إن الاحترام أو الإكرام اللائق بالصيت الحسن هو أحد الاحتياجات الملحة للمحافظة على نظام القيم في مجتمعنا. التركيز في العهد الجديد ليس على المواهب أو القدرات أو العطايا بل على الصيت الحسن فهو محور الاختبار وليست صفة الزعامة المميزة (الكاريزما). من الواضح

[٢٦] أمثال ٢٢ : ١

[٢٧] نشيد الأنشاد ١ : ٣

أن هناك القليل جداً على سبيل المثال المخصص للشيوخ للقيام به أو لوظيفة الشمامسة لكن هناك الكثير من التركيز الموجه إلى نوعية الرجال التي يجب أن يكونها أولئك الذين يشغلون هذه المراكز. سبب ذلك هو أن دورهم إداري في المقام الأول، وهذا معناه أنهم يجب أن يلتزموا بمعايير الحياة المسيحية المطبقة في المجتمع المسيحي. لا يوجد الكثير من الشيوخ الذين يفهمون هذه المسئولية. دعيت ذات مرة لكنيسة مضروبة بالصراعات والمرارة عاماً بعد عام. وكانوا قد أصيبوا بصدمات عديدة من رعاة وقادة وأعضاء بارزين من الشعب. عندما ناقشنا دورهم الحقيقي كشيوخ وصلنا إلى جوهر المشكلة الحقيقي. افتقد كل هؤلاء الرجال الشجاعة للتعامل بفاعلية مع الموقف لأنهم كانوا يعانون من مشاكل شخصية في نفس الأمور عينها. وكان هذا كافياً كي يخرس ألسنتهم ويبطل مفعول سلطانهم. عندما تم التعامل مع هذا الوضع بأمانة أمام الرب قاموا بدعوة الكنيسة كلها معاً واعترفوا بفشلهم في قيادة الكنيسة بصورة صائبة وأرسوا بوضوح قواعد الأسس الكتابية الخاصة بالانسجام والتقبل التي وضعها الله لشعبه. وتوقفت المشاكل على الفور تقريباً.

عندما أفكر في الصيت الحسن أفكر عادة في أبي. كان أبي عاملاً وظل هكذا طوال حياته، شخص غير معروف خارج نطاق الدائرة الضيقة لعائلته والكنيسة المعمدانية المحلية التي كان يحضرها. إلا أنه عندما توفي خلف ورائه أربعة أولاد جميعهم مسيحيون ويتمتعون بزيجات مسيحية مستقرة. ذهب إلى إلهه محملاً بأخطاء كثيرة في حياته بعدد النباتات الضارة في حديقته، وكانت فلاحته مبنية على محبته العظيمة. إني أتعجب في بعض الأحيان ما الذي يمكن للإنسان أن يفعله في حياته وتكون له قيمة أبدية.

إلاّ أن الصيت الحسن ستكون له قيمة في الجيل التالي فقط إذا رأى البشر أن له قيمة في الجيل الحالي. إذا تبنينا اتجاهاً داخلياً يعطي قيمة للشخصية أعلى من الصيت الحسن، أو النجاح أعلى من الصيت الحسن، أو يضع الممتلكات أعلى من الصيت الحسن، فلا عجب إذا اتبع أولادنا نفس النهج.

## البحث عن التميز

هناك معيار ثالث للقيمة وهو الاعتراف بقيمة الأداء أو الإنجاز. الشيوخ الذين يعملون بجد في الوعظ والتعليم

يستحقون كرامة مضاعفة كما يقول بولس. يجب أن نقدر الكرامة بهذا الاتجاه لأولئك الذين تحق لهم الكرامة. في كل شئ نقوم به يجب أن يكون هدفنا هو التميز فيه. يجب أن نرغب في أن نصير الأفضل على الإطلاق حسب قدرتنا في كل شيء نتحرك فيه. نحن نمتلك حقاً إمكانيات ومواهب محدودة وقلة محدودة منا تستطيع أن تواجه العالم وتهزمه حتى مع استخدام أفضل ما لدينا، لكننا نستطيع جميعنا، مثل بولس، أن نصارع بكل قوة حسب نعمة الله التي فينا.

نحن بحاجة أن نكرس أنفسنا للنمو. الطفل الصغير ينمو بدون حتى أن يحاول ذلك. امنحه طعاماً ونوماً وتدريباً جسدياً واهتماماً بمحبة وهو سينمو، لكن إلى حدٍ معين فقط، إلى مستوى نمو طبيعي محدد. هذه الفتاة الصغيرة لن تنمو لتصير طبيبة أو سياسية أو معلمة أو عازفة موسيقى مالم تقرر بإرادتها الواعية في لحظة ما من حياتها أن تعمل على تنمية ذاتها. إن كنائسنا مليئة "بمسيحيين ناضجين". إنهم مسيحيون نموا إلى المستوى الطبيعي للنمو الروحي منذ ٢٠ سنة مضت ولم يتغير فيهم شيء تقريباً منذ ذلك الحين. الأمر في الواقع لا يحتاج إلى مجهودات خارقة للطبيعة أو قفزات

ضخمة كي نحقق تقدماً جوهرياً يمكن إدراكه. إن الشركات الرائدة في الولايات المتحدة، والتي تشق الطريق أمام غيرها، لا تفعل أي شيء ضعف ما يفعله أي شخص آخر، إنها تقوم به بصورة أفضل ١٪ فقط من أي شخص آخر. التميز، أو الطريق إليه، يتحقق بهذا المدخل، وهو شيء في متناول كل كنيسة، كل عمل، كل أسرة، كل شخص، بكل صورة من صور العلاقات. وهذا يعني فقط تطوير أدائنا بصورة طفيفة في مختلف المناطق. ما الذي سيحدث في الكنيسة حيث يتعهد أعضاؤها على امتداد عام كامل بأن يصيروا أفضل بنسبة واحد بالمائة في المحبة منزل وواحد بالمائة أوفر اجتهاداً في العمل، ونفس الأمر في مثابرتهم على دراسة الكتاب المقدس، واهتماماً أكبر بجيرانهم، وأكثر كرماً في عطائهم، ومشاركة أعظم في الأنشطة الاجتماعية وحساسية أدق نحو صوت الله. في ظرف شهور ستجد نفسك وسط نهضة حقيقية.

كيف نضع تقييماً صحيحاً للتميز؟ بالتعرف على المجهود المبذول والتأكيد على أهميته، بمكافأة الاهتمام ببذل هذا المجهود وكذلك نتائجه، وبملاحظة ومدح الإنجاز. كان أحد أبنائي مدرساً. وهو يخبرني بأحد أفضل ذكرياته عن تلك

السنوات التي كانت صعبة بعض الشيء، وهي ذكرياته عن كلية "ماوري" التي لم يدخل أحد فصله بدون أن يعثر على شيء يعجب به أو يمتدحه، سواء كان ملصق حائط أو جدول عمل أو لوحة عرض من نوع أو أخر. هذا أضاف شيئاً لالتزام وأمانة "مارك" نحو وظيفته ورغبته في عمل أفضل شيء ممكن في وظيفته وبصورة تفوق كل ما تعوضه علامات التأهل أو ترقيات أو زيادات في المرتب.

## إظهار الاحترام، تقديم الإكرام

كيف تقدم الإكرام؟ كيف نتصرف مع نقص الاحترام؟ كيف نظهر لشريك الحياة أو أولادنا أو زملائنا أو قادتنا أننا نقدرهم فعلاً؟.

فيما يلي مجموعة من الكلمات التي قد تساعدنا على التمكن من تنفيذ ما نتحدث بصدده. إن إكرام شخص ما يعني الاعتراف به واستقباله والتعامل معه. هل سبق لك ذات مرة أن كنت وسط مجموعة من الأشخاص ووجدت أن كل من عداك قد تجمعوا في دوائر صغيرة وانطلقوا في محادثات مفعمة بالحيوية؟ هل حاولت أن تدخل إلى إحدى تلك المجموعات

الصغيرة وأخذت تدور حول تلك الحلقة من الأكتاف المتزاحمة بدون العثور على ثغرة كافية كي تندس فيها؟ ما شعورك في تلك اللحظة؟ وما شعورك عندما تفسح مجموعة مكاناً بصورة تلقائية بمجرد دنوك ويناديك أحد الأشخاص باسمك ويلوح لك كي تنضم إليهم؟ في الموقف الأول تشعر بعدم الإكرام والرفض والتجاهل بينما في الموقف الثاني تشعر بالإكرام والتقدير. إني أتوق إلى مجتمع كنسي يتفهم تماماً الحاجة للاعتراف بالآخرين وتقديرهم وتنفتح فيه المجموعات تلقائياً في كل مرة كي تضم إليها القادم الجديد وترحب به، سواء كان معروفاً لها أو مجهولاً.

الاحترام أمر ضمني داخل أية علاقة ولا توجد علاقة بإمكانها أن تستمر لأمد طويل بدون هذا العنصر. لكن الاحترام، مثله في ذلك مثل المحبة، لا يمكن اعتباره أمراً مفروغاً منه. لأنه كي تنمي هذا العنصر وتجعله مزدهراً يجب أن تعبرً عنه. ومن الممكن أن يؤدي إهماله إلى موته ونحن لا ندرك هذا الأمر إلا متأخراً جداً. أذكر ذات مرة كنت أتحدث مع زوجين شابين كانا على حافة الانفصال. قالت الزوجة "عندما تزوجنا كنت أعتقد أن "ريتشارد" شخصاً رائعاً. لا

أعلم ما الذي طرأ لكن منذ عدة أشهر مضت أدركت فجأة أني لا أحترمه بالمرة. وأنا لا أحترمه الآن".

إن أول وأوضح طرق إظهار الاحترام هو أن نقول ذلك، وأن نعبر عن تقديرنا للشخص الآخر بكلمات. إن التعبير عن المدح والاحترام والتقدير والاعزاز والموافقة والإطراء كلها طرق تظهر الإكرام. والآباء بحاجة أن يتذكروا ذلك. يولد الأطفال ولهم احتياجان أساسيان فقط، الحاجة للمحبة والحاجة للشعور بالأهمية، أو الحاجة للشعور بالرضا تجاه أنفسهم. وهذا الاحتياج الثاني يرتبط بالكرامة وليس بالاحتياج للمحبة. حقاً الطفل المحبوب يتمتع بفرصة أفضل كي يشعر أيضاً بالإكرام، لكن الأمر ليس بالضرورة كذلك، وبالتأكيد الطفل غير المحبوب يخسر على الصعيدين. عندما ينقص الإكرام سيعاني الطفل حتى وأن كانت المحبة كافية. إن أكثر النتائج المترتبة على ذلك شيوعاً هي الإحساس بمركب النقص أو ما هو أسوأ من ذلك وهو ضياع الأمل ونقص كل تشجيع مطلوب.

والدور المحورى والحاسم في هذا الصدد هو دور الأب. فالأبوة تعني منح الطفل شعوره بشخصيته وقيمته الذاتية. من الواجب علينا جميعاً أن نقرأ عن الأبوة التي تلقاها يسوع. فقد

منحته اعترافاً بشخصيته "أنت ابني الحبيب الذي به سررت" والإكرام "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب"[٢٨]

شاركت ذات مرة في مقابلة تليفزيونية تدور حول مشاكل الآباء والأبناء. قبل أن نقف أمام الكاميرا تحادثت مع أحد المشاركين الآخرين، وكان أستاذاً لعلم نفس نمو الطفل في إحدى جامعاتنا، عن الاحتياج لنماذج من الأبوة. قلت أني كنت أتمنى أن أعرف منذ زمن أبوة الله بالطريقة التي أعرفها بها الآن، أي عندما كان أطفالي صغاراً، لكنت قد صرت أباً لهم أفضل كثيراً مما كنته في الحقيقة. كانت إجابته كالمصباح المنير. فهو لم يدرك كل هذا اللغو الخاص بالأبوة، لكنه قال أن كل ما يحتاجه الطفل هو أبوة صالحة بغض النظر عما إذا كانت قد أتت من جهة الأب أو من حهة الأم. إني أدرك الآن أن الأعداد المتزايدة للأسر التي يرعاها أحد الأبوين فقط تعني أن دوري الأب والأم من المكن بصورة ما أن يلعبها نفس الشخص، لكن هذا لا يمثل القانون الإلهي. فالأبوة والأمومة ليسا نفس الشيء. إذا وضعنا تفرقة واضحة بينهما

[٢٨] مرقس ١ : ١١ ، يوحنا ٥ : ٢٣

يمكننا أن نقول أن الأمومة تفي في المقام الأول باحتياجات الطفل للمحبة بينما تفي الأبوة باحتياجات الطفل للقيمة. من الواضح أنها ليست تخصصات مطلقة لا يمكن امتزاجها، فالآباء يجب أن يشاركوا في الاحتضان أيضاً، وأن تكون الأمهات حازمات كذلك، لكن لاحظ طفلتك الصغيرة ـ إذا سقطت وجُرحت ركبتيها، فمن المعتاد أن تجري إلى أمها طالبة للمواساة، لكنها إذا عادت إلى المنزل من المدرسة ومعها شيء فخورة بإنجازه فمن المعتاد أنها سترغب في إظهار ذلك الشيء لأبيها. وفوق كل هذا علينا أن نعزز "القيمة الداخلية" للطفل. من السهل على الفتاة الجميلة أو الصبي الذكي أو الرياضي أن يكون واثقاً في نفسه لكن ماذا بخصوص أولئك الذين ليسوا بنفس الدرجة من الذكاء والجمال؟ كيف يحصلون على شعورهم بقيمتهم؟ أنت بحاجة لأن تقول لأطفالك مرات عديدة ليس فقط "أحبك" بل أيضاً "أنك أنيق ومهندم في رأيي. أنا فخور جداً بك".

لكن الكرامة شيء يمكن التعبير عنه أساساً بطرق أخرى غير استخدام الكلمات. فهي تتضح في نغمة الصوت أكثر من الكلمات ذاتها، وفي نظرات عيوننا، وفي الطريقة التي

ننظر بها أحدنا للآخر. راقب طفلاً رضيعاً مستغرقاً في النظر إلى لعبة في منتصف الغرفة، عندما يدرك وجود نظرات مفعمة بالمحبة والفخر والفرح صادرة عن أبويه وعائلته. يمكنك أن تراه في تلك اللحظة وقد بدأ في التوهج والإشراق من داخله. ما الذي يحدث؟ روحه الصغيرة تمتص الإكرام الموجه له. يخبرنا العلماء أن الطفل يحصل على شعوره الأول بالأهمية قبل أن يتمكن من فهم الكلمات. من أين يحصل هذا الطفل على ذلك الشعور؟ من وجه أمه. من هذا الوجه المبتسم المحب الذي يحصل منه الطفل على شعوره بقدره وأهميته. لكن إذا لم يكن وجه الأم مبتسماً، أو كان عابساً، من الممكن أن يتكون لدى الطفل شعوراً بالسوء غير محدد المعالم، أو إحساس واضح بعدم القيمة. يجب أن تصدق ما أقوله هذا. فقد تحدثت مع أشخاص بالغين كانوا كل حياتهم لا يشعرون بشيء جيد بل كانوا يشعرون أن ما يحدث معهم مجرد أسوأ الأمور، وهذه هي قوة الصورة الذاتية التي تخرج من داخلهم، وتحدث معهم فعلاً نفس الأمور التي توقعوها.

لقد بدأت الآن في فهم لماذا كان يرغب رجال ونساء الكتاب المقدس دائماً أن يروا وجه الله. يصرخ داود "لا

تحــجب وجــهك عــني" "وجــهك يــا رب أطلــب"[٢٩] مــن أيــن شعورنا النــهائي بالقيــمة والأهــمية؟ مــن وجــه الله. عــندما يختبأ وجــهه يتداعى أي شــعور داخلي بالأهــمية.

ولكن التلامــس مــهم أيضــاً في توصيــل الإكــرام. التفــاف ذراع الأب حول كتــف ابنــه أو لمسة على خد ابنتك عند مرورك بجانبــها أو مداعبــة شــعر طفــل صغــير أو احتضــان ابــن عنــد مقابلتــه، حتــى عندمــا يكــبر أولادك، أو التلامســات المعنويــة بــدون سبب على الإطلاق بين زوج وزوجتــه، كل هــذا لا ينقــل المشاعر والعواطف فقط بل الاحترام والإكرام أيضاً.

الرجــال والنســاء في أمــاكن عملــهم ووســط قســوة وخضــم الصراعات في العمل يتعرضون دائماً لمواقــف تــؤدي إلى تــآكل أو ضغط ثقتــهم واحترامــهم لأنفســهم. فتخطــي المرء في الترقيــة أو فقــدان صفقــة أو ارتكــاب خطــأ والتعــرض لتــأنيب قاســي مــن جــانب المديــر، وشــغل وظيفــة يتعــين عليــك فيــها أن تتلقــى أوامــر مــن شــخص آخــر طوال الوقت كما لــو كنــت غــير قــادر علــى اتخــاذ قــرارات، أو الدخــول في مشــاكل ومتــاعب ماليــة، أو قيــام الشــركة بالاســتغناء عنــك لتخفيــض العمالــة، كلــها أمــور تجعلنــا

---

[٢٩] مزمــور ٢٧ : ٩

عرضة بدرجة كبيرة للشك في ذواتنا. كذلك التقدم في العمر، وتدهور الصحة، والتبدد التدريجي للأحلام التي طالما عشناها وتمنيناها على اعتبار أنها أهداف من الواضح أنها لن تتحقق. في كل هذه الظروف يستطيع الزوج والزوجة التماسك معاً وتقوية ثقة الأخر المجروحة في ذاته ويستطيع كل منهما القيام بذلك مع الآخر بصورة أفضل من أي شخص آخر على سطح الأرض أو يمكنهم تدمير تلك الثقة أكثر لأنهم يدركون جيداً نقاط الضعف في بعضهم البعض فقط.

الاحترام والإجلال أمران يمكن توصيلهما أيضاً عندما نكون مهتمين حقاً بمصلحة الشخص الآخر وبأموره. عندما أعتبر ما يعد أمراً هاماً للشخص الآخر هاماً أيضاً بالنسبة لي ففي هذا إكرام لذلك الشخص. أثناء فترة الستينات كنت في أستراليا أقوم بتعيين رجال تجارة لصالح الشركات في نيوزيلاندا في تلك الأيام التي كانت العمالة في بلادنا أقل من المطلوب. كنا في (أديليد)، نجري مقابلات مع نجارين عندما أتى زوجان إنجليزيان في بداية الأربعين من العمر لمقابلتي. تحدثنا عن الوظيفة وعن خلفيته المهنية وخبرته، وكان من الواضح أنه يناسب الوظيفة وكان هو يرغب في الحصول عليها

أيضاً. كانت مشكلته هي أنها كانا قد هاجرا لتوهما من إنجلترا إلى أستراليا، وكان هو متردداً بخصوص نقل زوجته مرة ثانية من منزلها وأصدقاءها لتبدأ حياتها من جديد مرة أخرى. مازلت أذكر رد فعل زوجته بعد كل تلك السنوات فهو ملتصق بذهني بصورة قوية. استدارت الزوجة نحو زوجها وقالت "لا تشغل بالك بي يا عزيزي فعملك هو المهم". أذكر أني فكرت في تلك اللحظة في داخلي "أرجو أن يقدِّر ذلك النجار الزوجة التي معه". لقد كان هذا تعبيراً عن الاحترام.

وفي النهاية، ولعل ما سأقوله هو الأكثر أهمية على الإطلاق، يتم تقديم الإكرام والتبجيل عندما يكون الشخص موجوداً لأجل الآخر. عادة عندما نكون متواجدين في مكان ما يكون ذهننا أو أنتباهنا مشتتاً في أمر آخر. الأطفال حساسون جداً لهذا. أتذكر عندما كان طفلك الصغير يقص شيئاً عليك وأنت ماضي معه في المحادثة بردود عامة مثل: نعم، فعلاً، تمام، في الوقت الذي تراجع فيه قائمة المشتريات أو تحاول إصلاح أحد الأجهزة المنزلية. وتفاجأ بتلك الصرخة الساخطة "أنت لا تسمع لي!" أن تكون موجوداً لأجل الآخر فهذا معناه اهتماماً فعالاً لما يقوله؛ وهو أيضاً وجود حتى عندما لا تكون

هناك محادثة كلامية بالفعل. أنت تبدأ بالتحدث لشخص ما في إحدى الحفلات وعندما تصل إلى منتصف الجملة الثانية تكتشف أن من تتحدث إليه ينظر من فوق كتفك الأيسر إلى بقعة ما في الجانب الآخر من القاعة. ما الذي تشعر به؟ تشعر بعدم الاحترام وعدم الأهمية والخذلان.

أذكر ذات مرة كانت إحدى حفيداتنا تمكث معنا أثناء الصيف. يقع منزلنا على ساحل البحر مباشرة وكنا قد نزلنا إلى الشاطئ لنبني قلعة من الرمل. كانت الصغيرة "ليديا" تبلغ السادسة من العمر في ذلك الوقت. وفجأة نظرت إليّ وقالت "يا جدي، لماذا تمنحني هذا القدر الكبير من الوقت؟" كان بالنسبة لي استثماراً متواضعاً للوقت لكن ما الذي كان يحدث؟ لقد شعرت تلك الفتاة الصغيرة بالأهمية والتقدير والإعلاء من شأنها لأن هناك شخص يمنحها جزءاً من وقته.

في النهاية، هناك شيء هام بخصوص الإكرام نجده كامن في قلب الاتحاد الجنسي في الزواج. وهذا الشيء نجده مجسداً في كلمات طقوس الزواج فنحن نقول "أكرمك بجسدي" لعله أعظم إكرام يستطيع الرجل أن يقدمه لامرأة أو تستطيع امرأة أن تقدمه لرجل. لذا حفظت الحكمة الإلهية هذا الأمر

لعهد الزواج فقط. فهو يجمل كل الأبعاد والأفكار التي ذكرناها للتو، الكلمات، النظرات، التلامس، التواجد لأجل الآخر، الاهتمام باحتياجات ومصالح الطرف الآخر. اليوم تحفل وسائل الإعلام بالسخرية اللاذعة بصورة مستمرة ومميزة من إخلاص وأمانة الزواج. لكن أي خادم أو كاهن أو مشير أضطر أن يتعامل مع شخص يمر بصدمة اكتشافه أن شريكه في الزواج لم يكن أميناً سيخبرك بنفس الشيء وهو أن الشيء الأعمق من أية مشاعر غضب أو جرح أو غيرة يأتي من الشعور بعدم الاحترام أو الإحساس بسلب الكرامة والأهمية الشخصية. إنها قضية من النادر تناولها بصورة وافية وبسبب أنه لا يتم تناولها بصورة سليمة، كثيراً ما تتقوض محاولات مخلصة للمصالحة بين الطرفين.

نادراً ما نجد أمور من شأنها أن تغني نوعية علاقتنا أكثر من استعادة الاحترام والإكرام المتبادل وإعادته إلى خريطة الحياة. فالشخص الذي ينال الإكرام يدرك ذلك، يميل كثيراً أن يتصرف بكرامة واحترام. أما الشخص الذي يسلب الكرامة بصورة مستمرة يرى في النهاية أنه لا جدوى من عمل أي شيء آخر أسمى من أن يقضي حياته وفقاً للمستوى

المتدني لتوقعات الآخرين منه.

لقد صُنعت البشرية للكرامة. عندما خلق الله الرجل والمرأة في البداية كانا "بمجد وجلال" متوجين. ونحن بحاجة لأن نعيد هذا الاحترام والإجلال المتبادل على كل المستويات في مجتمعنا، بين الأزواج والزوجات، والأباء والأبناء، والمعلمين والتلاميذ والعمال والإدارة، والرعاة والشعب. إنها تبدأ بإكرام الله، واكتشاف الحق العجيب الكافي في اتجاه الله الشخص نحونا "إذ صرت عزيزاً في عيني مكرماً وأنا قد أحببتك...". (إش ٤ : ٤٣).

## الفصل الخامس

# التَّفهُّم ... التَّفهُّم

منذ السنوات الأولى في الحياة يتكون لدينا اشتياق داخلي أن نكون مفهومين. عندما نصاب بالإحباط كأطفال نصيح ونولول "أنت لا تفهم". وكأشخاص بالغين نضج بالشكوى "لا يمكنني إفهامه" أو "لن أفهمها مطلقاً". والأسوأ من ذلك هو الشعور بالتنافر والابتعاد عن العالم البشري، "لا يوجد من يفهمني". أحد أكثر احتياجاتنا الأساسية هو أن نكون مفهومين للغير. إننا لا نتوقع أن يوافقنا الآخرون، ولا نبحث بالضرورة عن التقدير أو التهنئة. لكن ما يشبعنا بالتأكيد ويجعلنا نستغني عن الجميع هو أننا نشعر أن هناك شخص يفهمنا، شخص يعرف ما نشعر به وشخص يقدّر رغباتنا واهتماماتنا الحقيقية. لا يستطيع أحدٌ أن يعيش طويلاً بدون هذا. عندما نجد شخصاً بحاجة فعلاً لأن يفهمنا، فالأمر اللافت للنظر هو أننا نشعر بحرية فورية من حاجتنا لتبرير سلوكنا أو آرائنا. فهناك قناة مفتوحة أمامنا للتواصل بأسلوب يجعل التفاهم أمراً ممكناً ونجد أن ألسنتنا المعقودة والمرتبكة

تطلق الكلمات والأفكار بوضوح وغزارة. فالارتياح عظيم وجارف. فمن بين كل تلك الآذان التي يمكننا أن نصب حديثنا فيها وجدنا أذناً مفتوحة حقاً كي تسمعنا. إنها اللؤلؤة كثيرة الثمن، وسنفعل كل ما بوسعنا تقريباً للمحافظة على تلك العلاقة وتنميتها.

كون التفهم يعد اختباراً نادراً للعتق والراحة فهذا يجذب انتباهنا لمشهد عجيب. على الرغم من أن الحاجة لأن نكون مفهومين تمثل عنصراً قوياً للغاية وتجعلنا نبحث عن علاقات مع أشخاص يمكنهم ذلك، فهذا الأمر لا يقابله جوعاً مماثلاً من جانبنا كي نُعرف الآخرين. أننا ببساطة لا نملك نفس الرغبة الشديدة كي نعرف كما عُرفنا.

كان القديس "فرانسيس الأسيسي" يدرك هذا بلا شك عندما صلى قائلاً "اجعلني لا أطلب أن أُفهم بل أن أفهم".

لعل هناك سببين رئيسيين لهذا النوع من الانحياز. أحدهما هو مركزية الذات التي لا شفاء منها. ويجدر بنا أن نقول أننا نعتقد في أنفسنا أننا أكثر جذباً من غيرنا، ومشاكلنا أكثر أهمية، وآرائنا أكثر إلزاماً. والنقطة الثانية هي إدراكنا البديهي السليم أن فهم الشخص الآخر فهماً حقيقياً سيستغرق

وقتاً طويلاً. فأنت لا تفهم التعقيدات والتراكبات وأعماق أي شخص في لمح البصر بل تأتي النتائج وفق عملية تلاحم تدريجي بطئ وتلميحات صغيرة ومفاتيح قليلة الملاحظة وتقييمات بديهية. لكن مجتمعنا الحديث المبني على النتائج الفورية يجعلنا عاجزين عن القيام بمثل هذه الرحلات الاستكشافية المطولة. إذا كانت الإجابة غير جاهزة بحلول يوم الجمعة القادم، أو الثلاثاء التالي له على أقصى تقدير سنقرر أن الأمر لا يستحق من المرجح هذا الجهد. وهذا هو السبب الذي يدفع الكثيرين اليوم للأكتفاء باحتكاكات سطحية وعلاقات مؤقتة وغير ملزمة، ويتعجبون طوال الوقت لماذا لا يشعرون بالإشباع بل بالوحدة حتى وهم وسط "أصدقائهم".

## البداية والنهاية

إننا نتناول التفهم بصفته العنصر الأخير ضمن عناصر العلاقات الأربعة لأنه من جهة يمثل الهدف نحو ما تقود إليه باقي العناصر وهو الغرض الذي تخدمه جميعها. إن معرفة كلاً منا للآخر هي غرض أو هدف العلاقات. "حينئذ سأعرف كما عُرفت"[٣٠].

---

[٣٠] ١ كورنثوس ١٣ : ١٢

هذا هو الدافع الداخلي لدينا نحو أن يعرفنا الآخرون. أما الدافع الآخر فهو الانسحاب من العلاقات نتيجة تأثير الخطية "... سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت"[٣١]. إننا ممزقون بين الخوف الذي يجعلنا نرغب في الاختفاء أحدنا عن الآخر والشوق المخلوق بداخلنا لكي نعرف أحدنا الآخر.

لكن الفهم أو المعرفة هما أيضاً المطلب الأساسي كي تتطور العناصر الأخرى أيضاً. لا يمكنني أن أحب شخصاً لا أعرفه حقاً. قد أحب صورة أو فكرة لا علاقة لها بالواقع. "أنها ليست الفتاة التي أحببتها، لقد سقطت في الحب بسبب الخيال الجامح، لكن الواقع كان صدمة مرعبة بالنسبة لي". لقد سمعنا عشرات العبارات التي تحمل نفس هذه المعاني. لا يمكنني أن أثق في شخص لا أعرفه أو "لا يمكنني فهمه". سيكون هذا مثل الإيمان الأعمى في أكثر صوره طيشاً وتهوراً. "وأما الغريب فلا تتبعه (الخراف) بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء"[٣٢] واحترام أو إكرام شخص لا

[٣١] تكوين ٣ : ١٠

[٣٢] يوحنا ١٠ : ٥

أعرفه يساوي في صعوبته حساب القيمة الصحيحة لكمية غير معروفة من منتج ما.

الحقيقة هي أنك لا تستطيع أن تقود أشخاص ولا أن تخدمهم ولا أن تكون مديراً لهم ما لم تكلف نفسك عناء معرفتهم وفهمهم بدرجة كافية. وإلا فأفضل استيعاب وإدراك لمبادئ الإدارة التمكن من كل النظريات الخاصة بعلم النفس المهني والاجتماعي ستصير ضئيلة الجدوى عندما تعاملها مع شخص مثل "جون سميث" لأن "جون سميث" لا يعيش بموجب المبادئ الواردة في المراجع أكثر من الحد الذي تعيشه أنت بموجبها. أنه يعيش بموجب التركيبات والتداخلات الغامضة والكثيرة التي تحكم الدوافع الخاصة به والتي تجعله شخصاً فريداً من نوعه. ما لم أتعلم أن أعرف وأحترم هذا الشخص الفريد سأكون في كل تعاملاتي معه كمن يضرب الهواء بيديه في الظلام. في الحقيقة لا توجد معطيات قياسية يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى نتائج يمكن التنبؤ بها مسبقاً وذلك مع تجاهل العناصر التي يمكن التنبؤ بها في شخصية الإنسان.

## لماذا نريد أن نكون مفهومين؟

أعتقد أني نظرت ذات مرة إلى العلاقات على اعتبار أنها شيء هامشي في حياتي. وإنها تتعلق بدائرة المحيط الخارجي التي تحيط بحياتي والتي تتلامس مع دوائر حياة الآخرين. أو بلغة السياسة فهي تتعلق بوزارة الخارجية في حياتي. والآن أدرك أن العلاقات هي قلب وجوهر كينونتنا حقاً، وهي تمثل الجوهر الحقيقي لكينونتنا كأشخاص. إن أكثر عبارتين أساسيتين قد صيغتا بخصوص الإنسان قد وردتا في الأصحاحين الأولين من سفر التكوين، أول عبارة تقول أن الإنسان مصنوع على صورة الله؛ والثانية تقول إنه ليس جيد للإنسان أن يكون بمفرده[٣٣]. ففي هذا الوضع تكون العناصر الجوهرية للبشرية متقوقعة.

أولاً، نحن بحاجة لأن نفهم ما المقصود بما نقرأه أن الإنسان مصنوع على صورة الله. فكلمة (صورة) يجب أن تُقرأ هنا بصيغة الفعل وليست بصيغة الاسم. الإنسان هو الكائن الذي يأخذ صورة الله. فهو مخلوق كي يتشبه بحياة وطبيعة الله ويعكسهما، بأساليب بشرية. لكن الله هو إله العلاقات،

[٣٣] تكوين ١ : ٢٧ ، ٢ : ١٨

الثالوث الأقدس، وهو مجتمع أبدي يتكون من الآب والابن والروح القدس، الله الواحد. لذا لا يمكن معاملة رجل أو امرأة مطلقاً كفرد بمعزل عن الجميع، بل كشخص ذي علاقات على الدوام.

ثانياً نحن بحاجة لأن نأخذ بمنتهى الجدية إعلان الله أنه ليس جيداً للكائن البشري أن يكون بمفرده. العلاقات فقط، وجهاً لوجه وقلباً لقلب وشخصاً لشخص من نفس نوعنا وجنسنا، هي الوحيدة التي من شأنها أن تنهي تلك الوحدة، لكنها تمضي لما هو أعمق من مجرد وجود صحبة على امتداد الحياة للتغلب على الوحدة. أنا بحاجة لأشخاص آخرين كي أعرف نفسي ولأني دائماً إنسان ذو علاقات لا يمكنني حتى أن أعرف نفسي عند انعزالي. إن معرفة الذات اختبار داخلي لكنه لا يتحقق مطلقاً بمجرد النظر إليه، وهو لا يأتي عن طريق الفحص الذاتي. فأنا أعرف نفسي على حقيقتها فقط عندما أتصرف أو أقوم برد فعل داخل نطاق العلاقات. فعندما أبحث عن المعرفة، وأفهم الشخص الآخر أكتشف بأكثر وضوحاً جداً مَن أنا شخصياً. وعادة عندما أصارع لجعل الآخر يفهمني أبدأ في تلك اللحظة فقط تمييز جوانب تركيبتي

النفسية أو مكونات دوافعي وتبدأ القطع المتباعدة في التقارب والتلاحم معاً حتى تصيح فجأة "الآن يمكنني أن أدرك ما كنت أحاول أن أفعله من قبل... ".

بالطبع أنا لا أصل دائماً إلى فهم صائب لذاتي. فقدرة القلب البشري على تفهم وموازنة الأمور، أو من جانب آخر، خداع الذات أمر معروف تماماً ومسجل في الوحي الكتابي وفي الخبرات البشرية. لكن يتم هذا عادة فقط عندما يحدث تضليل متعمد لذاتي والتباهي بالدخول في فحص يقوم به شخص آخر بحيث تكون النتائج الزائفة له واضحة للعيان. عندما أقيس تقديراتي الذاتية فقط على مقياس نفسي، فإمكانية الخطأ والتضليل تزداد كثيراً. فالمخاوف والتعقيدات النفسية والإحباطات والشكوك الذاتية أمور تزدهر جميعها في الظلام. وإخراجها خارجاً والمشاركة بها حتى مع شخص واحد أمر له تأثيره الرائع، وفي بعض الأحيان يكون الإتضاع هو المفتاح المعتاد للتحرير لكنه يميل دائماً إلى الواقعية.

هناك شيء آخر تعلمته مؤخراً فقط.عادةً عندما كنا ننال ما كان يبدو لنا نظرة داخلية غنية، أو نمر ببعض الخبرات العميقة، يخامرنا شعور حزين بأن هناك شيء ما على وشك

أن نفقده، شيء سيموت معنا لأنه لا يوجد شخص يمكننا أن نشاركه بالأمر. بعد ما توفيت زوجتي في حادث طريق أدركت أن هناك أشياء مثل هذه، أشياء تخص الأيام القليلة والساعات الأخيرة التي قضيناها سوياً قبل وفاتها. كانت أشياء حميمة، جميلة بصورة مثيرة للدهشة وهامة بالنسبة لي لكنها ليست الأشياء التي يمكنك أن تتحدث فعلاً عنها. لكني مع ذلك كنت أواجه احتياجاً ملحاً أن أفعل ذلك فحسب. شعرت أنه حتى لو استمع شخص واحد لها ففي ذلك أيضاً حفظها وعدم تركها لتضيع في دهاليز الذاكرة البشرية. إني ممتن إلى الأبد لأنه بالنسبة لي في ذلك الوقت كان هناك شخص يرغب في أن يكون كاتم أسراري وموضع ثقتي، لكني الآن أشعر بالحزن لأجل كل كنوز القلب والروح البشريين والتي ضاعت لأنه لم تكن هناك آذان تستمع إليها. بالنسبة لأولئك الذين لديهم موهبة التحدث مع الآخرين يمكنهم أن يقدموا للآخرين ما سبق لهم أن نالوه لكن التميز في التخاطب والتمييز الروحي لا يسيران جنباً إلى جنب في كل الأحيان. لدينا اليوم كمًّا هائلاً من المطبوعات وسيلاً لا ينقطع من الأساليب الخاصة بالتميز في التخاطب، لكن المحتوى

عادة ما يكون غير جذاب بل حتى سيئ. لكن الأفكار الداخلية الجميلة التي تحبس الأنفاس تأثراً والمواجهات الغنية مع الحق تحدث للأشخاص العاديين لكنهم لا يضيفونها إلى الذخيرة البشرية. إني أعرف ذلك الأمر بعض المعرفة لأنه على امتداد ٢٥ عاماً أو أكثر من تقديم المشورة للأفراد، أخذت أدرك أن حياتي أخذت تزداد غنى باستمرار وبصورة دائمة بما يشاركوني به من أعماق قلوبهم.

## كيف نعرف بعضنا البعض؟

يكمن الإغراء الأعظم والحافز الأكبر في كل العلاقات بالتأكيد في كشف غموض الكيان البشري، واكتشاف الشخص الحقيقي الذي أتعامل معه والكامن داخل ذلك الجسد، والذي ينظر إليّ عبر تلك العينين، والذي يكمن خلف ذلك السلوك. ما أعظم ذلك الغموض في الواقع والذي قاد إلى أن يستنتج البعض أن المعرفة الحقيقية المتبادلة بين الشخص والآخر والتخاطب الحقيقي بينهما أشياء مستحيلة. كل ما أعرفه حقاً، بناء على وجهة النظر هذه، هو ما أختبره من عالمي

الخارجي وعالمي الداخلي أيضاً. وكل ما يمكنني إرساله، أو استقباله من شخص آخر هو مجرد إفادات جزئية غير كاملة مشفرة بناء على خبرة الشخص الآخر. وليست لديّ أية طريقة كي أعلم ما إذا كانت هذه الرسائل تحمل نفس الأهمية بالنسبة للشخص الذي يتلقاها بنفس القدر من المعنى الذي كنت أقصده، وأن التفسير الذي أصل إليه لرسالة الشخص الآخر لي هو في الواقع ما كان يعنيه في خطابه لي.

على نقيض ذلك يصر الكتاب المقدس على أن التواصل الحقيقي أمر ممكن، ورغم عدم اكتماله التام بعد، إلا أنه حقيقي وحافل بالمعاني. وهذا عائد إلى أن كل من التخاطب والمعرفة الشخصية موجودان قبل خلق الإنسان، وهما ضمن كيان الله منذ الأزل. عندما خلق الله الحيوانات نقرأ في سفر التكوين أن الله باركهما وقال "أثمروا وأكثروا ..."؛ لكن عندما خلق الله الجنس البشري باركهما وقال لهما "أثمرا واكثرا "[34] الحديث المتبادل أمر ممكن مع آدم وحواء وكذلك سماع رسالة وفهمها والإجابة عليها. لذا نجد أنه ليس الله فقط الذي يعرف الإنسان، بل الإنسان أيضاً يعرف الله،

[34] تكوين ١ : ٢٢ ، ٢٨

ويعرف الرجل أيضاً المرأة "أنها عظم من عظمي ولحم من لحمي"[٣٥]

لكن على الرغم من ذلك فالطريقة التي نعرف ونتفهم بها شخص آخر هي طريقة تؤكد على الذات بلا شك. إذا لم يكن كذلك لما استلزم الأمر وضع الكثير من المصاعب في هذا الطريق أو تطلب كتابة هذا الكم الذي ينشر كل عام عن ذلك الموضوع. لذا عادةً ما تضللنا كلمة "كيف نفعل ذلك". ما هو الفرق بين المعرفة عن شخص ما ومعرفة الشخص ذاته؟ من الواضح أن هناك شيء أبعد من مجرد المواجهة وجهاً لوجه. يمكنك العمل مع شخص ما لأعوام، بل من الممكن أن ترى هذا الشخص وتتحدث معه بانتظام لكنك تقول في النهاية "أنا لم أصل إلى معرفة هذا الشخص مطلقاً" أو "لم أشعر مطلقاً أني أعرف شخصيته الحقيقية" على الجانب الآخر قد تُقابل شخصاً لمرة واحدة، أو تتبادل الخطابات فقط معه أو تقرأ شيئاً من كتبه، ومن ذلك فقط تتكون لديك لمحة في منتهى الوضوح عن الشخصية الجوهرية الكامنة داخل هذا الشخص. ما الذي يصنع هذا الفرق؟ الشيء الجوهري للفهم هو أننا "نعرف"

[٣٥] تكوين ٢ : ٢٣

الشخص بروحنا. عندما يصل الأمر إلى معرفة شخص فروحنا البشرية هي التي تعرف. أن معرفة الأشخاص هي معرفة روحية في الجوهر، وهذه هي فكرة بولس الرئيسية في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٢ : ١٠ - ١٣) "هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله".

في المواجهة الشخصية نتعامل أحدنا مع الآخر، روح لروح. إذا لم يكن هناك اتصالاً على هذا المستوى فلن يكون هناك تفاهماً شخصياً أو معرفة شخصية. فكر في المناسبات التي تحدثت فيها لشخص وأدركت أنك قد توقفت عن التواصل. كانت الذبذبات متناغمة، أو كنتما على نفس الطول الموجي، أو ما شابه ذلك من التعبيرات. ما الذي شعرت به بعد ذلك؟ شعرت أنك حي مستثار يهزك الطرب بل وفي بعض الأحيان تملؤك النشوة. الذي حدث هو أنك تلامست مع روح. حتى عندما لم يكن رد الفعل درامياً يظل أدراكك الداخلي أنه حدث حقاً؛ قد يكون هذا التلامس بلا كلمات، وقد يكون بالنسبة للأشخاص الذين من الخارج أمر مستحيل الحدوث أو لا يمكن تمييزه، لكنك تعلم أنه حدث تلامس حقيقي وتوحد قلبي، وتدفق للحياة بينكما. قارن تلك الخبرات بالأوقات

التي وجدت فيها جداراً زجاجياً غير مرئي يقف بينك وبين الشخص الآخر. تتبادلا الكلمات والعبارات المحفوظة والنقاش والمعلومات والنقد. ما الذي تشعر به بعد ذلك؟ ضجراً، محبطاً، مستنزفاً، مصاباً بخيبة الأمل، روحك منهكة ومستنزفة؟ لقد تلامست مع روح ووجدت أن هناك حاجز وأخذت تطرق على جدار لا يمكن اختراقه.

هذا هو جوهر الأمر كله، ونادراً ما تناولته الكتب التي تناقش أمر التواصل بصورة مرضية. إن التواصل بين الأشخاص ومعرفة البشر أمر يتم على مستوى الروح البشرية. والذهن عند هذا المستوى غير قادر بمفرده على القيام بهذه الوظيفة. والأمر ليس مجرد التلامس المستمر مع مشاعرنا وتركها تستنزف. فالمشاعر أو الأحاسيس هي نتيجة أو إفراز ثانوي. والشخص الحقيقي يكمن خلف المشاعر والأفكار ويمكن الوصول له حقاً عندما نصل فقط إلى روحه البشرية.

السؤال إذا هو، كيف نبني هذا الجسر بين الروح والروح؟ هل يمكننا تحقيق ذلك عن قصد أم أنها أمور تتم عرضاً. إنها تتم عرضاً لكننا نستطيع أن نتعلم كيف نفعل ذلك بصورة أفضل وأكثر تكراراً. أننا نفعل ذلك عادة عن طريق

الكلمات. فالكلمات هي الوسيلة المعبرة عن الروح، قال يسوع "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٣٦). وكما يشير (أيلول) مؤخراً، فاللغة هي الشيء البشري الأكثر تميزاً لنا كأفراد. هناك شيء يحدث في الجزء الداخلي الذي لا يمكن الوصول إليه في الشخص الآخر، لكن عندما يتم التعبير عن هذه الأشياء في صورة كلمات أسمعها وأفهمها، ينتج عن ذلك تجاوب في داخلي لما يحدث داخل ذلك الشخص. وهذه هي أعجوبة كلمة الله. إن ما يحدث داخل أعماق الله والذي لا يمكن الوصول إليه، صار مُعبراً عنه بكلمات منطوقة، وتأتي الكلمة مباشرة من فم الآب وعندما أتلقاها يمكنني أن أدرك في روحي كشفاً لقلب الله.

لا تنقل الكلمات بالطبع ما في الروح دائماً. فقد تصير بلا أهمية أو معنى أو أصوات غامضة؛ وقد تنقل بيانات عقيمة؛ وقد تكون غير صحيحة أو مضللة. لكن عندما تكون في الروح والحق يمكنها أن تنقل جوهر حياة ذلك الشخص. كنت أتحدث ذات مرة مع سيدة كان زواج ابنتها في مأزق حقيقي. قالت الأم "أن مشكلتهما أنهما كانا طوال الوقت معاً وعرفا أحدهما الآخر ولم يفترقا قط. لقد قضيت طوال فترة تعارفي

قبل الزواج أراسل "ديفد" بالخطابات لأنه كان بعيداً عني في الحرب. لكني اكتشفت أموراً عنه وتعلمت أن أعرفه بصورة أفضل من خلال خطاباته أكثر مما كان يمكنني أن أفعله بأي أسلوب آخر". عندما قالت ذلك أدركت أنه في الكتاب المقدس توجد رسائل رائعة عن شخص الله ذاته، وهي لدينا بمختلف الأشكال، وهي تمثل إعلاناً أكمل وأوضح عن الله أكثر مما لو كان قد جلس هكذا وتحدث معنا وجهاً لوجه. في الكتاب المقدس نلمس روحه، والإعلان هو تعامل روح مع روح.

لكن كي يتم تخاطب حقيقي، بالشروط التي نتحدث عنها، يجب أن يكون الشخص "في" الكلمات التي يقولها، كما يجب أن يكون المغني "في" أغنيته. وهذا يعني أننا يجب أن نتعلم كيف نعيش ونتحدث انطلاقا من أرواحنا وهذا يعني بدوره أننا نلغي المعاني المختبئة في أحاديثنا؛ وأن نتوقف عن التخاطب باستخدام المعاني الضمنية أو الغامضة بهدف إعطاء انطباع معين أو خلق تأثير معين. إننا نتعلم أن نقول الحق من القلب. أحد الأشياء التي تجد مكانة عالية بداخلي بخصوص المشيخة التي أتشرف بعضويتها هي أنه على مر الأعوام وصلنا إلى النقطة التي نتحدث فيها بالحق البسيط أحدنا للآخر. أنا

الآن أعرف أنه إذا قال أحد الأخوة شيئاً فهو يعني ما تحمله هذه الكلمات فقط؛ ومن غير المتوقع مني أن أستخلص أية معاني ضمنية غير معلنة في حديثه. ومن جانبي أثق أنني أستطيع قول ما يدور بذهني وأنا متأكد أن الآخرين لن يفنّدوا أو يدرسوا تلك الكلمات مرة فأخرى في محاولة لقراءة ما بين السطور أو تخمين ما الذي أعنيه "حقاً". لقد صرت أدرك كيف يبدو الحديث بالحق المجرد وكيف نتبادله فيما بيننا، حتى في علاقات الزواج والصداقة الحميمة - "قد يكون هذا ما قالته هي، لكني أعلم ما الذي كانت تقصده".

ليست كل المخاطبات الرديئة مقصودة بالطبع، ولا حتى مُدركة. في بعض الأحيان يكون الخارج من روح الإنسان حاملاً رسالة مختلفة عن الكلمات الخارجة من فمه. إننا بحاجة لأن نعرف كيف نستمع لكلا الرسالتين. كان يسوع يفعل ذلك بتفوق. كان يعلم كيف يستمع. الكثير من استماعنا لا يمت للاستماع بصلة على الإطلاق إذا أردنا أن نشهد بالحق في هذا الأمر. فنحن نصيغ أفكارنا الشخصية ونتهيأ انتظاراً لفسحة في الحديث حتى يمكننا أن نشن غارة باستخدام تلك العبارات.

إذا قرأت قصة يسوع والمرأة السامرية في (يوحنا ٤) ستجد محادثة تسير على مستويين مختلفين. عندما هاجمت المرأة يسوع بقولها "كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية". كانت إجابة يسوع عليها بلا معنى على الإطلاق من وجهة النظر السطحية "لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنتِ منه فأعطاك ماء حياً" ما الذي كان يفعله يسوع؟ كان يجيب الصرخة الصاعدة من روح تلك المرأة "أنت تطلب مني ماءً؟ وأنا العطشى". ومرة أخرى عندما تقول ليسوع "ياسيد لا دلو لك والبئر عميقة ..." لم تكن تبحث عن مناقشة تتعلق بالهندسة الهيدروليكية. كانت البئر تبعد إلى عمق ٤٠٠ قدم في الصخر المصمت لكن قلبها كان يصرخ "هناك بئر احتياج بداخلي عميقة بالدرجة التي يمكنك أن تلقي فيها حجراً ولن تسمع مطلقاً صوت ارتطامه بالماء. كيف يمكنك أن تواجه مثل هذا الفراغ؟" وكان هذا هو السؤال الذي أجاب عليه يسوع بقوله "الماء الذي أعطيه يصير ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية".

أعتقد أني بدأت تتبع هذا النوع من التخاطب عندما اعتدت العمل في مدينة ويلينجتون مع مشروع "تحدي

المراهقة" نتيجة الاستماع إلى الأولاد الآتين من الشوارع، والاجفال نتيجة احتقارهم وتجديفهم على الله والمسيحية والكنيسة والدين، بدأت أستمع إلى شيء آخر. تحت كل هذا كانت تأتي عادة صرخة حقيقية تقول "ألا يوجد شخص يحاول أن يبرهن خطأي. ألا يوجد شخص يُظهر لي أنني فعلاً ظهري للحائط وأن هناك شخص يهتم بي حقاً؟". تعلمت أن أستمع لما هو تحت أو خلف الكلمات وأن أجد الوقت لأدرك مرة ثانية أنه تحت النقد الساخر والأحاديث الهجومية يوجد خوف بارد متجرد وغضب متولد من الجرح والرفض. إذا أخذت الكلمات المنطوقة بمحملها السطحي ستفقد كل المحادثة تماماً. كيف يمكنني إذاً أن أدرك ما الذي تعنيه حقاً كلمات الشخص الآخر؟ متى أفقد الطريق لأني آخذ تلك الكلمات بحرفيتها ومتى أفقد الطريق بسبب محاولتي قراءة ما بين السطور وينتهي بي الأمر إلى قراءتي لافتراضاتي المسبقة الشخصية.

## كشف الذات

لمعرفة وفهم شخص ما بالشروط التي سبق أن شرحناها فهذا يعتمد على شيء آخر، وهذا الشيء الآخر ليس مجرد

مسألة مهارات وأساليب تخاطب على الإطلاق ... أنه يعتمد على رغبة الشخص الآخر في كشف ذاته. تعتمد معرفة الأشخاص على كشفهم لذاتهم. إننا نفهم هذا تماماً بالنسبة لعلاقتنا مع الله. فمعرفتنا عن الله تعتمد تماماً على الإعلان، أي على رغبة الله في أن يكشف نفسه لنا. يقول أيوب: هل يستطيع إنسان أن يحب الله عن طريق البحث؟ لا يمكنه. ونحن نعتمد على رغبة الله في كشف ذاته لنا والإعلان عبارة عن كشف إلهي للذات. أولئك الذين يرغبون في معرفة الله ولا يرغبون في الاعتماد على إعلانه هم ببساطة لا يفهمون شخصه. لا يمكنك أن تعرف حتى شخص بشري بالمنطق فقط، فأنت تعتمد تماماً على رغبة وقدرة هذا الشخص في كشف نفسه. لكن مثل هذا الكشف الذاتي يخلق حالة من انكشاف الدفاعات فعلاً وتكون هناك مخاطرة احتمال التعرض للجرح أو الإيلام إذا كشفت عن ذاتي الحقيقية ثم تعرضت للرفض أو الأنتقاد أو السخرية. أن معظمنا يتعلم مبكراً جداً في حياته ما الذي يعنيه ذلك وقرر الكثير منا أن يتراجع أثناء طفولته وألا يقوم بهذه المخاطرة مرة أخرى. وبدلاً من ذلك نقوم في الغالب بإظهار صوراً لذواتنا نرجو أن تكون مقبولة

للصحبة التي معنا. وإذا لم تكن هذه الصورة مقبولة فالأمر لا يهم كثيراً فنحن لم نكن "في" تلك الصورة على أية حال. ويمكننا استبعاد هذه التجربة غير الناجحة ومحاولة شيء آخر.

الصعوبة هي في أني أصير متعلقاً بتلك الصورة التي أعتقد أنها تمثلني حقاً وخاضعاً لها. وأشكل ذاتي عليها، ولا أعرف كيف سأتصرف بدونها. لكن بالنسبة للباقين، أو بالنسبة للأشخاص الذين يبحثون عن تلامس حقيقي، تمثل هذه الصورة حلقة التزييف. حتى عندما يتقبلونها فهم يعرفون بصورة أو بأخرى أنها ليست الشخص (الحقيقي) الذين يعرفونه.

ما الذي يخلق الظروف التي تشجع الشخص الآخر على المخاطرة بكشف نفسه والتعرض لإمكانية الجرح؟ أن المتطلبات الأساسية لهذا هي نفسها العوامل التي سبق لنا مناقشتها وهي محبة مهتمة حقيقية، وتأكيد القيمة الداخلية للشخص والثقة في الذات المبنية على ثقة الآخرين. لا يمكننا أن نقحم أنفسنا في مثل هذه المعلومات بل إننا نقف فعلياً لا حول لنا خارج الباب. وكل ما يمكننا فعله هو أن نخلق جواً

يكون فيه الشخص راغباً في المخاطرة بكشف ذاته. لكن لنضع في الاعتبار التتابع التالي:

- لن تفهم الشخص الآخر مطلقاً ما لم يكشف هو ذاته لك.
- لن يكشف الشخص ذاته لك مطلقاً ما لم يثق بك.
- لن يثق بك مطلقاً ما لم يعرفك.
- لن يعرفك مطلقاً ما لم تكشف ذاتك له.

إنها نقطة حرجة للفهم. هناك سوق جاهز اليوم لكتب تتحدث عن التواصل والتخاطب. وهناك برامج لغوية عصبية، ولغة الجسد، وأساليب الأسئلة الخلاّقة والاستماع الحساس – وكلها جميعاً تحقق أعلى مبيعات لأنها تلمس احتياج عميق جداً. والآن معرفة وممارسة مهارات التخاطب جميعها أمور جيدة، لكن هناك شعور غير مريح ينتابني أن مثل هذه الكتب تباع عادة لتعليم وسائل وطرق تقودنا إلى شبه مباريات التخاطب. إن أموراً مثل الحديث المقنع والقوة عبر الكلمات، والمناقشات الأفضل والأكثر إقناعاً وتكوين الأصدقاء والتأثير في البشر – كلها أمور يمكن استخدامها لتحقيق أهداف معينة والتحكم فيها والسيطرة عليها. وفي العلاقات

الشخصية تصبح الرغبة في السيطرة على أو توجيه الشخص الآخر أمراً مهيناً بعمق.

تنبع كل من المعرفة والفهم الحقيقيين لشخص آخر فقط نتيجة احترام عميق لكمال الشخص الآخر والرغبة في أخذ نفس المخاطرة التي تتوقع أن يقوم بها الآخر. إذا أردت أن أعرف يجب أن أرغب أيضاً في أن أعرف. إذا أردت أن يكشف الشخص الآخر ذاته يجب أولاً أن أقدم على مخاطرة كشف ذاتي. وعندما تكون هناك مواجهة مثل هذه فهذا معناه "هذا هو أنا الحقيقي، يمكنك أن تكون بمأمن كي ما تكشف عن كينونتك الحقيقية". وعندئذ تبدأ ولادة التفهم الحقيقي.

## التقمص

مثل الاستماع هناك أيضاً مسألة التقمص. فالتقمص هو القدرة على أن نضع أنفسنا مكان الشخص الآخر حتى يمكننا أن ندرك بطريقتنا نحن ما يشعر هو به.

وهذا أمر هام بصفة خاصة في الزواج والعلاقات الأسرية أو الصداقات الحميمة، حيث تكون الألفة الحميمة والإندماج العاطفي عاليين. والأزواج والزوجات بحاجة لأن يتعلموا عن هذا. لقد استغرق الأمر مني سنوات كي اكتشف في زواجنا أنه

عندما تقول الزوجة "لدينا مشكلة ونحن بحاجة لأن نتحدث بخصوصها". فبصفة عامة ما يقصده الرجل هو "دعينا نصف المشكلة ونجد لها إجابة ونحددها" لكن ما تعنيه المرأة بصفة عامة هو "هذا ما أشعر به تجاه ذلك الأمر، ما هو شعورك؟" يعتقد أزواج وزوجات كثيرين أن الإجابة على مشاكلهم هي الجلوس والتحدث بشأنها لكنهم ينتهون بصورة أو بأخرى وهم محبطون أكثر مما كانوا عليه عندما بدأوا الحديث سوياً. إذا كان هناك شخص يبحث عن التفهم والتجاوب على المستوى العاطفي بينما يتناول والآخر الموقف على المستوى العقلي سيفقدان خط التواصل بينهما تماماً.

لكن هناك ما هو أكثر من ذلك أيضاً. معظم الكلمات والتعبيرات التي تستخدمها تحمل قدراً من المشاعر، لكن هذا القدر يتباين من شخص لآخر.

هناك شيء في التخاطب لا يحظى منا إلا بأقل قدر من الاهتمام وهو المحتوى العاطفي في حديثنا والتخاطب بدون كلمات الذي يصاحبه - كنغمة صوتنا ونظرة عيوننا وطريقة وقفتنا ونحن نقول ذلك. أوضحت التجارب أن المحتوى غير المنطوق في تخاطبنا أقوى بكثير من الرسالة المنطوقة التي

نرسلها. وإذا تناقضت المحتويات، فالمستمع سيميل خمسة أضعاف إلى تصديق ما يوحي به الجزء غير المنطوق من حديثنا.

ما هي الإجابة لمثل هذه الإحصائيات المركبة؟ لا يمكننا أن نحصل على الرسالة بصورة صحيحة لا يشوبها خطأ، وذلك بعيداً عن التحدث بموجب معادلات حسابية. يجب أن تقودنا الإجابة إلى تثبيت العلاقات والمحافظة عليها على مستوى الروح. وهذه الرابطة قوية بدرجة كافية للتقليل من إفراز تعقيدات التخاطب وبذلك يمكننا أن ننمو في الفهم والتقدير المتبادل بواسطة إرسال رسائل غير مبعثرة أو غامضة. والأمر يتحقق هكذا عملياً فعلاً. فأنت تلمح نظرة براقة تشع من الجانب الآخر من القاعة، وتلحظ إجفال الجفن، أو رعشة الكتفين أو لمسة رقيقة أثناء المرور بجانبك وكلها تستطيع أن تخبرك بما يكفي عن المحبوب بحيث تملأ صفحات كتاب كامل.

## الفصل السادس

# ما الذي يؤذي العلاقات؟

من المكن أن يتجمع الضغط على العلاقات فتبدأ في الانهيار سواء بسبب استمرارنا في أداء الأشياء التي تجرح العلاقة أو لأننا نفشل في القيام بالأمور الضرورية لحفظ العلاقة حية وصحيحة. إن خطايانا، بمعنى آخر، إماً خطايا فعل أو خطايا عدم فعل.

أذكر أني كنت أتحدث مع امرأة كانت تعاني من كارثة انهيار مفاجئ لزواج عمره ٢٠عاماً. عاد زوجها من العمل ذات ليلة وقال لها "لقد انتهى الأمر. فأنا مستنفذ تماماً ولن أعود ثانية". لم تستطع فهم الأمر. قالت "لم نمر بمشاجرات أو صراعات على الإطلاق. بل لم يحدث مطلقاً أن وقعت بيننا خلافات كبيرة". أعتقد أن العلاقة كانت قد يبست وماتت منذ أمد طويل، فقط بسبب نقص الاهتمام أو الرغبة في الآخر.

تكمن المشكلة في أن خطايا عدم الفعل صعبة التتبع

وأصعب بالنسبة لنا أن نعترف بها. إن ضميرنا على سبيل المثال غير حساس بدرجة كبيرة للأشياء التي لا نفعلها والتي يتعين علينا أن نقوم بها. إن الإشارة إلى الأشياء التي نفعلها ويجب علينا عدم فعلها أمر أكثر فاعلية جداً. لقد سمعت رجلاً يقول "أنا لا أضرب زوجتي، ولا أبعثر كل نقودي في الملاهي والبارات، ولا أخرج مع نساء أخريات"، كما لو أن هذه الأشياء تبرهن تلقائياً أنه يمثل الزواج كما يجب أن يكون. يجب أن ندرك أن المعطيات التي تحتاجها العلاقة لا تتأتي تلقائياً وهي لا تتحقق بالتجاهل والإهمال للواجبات. بل يجب أن نعتني بها عن قصد وبإدراك وباستمرار للوصول إلى نتائج.

لكن من الواضح أن هناك اتجاهات خاطئة معينة وأساليب سلوك لها ثقلها الكبير في نمو العلاقات الصحيحة وهذا هو ما نتحرك نحو بعضه من ذات المنطلق الآن.

عادة نحن لا نأخذ هذه الأمور بصورة جدية بدرجة كافية حتى يصبح الأمر متأخراً أكثر من اللازم لرأب الصدع الذي حدث. قد تحفزنا دراسة هذه الأمور على الدخول إلى مناطق نعاني فيها من الفشل أو قد يزيد من حساسيتنا نحو

تأثير اتجاهاتنا الداخلية وتصرفاتنا على علاقتنا مع غيرنا. سنربط هذه المناطق التي تعاني من مشاكل بعناصر العلاقة الأربعة التي سبق وتناولناها.

## أشياء تجرح المحبة

المحبة هي أقرب عناصر العلاقة للمشاعر، على الرغم من أننا قد سبق ورأينا أنه ليست كل محبة هي بالضرورة محبة عاطفية. لكن بسبب قربها الشديد من أحاسيسنا، فالمحبة هي العنصر الأكثر تأثراً على الرغم من أنه العنصر الأطول عمراً والأكثر تحملاً أيضاً. يقول نشيد الأنشاد أن المحبة قوية كالموت؛ فهي تحرق كلهيب نار. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها ولا الأنهار أن تغمرها.

ما هي إذاً بعض الاتجاهات المعينة أو أشكال السلوك التي تجرح المحبة أو تجعل من الصعب على المحبة أن تستمر وتنمو؟ أول هذه الأمور والتي يجب أن نذكرها هي القسوة. إن أحد أشق الأمور على أنفسنا هو أن نفهم عن الجنس البشري الذي نراه اليوم أنه يتسم بالقسوة، وهي تتمثل في الأشياء المرعبة التي يفعلها البشر ببعضهم البعض. ومع ذلك فأننا ندرك بالبديهة أن هذه القسوة تمثل انحرافاً

عن الخط الأصلي بصورة أو بأخرى. إننا لا نسميها إنسانية الإنسان نحو الإنسان، بل نسميها عدم الإنسانية. أننا ندرك أن هذا ليس الأسلوب الذي خلق به الإنسان في الأصل.

القسوة هي التسبب في إحداث الألم لشخص آخر، سواء بلا مبالاة، أو بعدم اهتمام سواء كان الآخر يعاني من قبل أو مع تعمد الأذى مع التركيز على أن يعاني الشخص الآخر. لذا هناك عدم إحساس أخلاقي بخصوص القسوة. يسبب الجراح ألماً مقصوداً عندما يقوم بإجراء العمليات لكن الأمل والمعاناة ليس هدفه. بل العكس هو الهدف، فالألم أمر لا فرار منه لكنه نتيجة مؤقتة لأفعال تستهدف رفع المعاناة. كذلك الآب الذي يؤدب طفله أو المدرب الذي يدفع الرياضيين حتى حاجز الألم فهو ينظر إلى غرض الفائدة الكامن خلف الألم. المقصود بالقسوة أساساً هو الشعور بالألم، وأن يعاني الضحية. والأمر نابع من شهوة السلطة أو شهوة الانتقام.

قد تشمل القسوة على عنف جسدي واعتداء أو قد تكون تهجماً نفسياً أو عاطفياً من الممكن أن تنتج عنه آثار مدمرة على الرغم من أنه لا يترك أية كدمات يمكن اكتشافها. هناك زوجات منسحقات وأطفال منسحقون لم يمد أحد يده

عليهم. وهناك أباء وأزواج منسحقون من نفس الطراز.

من الصعب جداً على المحبة أن تعيش في علاقة تتخللها قسوة لأن القسوة والمحبة تقفان على طرفي نقيض. القسوة مدمرة لمحبة مرتكبها مثلما هي بالنسبة لمحبة الضحية. لا يمكنك أن تستمر في محبتك للشخص الذي كنت قاسياً عليه كما لا يمكنك أن تكره شخصاً تصنع معه معروفاً. لذا فالقسوة أمر لا يمكن تخفيفه. وبؤس ويأس ضحاياها يزيدان دائماً من كراهيتها لديهم.

ثانياً، **هناك الكره**، أي مشاعر النفور أو البغض أو الاشمئزاز تجاه الشخص الآخر. المحبة كإحساس تجتذبنا نحو الغرض أو الشخص الذي يثير ذلك الإحساس؛ والكره إحساس ينفرنا من الشيء أو الشخص. وحيثما نشعر بالكره أو يُعبر عنه في علاقة ما فهو يجرح المحبة لأنه الشيء المضاد لها. إذا استمرت في عمل أو قول أشياء أنا أدرك أن الشخص الآخر لا يحبها فأنا أنسج المصاعب لعلاقتنا لا مفر.

ثالثاً، **هناك الرفض**. الرفض هو إزدراء أو عدم قبول عرض أو طلب لتحقيق القرب أو الألفة الحميمة. يشعر الشخص بالرفض فقط عندما يقوم بالمبادرة بصورة أو بأخرى

نحو تحقيق ألفة لكن مبادرته هذه تواجه بالتجاهل أو الصد، أنا لا أشعر بالرفض مع أشخاص ليست لديّ رغبة في تكوين ألفة حميمة معهم.

قد يكون الدافع للرفض هو الخوف، أو عدم رغبتنا أو حتى عدم قدرتنا على التجاوب مع عرض بتكوين علاقة تستلزم وجود شخص قريب منا. بالنسبة لأشخاص صاروا منغلقين جداً على أنفسهم، يعد مدخل الألفة هذا، حتى ولو في صورة عرض محبة لتكوين علاقة ألفة حميمة قد يبدو بالنسبة لهؤلاء مهدداً جداً. ورفضهم لهذا العرض يكون عبارة عن رد فعل دفاعي، فهم يريدون الأشخاص الذين يقتربون منهم لكنهم يخشونهم في ذات الوقت.

ينطبق هذا بصفة خاصة عندما يحدث في علاقات تسير بطاقة العواطف مثل الزواج والعائلة والصداقات الشخصية، فالرفض خبرة جارحة للغاية من الممكن أن تترك شخصاً مجرحاً بعمق. وهو دائماً ما يؤخذ بصورة شخصية لأنني قدمت نفسي وليست ممتلكاتي وشخصيتي هي التي لاقت الرفض.

رابعاً، **هناك الانسحاب أو البرودة**. وهذه أيضاً إحدى

صور الرفض لكنها أكثر قصداً وتعمداً بصفة عامة. وخلف هذا عادةً يوجد الدافع للسلطة لأنه في علاقة ذات محتوى عاطفي يكون الشخص الأقل إلتزاماً بهذه العلاقة أو الأقل أندماجاً عاطفياً فيها هو الشخص الذي يسيطر بصورة أعظم. فهو يستطيع أن يتراجع بأقل تكلفة عاطفية تاركاً الشخص الآخر يترنح على حافة الهوة إلى أن يكون مستعداً أن يدفع أي ثمن لإنقاذ تلك العلاقة. في بعض الأحيان يتم هذا بطريقة حسابية بحتة، وذلك كي يدرك الطرف الآخر "بإمكاني الانسحاب من هذه العلاقة في أي وقت أختاره وعندئذ أين ستكون أنت؟"

على الجانب الآخر من الممكن أن يكون الانسحاب رد فعل دفاعي ضد الرفض أو الجرح. وبدلاً من مواجهة الموقف أو توقعات نتائج الصراع، غالباً ما يختار الشخص الخروج من هذا الموقف برمته أو يبني جدراناً دفاعية ليحافظ على مسافة آمنه بينه وبين الطرف الآخر.

خامساً، **الجحود**. وهو أمر من الصعب على المحبة أن تتحمله. الجحود هو أخذ ما يمكننا أخذه من الآخر بدون تقدير أو شكر، وفي بعض الأحيان بدون حتى إدراك أن الشكر أمر محبذ في ذلك الموقف. عندما نبدأ في إعتبار علاقة، أو

شخص ضمن إطار علاقة ما على أنه شيء مفروغ منه، سريعاً ما يزحف الجحود إلى المشهد. وهو ينبع من النصب التذكاري الخاص بمركزية ذاتنا، وهذا يُعتبر في تقدير بولس، بالإضافة إلى نقص الاحترام، أحد العناصر التي شكلت خطيئة الإنسان الأولى." لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله" (رومية ١: ١٢)

لعل الجحود هو أحد أقل أنواع الفشل التي تجتذبنا، فهو يَفتقد لكل أنواع النعمة على اختلافها. إنه يعبر عن عدم الرغبة في الشعور بأي التزام نحو صلاح أو كرم الغير؛ إنه الحصول بدون أدنى رغبة في عطاء أي شيء في المقابل.

سادساً، **هناك الإهمال.** خطية عدم الفعل الكلاسيكية في كل ما يتعلق بالمحبة. الإهمال، مثل الجحود، يبدأ باعتبار العلاقة شيئاً مفروغاً منه، لكنها تمضي بعد ذلك إلى استغلال طول المعاناة والرغبة في الغفران. الإهمال يقتل المحبة بالإحباط، عن طريق عملية تجويع بطيئة، فهو غير مهتم غافل، لا مبالي متجاهل. كل ما تكونه المحبة وتتطلبه، نجد عكسه عندما نتحدث عن الإهمال.

يحدث الإهمال على مختلف المستويات وبطرق عدة.

فالرفاهية المادية للأطفال أو المعاقين يمكن إهمالها. كثيراً ما يتم تجاهل الاحتياجات العاطفية أو الروحية أو العلاقية. إننا كائنات روحية ونحن لا نحيا على الخبز فقط. إن عدم القدرة على الوفاء باحتياجات الشخص الآخر تترك دائماً نقصاً ما لكنه لا يكون مستحقاً للوم دائماً. التجاهل يستحق اللوم دائماً لأنه يعني أن الشخص كان يستطيع أن يفعل شيئاً في هذا الصدد لكنه لم يهتم بالدرجة الكافية كي يبذل ذلك المجهود. وهذا هو ما يسبب الجرح الناتج عن الإهمال.

سابعاً، الحسد. وهو المرض الذي يظهر عند نجاح أو ازدياد شعبية أو تميز أو إنجازات الشخص الآخر. الحسد مختلف عن الغيرة على الرغم من إمكانية استخدام الكلمات التي تصف أي منهما مع الآخر. فالغيرة ترغب في مكانة أو ممتلكات أو مكان الشخص الآخر لتكون ملكي أنا. الحسد أشد قتامة وقتلاً، فهو يشبع فقط عندما يتدمر ما نمتلكه كي لا يكون لأي منا. كان الحسد هو المحرك الدافع لرؤساء الكهنة كي يخططوا لقتل يسوع. المحبة تسعد بنجاح وتطور الآخر، والحسد هو نقيضها المطلق. الحسد مرض متوطن في مجتمعنا الحديث ومصدر الكثير من نزاعاته وانقساماته.

في النهاية، هناك الدناءة والخسة والتي تجعل من إزدهار المحبة أمراً صعباً بصورة غير عادية. من الصعب أن تحب في ظل الدناءة والخسة، ليس فقط فيما يتعلق بالبخل أو الشح المادي، بل دناءة الروح. وهي تظهر في الضآلة والضغائن وضيق الأفق في الأفكار والأفعال. إن اتساع قلب المحبة يواجه مأزقاً صعباً في مواجهة مثل هذه الاتجاهات الضيقة الأفق والمتشنجة.

## أشياء تخرق الثقة

إذا كانت المحبة هي أكثر العناصر قوة وأطولها عمراً في تكوين أية علاقة، فالثقة هي بالتأكيد الأكثر هشاشة وقابلية للكسر. وفوق ذلك، بمجرد ضياع الثقة ليس من السهل استعادتها ثانية، إذا كان بالإمكان استعادتها على الإطلاق في بعض الأحيان في واقع الأمر. واستعادتها يستغرق وقتاً دائماً. من الممكن غفران الأهانة في لحظة، لكن أن يثق الشخص مرة ثانية فهذه قصة أخرى، وبالنسبة للشخص الذي فشل في أن يثبت أنه الآن جدير بالثقة فهذا أمر مختلف بنفس الدرجة. لذا فالثقة واستحقاقها بحاجة لاهتمام كبير وللمحافظة عليها بهمة شديدة. فالاستمرار في علاقة محبة مع شخص لا يمكنك

الوثـوق بـه مـن الآن فصـاعداً يمثـل أكـثر المواقـف الضعيفـة والمكشوفة مـن وجهـة نظـر العلاقـات.

**مـا هـي بعـض الأشـياء الـتي تـؤذي رابطـة الثقـة أو تجعل من الثقـة أمـراً صعبـاً؟**

أولاً، خـرق الثقـة. " النمّـام يفـرق الأصدقـاء" [٣٦] كمـا يقـول سفر الأمثـال. هنـاك أشـياء قليلـة ذات تأثـير أكـثر تدمـيراً للثقـة في العلاقـات مـن اكتشـاف أن هنـاك شـيئاً قـد شـاركت بـه صديقـاً حميمـاً تثـق فيـه والآن صـار معلومـاً للجميـع. مـن المرجـح أنـك لـن تكـرر نفس الخطـأ مـرة ثانيـة، لكنـك أيضـاً ستعاني بـلا شـك مـن ألم وحـزن التعجـب بداخلـك عمـا قـد تناقلتـه الألسـن أيضاً مـن أفكـارك وشـؤونك الداخليـة.

في بعـض العلاقـات تـأتي مسـألة حفـظ الأسـرار في الأهميـة الأولى. يحتـل المستشـارون المحـترفون والمـهنيون مثـل الأطبـاء أو المحـامون والمستشـارون الشـخصيين والخـدام والقساوسـة موقـع الثقة. السرية أمـر يفـترض وجـوده ليغطـي كـل شـيء تتـم المشـاركة بـه معـهم بصفتـهم المهنيـة أو الخدميـة. وفي العلاقـات العاديـة تحتـل السـرية مكانـة هامـة أيضـاً لكـن هنـاك دائمـاً إمكانيـة

---

[٣٦] أمثـال ١٦ : ٢٨

حدوث سوء فهم حقيقي غير مقصود. يفترض أحد الأطراف أن ما شارك به سيظل في طي الكتمان بينما يفترض الطرف الآخر انه مطروحاً للاستهلاك العام. القاعدة إذا هي أن تراجع الأمر أولاً مع صاحب الموضوع. إذا لم أشارك الآخرين بأي شيء فمن الممكن ألا أفقد أي شيء تقريباً. لكن إذا شاركت بشيء ما وحدث خرق غير متعمد للثقة فستحدث مشاكل بلا شك، وقد يضيع شيء هام وهو ثقة الصديق. كذلك من الحق من جانبنا أن نتعهد بالمحافظة على سر قبلما نعرف محتواه.

**ثانياً، تأتي مسألة الخيانة.** وهذا معناه خرق شروط العلاقة أو الالتزامات التي ترتبط بها. إن قلب علاقة الزواج مثلاً هو العهد. والعهد رابطة ولاء بين طرفين، وأي شيء يخرق رابطة الولاء هذه يكسر العهد ويضرب قلب وجوهر العلاقة. في الزواج نفهم هذا في ضوء الأمانة الجنسية مثلاً، لكن هناك أشكال أكثر اعتياداً لعدم الأمانة تقوم بالتدمير، وإن لم تكن بنفس الدرجة المميتة في ذات اللحظة. أحد أسوأ هذه الأمور هو التحدث ضد الآخر أو الشكوى من الطرف الثاني من خلف ظهره. قليلة هي الأشياء النى تدمر الثقة فعلاً في

علاقات الصداقة أو الزواج أو العمل بمثل هذه الصورة. إحدى قواعد الكنائس المورافية الأولى تتناول بفاعلية هذه المشكلة. إذا سمعت حديثاً ضد شخص ما لم يكن موجوداً في تلك اللحظة فأنت ملتزم أن تذهب إلى ذلك الشخص وتخبره بما قيل في غيابه. لا أدري كم عدد الكنائس أو الاجتماعات التي تملك الجرأة والشجاعة كي تسن قاعدة مثل هذه، لكن يا له من تأثير فعال سينتج عن ذلك بالنسبة لكل أشكال الشائعات والاغتياب.

**ثالثاً، عدم الأمانة** وهي بكل أشكالها مدمرة جداً للثقة. كيف يمكنني أن أثق في شخص ما إذا لم يمكنني ضمان أن ما يقوله لي هو الحق أو أنهم لن يخدعوني أو يباغتوني بخدعة ما؟ هذا هو ما يفسد ويشوه معظم علاقاتنا، فهي تبدأ بافتراض مبدئي أن الطرف الآخر لا يمكن الوثوق به.

أحد أكثر الطرق المعتادة والتي نصير بها غير أمناء وننفذ بفعلتنا هي أن نقطع مواعيد ثم لا نحافظ عليها. يبدو لي أن أحد أصعب المفاهيم على البشر اليوم، وخاصة الشباب، هو فهم أن الوعد وعد. إنه مُلزم؛ إنه يلزمنا بالقيام بالعمل الذي وعدنا به حتى وإن بدا أنه أكثر تكلفة أو أقل راحة مما

توقعناه. كثيراً ما تمنحنا أخلاقيات الوضع الراهن عذراً جاهزاً "للتنصل"، ولأن الظروف المحيطة قد تغيرت، فالوعد لا يسري بموجب هذا. هناك في الأغلب ملحق ثابت للوعد الذي نقطعه اليوم، فنقول "أنا أعدك... بشرط ألاّ أغير رأيي أو أكتشف أسباباً أكثر إلحاحاً كي أتصرف بصورة مختلفة". إننا بحاجة لأن نكتشف المانع الأخلاقي الذي يدفعنا لحفظ الوعود.

لكن لماذا هي ملزمة، لماذا من الخطأ كسر الوعد؟ من الخطأ كسر وعدا لأن الله هو إله العهد، وهو إله أمين. لذا كما أن الكذب يعد إساءة موجهة ضد أمانته. فكسر القانون الأخلاقي ليس كسراً فقط لأحد قواعد الله، بل إنه إساءة ضد طبيعته أو شخصيته.

**رابعاً، إننا نسبب مصاعب مشابهة أيضاً للثقة وذلك بأشياء مثل عدم المصداقية والتضارب واللا مبالاة وعدم التعقل.** تستلزم الثقة أن أستطيع التنبؤ - ببعض الدقة - بردود فعل الشخص الآخر أو سلوكه؛ يمكنني أن أعتمد على التزامه ببعض الأمور المنطقية. إذا لم أتمكن من ذلك، ستكون الثقة مترددة ومؤقتة جداً. ينطبق نفس الأمر على تقلب الحالة

الذهنية فهي عدم القدرة على الاعتماد على ذلك الشخص أو التبؤ بحالاته العاطفية أو الشعورية. من الصعب أن تثق في شخص تكون حالاته المزاجية متقلبة. لا يمكنك أن تعتمد على ما كانوا يشعرونه نحو أمرٍ معين بالأمس.

**خامساً، الضعف الأخلاقي**، إنه نقطة ضعف قاتلة فيما يتعلق بالثقة. من الصعب أن تثق في شخص ما عندما تساورك الشكوك في مدى صلابته ضد الضغط أو المعارضة، أو حيثما يثبت أن بشخصيته ضعفات أو نقص في المبادئ. هذا الجانب حرج وحساس في كل العلاقات الهامة. في المشورة التي تسبق الزواج، أقوم في سياق المشورة بإلقاء هذا السؤال الصريح "هل لديك الثقة الكافية في ذلك الرجل (أو هذه المرأة) كي تثقي فيه وتستودعيه باقي أيام عمرك؟" إني أجد أن بعض الأفراد يتراجعون في أماكنهم - فهم لم يفكروا في هذا السؤال بجدية من قبل مطلقاً. لكن الشخصية شيء هام جداً عند تتعرض لضغط. لا توجد امرأة ترغب في رجل لن يكون متواجداً معها عندما تكون هناك مشاكل؛ ولا يوجد رجل يرغب في امرأة ستنهار وتغرق في فيض دموعها عندما تظهر المآزق.

الصيت أمر مزدوج الحساسية عندما يتعلق الأمر بالعلاقة بين مجموعة وقادتها. ما الذي يجب أن تثق هذه المجموعة في قادتها بخصوصه على سبيل المثال؟ أحد الأمور هو أنهم يجب أن يثقوا في حكم القائد، وأنه قد حدد الهدف الصحيح وأنه يحقق هذا الهدف. وهم أيضاً يثقون في سعة حيلة القائد، بحيث عندما يواجهون موقفاً مجهولاً في المستقبل يتوقعون أن يتخذ القائد القرارات الصحيحة ويحدد الخيارات الملائمة. لكنهم أيضاً يثقون في كمال القادة، بحيث إذا ارتكب القادة خطأ لن يحاولوا أن يغطونه أو يتنصلوا من المسئولية بل سيواجهون خطأهم وسيقودون الشعب للعودة بهم إلى أرض الأمان. وهم يثقون أيضاً في مثابرة قادتهم، وأنهم سيستمرون في مواقعهم حتى عندما تمضي الأمور إلى الأسوأ. إذا تكون لدى الشعب فكرة تقول أن قادتهم من المرجح سيشحبون ويهتمون بسلامتهم الشخصية فقط إذا ساءت الأمور فالشعب سيتردد في السير وراء هؤلاء مسافة كبيرة. وسيكون لهم الحق في ذلك. الأمانة، وبخاصة الإخلاص والوفاء في مواجهة التجارب والمصاعب تمثل عنصراً جوهرياً في سمعة وصيت القائد.

وفي النهاية، إننا بحاجة بأن نذكر الغيرة هنا لأنها تنمو عادةً نتيجة نقص الثقة. فالشخص يصير خائفاً أو متحفزاً نتيجة شعوره بطعنة غدر في مشاعر الطرف الآخر أو نتيجة فقده مركزاً متميزاً أو هدفاً قيماً. ينتج عن الغيرة شك وتولد تنافساً ومرارة. وحيثما لا يوجد ضمان ضد هذا فمن الصعب بصورة خاصة على الطرف الآخر أن يتعايش مع هذه الأمور أو أن يتجاهلها، لأنه لا شيء يقوله أو يفعله يستطيع بصورة أو بأخرى أن يعيد طمأنينة الطرف الذي تصيبه الغيرة. فالغيرة مثل الشعور بالنقص والصغر تعمل على التغذي والتهام هذه التأكيدات ذاتها التي تعمل على طرد هذه الغيرة.

"الغضب قساوة والسخط جراف ومن يقف قدام الحسد" (أمثال ٢٧ : ٤)

## أشياء تؤذي الاحترام

ما أن نبدأ في إدراك أهمية الاحترام والإكرام في العلاقات وما تعنيه هذه الكلمات حتى ندرك عادةً بألم فشلنا المتكرر في هذا الصدد. فالاتجاهات الداخلية والأفعال التي تهين الطرف الآخر قد زحفت إلى العلاقات التي تعني الكثير بالنسبة لنا أو التي تمثل الجزء الأكبر من حياتنا. بل حتى

الحكمة العالمية تغذي هذا التوقع. فقد قيل لنا أن عدم الكلفة تفرز نقص الاحترام، وأن الأصنام لها أقدام من الطين وأنه لا يوجد إنسان بطل في عيني خادمه. وهذا يبدو كمن يقول في الواقع أنه كلما عرفت أكثر عن الشخص كلما قل احترامك لهذا الشخص. سنعود إلى هذه النقطة في موضع أخر.

إننا نبدأ أيضاً في التعرف بصورة أكثر وضوحاً على المشاعر الحقيقية الكامنة في بعض الأحيان وراء غضبنا أو ازدرائنا أو جرحنا نتيجة مشاكل العلاقات - فنحن ندرك أننا تعرضنا لمهانة بصورة أو بأخرى. فنحن لم ننل المعاملة اللائقة بأفراد لهم قدرهم وقيمتهم بل كما لو كنا قطعة أثاث أو لا نساوي أكثر من بعض "القاذورات". والمشكلة هنا هي ضياع الكرامة.

في ما يلي بعض الاتجاهات الشخصية أو أساليب السلوك المعتادة والتي من شأنها أن تؤذي الاحترام، أو تجعل من الصعب على الشخص أن يحافظ على احترامه الذاتي.

**أول شئ في الأهمية هو عندما يُستخدم الأشخاص كوسائل لتحقيق غرضٍ ما**، بدلاً من أن يكون الأشخاص غاية وهدف في حد ذاتهم. كيف نمضي في استخدام غيرنا لتحقيق

أغراضنا الخاصة، هذا أمر يتباين بصورة كبيرة. قد نسود عليهم بواسطة قوة إرادة قهرية، أو باستخدام أشكال متنوعة من الضغوط الاجتماعية أو الدينية أو النفسية أو العاطفية أو أي من أشكال الإكراه أو الابتزاز. قد نفعل هذا بصورة أكثر تأدباً وذلك عن طريق الإقناع أو المناورة البارعة أو بواسطة مجموعات الضغط أو غيرها.

عندما يشعر العمال أن الإدارة تنظر إليهم حقاً على أنهم لا يزيدون كثيراً عن مجرد آلات متحركة تتنفس لا أكثر تكون أمامك الوصفة الأكيدة لنزاع على المستوى الصناعي. عندما تصل الزوجة إلى إدراك نهائي أن كل ما تعنيه بالنسبة لزوجها هو أنها مجرد فرد يعتني بالأطفال ويعد الطعام ويشاركه الفراش، فأنت أمام زواج يعاني من مأزق عميق فعلاً.

ثم هناك الألم الداخلي الشخصي الذي يعانيه من هو غني جداً أو بالغ الجمال أو ضخم النجاح ـ وهو أن أصدقائهم أو أحبائهم ينجذبون في الواقع لهم لأجل مصالحهم الشخصية أو لأجل غناهم أو جمالهم أو نفوذهم. فهناك قائمة كبيرة من الألقاب غير المحترمة التي تصف هؤلاء، مثل: المتسلقون أو المتملقون أو الموافقون على كل شيء أو الطفيليون.

ثـــاني شـــيء، الانتقـــاد، والمضايقـــة والتفتيـــش عـــن الأخطـاء، وكلهـا أمور مؤذيـة لشـعور الشـخص وإحساسـه بقيمتـه وقـدره الشـخصيين . أذكـر أب كـان يعـترف بدمـوع في إحـدى دور المسـنين أنـه دفـع ابنيـه لمغـادرة المـنزل لأنـه لم يكـن يفعـل شـيئاً سـوى تصيـد الأخطـاء لهمـا منـذ أن كانـا صبيـين صغـيرين. كـان هدفـه طيبـاً بـلا شـك لكـن الرسـالة الـتي نقلـها لابنيـه كـانت تعـني تفاهتـهما وانعـدام قيمتـهما. عـادةً مـا نكـون مسـتعدين أكـثر مـن الـلازم لتصديـق أسـوأ الأمـور بالنسـبة لأنفسـنا وعندمـا ينقـل ذلك لنا مـن نعتـبرهم أفـراداً مـهمين بالنسـبة لحياتنـا، فـهذا يعـزز أسـوأ مخاوفنـا. وقـد يصـير هـذا لعنـة بـالمعنى الحـرفي أو إدانـة أو إفساد لحياتنـا برمتـها.

يتحـد مـع ذلـك أيضـاً ميلنـا في بعـض الأحيـان إلى إحـراج الشـخص الآخـر أو التقليـل مـن شـأنه أمـام مجموعـة مـن البشـر، عـن طريـق الفكاهـة أو الدعابـة في بعـض الأحيـان. لا يوجـد مـا يـؤذي ويـؤلم الزوجـة أكـثر مـن سماعـها زوجـها وهـو ينتقـد أو يسـخر مـن آرائـها أمـام الآخريـن أو ينتقـد مجهوداتـها أو يضعـها نصبـاً لنكاتـه بصـورة تحرجـها. عندمـا يحـدث هـذا تكـون هنـاك علاقـة في طريقـها للاصطـدام، إذا لم تكـن قـد اصطدمـت بـالفعل.

قارن هذه الصورة بما ورد في (أمثال ٣١ : ٢٩)، حيث يتفاخر الزوج بزوجته - (بنات كثيرات عملن فضلاً أما أنت ففقتِ عليهن جميعاً) هذا الخطأ غير قاصر على الأزواج والزوجات، بل.الآباء أيضاً يفعلون ذلك مع بنيهم، وفي بعض الأحيان يفعل الأبناء ذلك مع آبائهم أو مع غيرهم من البنين، ومن الممكن أن يحدث هذا في مكان العمل أو الفصل الدراسي وليس نادراً ما نسمعه أيضاً من على المنبر.

الإحساس بالتجاهل أو عدم التقدير يسبب نفس القدر من التدمير على الرغم من أنه ليس بنفس القدر من السهولة في المداراة. عندما لا تتلقى آرائنا أي رد فعل على الإطلاق، أو لا يشعر أحد بوجودنا، أو لا ترفض رغباتنا بنفس القدر الذي لا ينظر إليها بعين الاعتبار كشيء يستحق الانتباه، نشعر بالمهانة أننا لا شيء أو لا أحد. يشعر الأطفال أنهم غرباء بعض الشيء في بيوتهم، وتشعر الزوجات أنهن بنفس قيمة أدوات المطبخ؛ وهذه هي النتيجة النهائية لشلل أخذ يتسلل ربما على مر سنوات مضت.

على الجانب الآخر هناك في بعض الأحيان أشياء تتعلق بشخص ما تجعل من الصعب جداً علينا أن نحترمه

بسببها. أحدها هي الأنانية أو عدم إحساسه بالمسئولية، وهي إحدى صور الأنانية أيضاً، فهو يعمل على إشباع رغباتنا الخاصة بدون أدنى اعتبار لكيفية تأثر غيرنا نتيجة سلوكنا هذا. من الشيق أن نعلم أنه لم توجد حضارة من قبل في أي مكان أو زمان كانت تعلي من قدر الأنانية؛ قسوة، نعم، خيانة وغدر، أحياناً، لكن الإنسان الأناني لم يجد من يعجب به على الإطلاق.

عدم الصلاحية وعدم الملائمة وتكرار الفشل كلها أمور تستطيع أن تفقدنا احترام الآخرين. أنه أمر لا يتعلق بنقص القدرة بقدر ما يؤخذ ضدنا، بل بالأحرى تظهر عدم الصلاحية هذه في جوانب سبق لنا ادعائنا أننا نصلح للقيام بذلك. إن مواجهة صعوبة في المسائل الحسابية لن يفقدك احترامك بصفة عامة، إلا إذا كنت أنت مدرساً لمادة الرياضيات أو مهندساً ويفترض فيك بموجب هذا أن يكون متمكناً في هذا المجال. كذلك عندما يكون الفشل عائداً إلى قلة المجهود أو التراخي وليس نظراً لنقص القدرة فنحن سننال في الغالب احتراماً أقل. الشخص الذي يحاول بأفضل ما عنده ومع ذلك يفشل فإنه ينال الاحترام نظراً لما بذله في المحاولة.

في النهاية، هناك الحقارة والتفاهة بكل أشكالها - كالزوج الذي يسخر من الطريقة التي تم إعداد إفطاره بها، والزوجة التي تعبس في كل مرة لا تسير الأمور وفقاً لما تريده هي، والصديق الذي يشعر بالغضب القاتل لأنك لم ترد على خطابه الأخير، والشماس الذي يرغب في الاستقالة لأن شخصاً ما نسيَ أن يخبره بإلغاء أحد الاجتماعات. عندما تنفجر مثل هذه القضايا الصغيرة أو غير العامة بصورة تتعدى كل المقاييس، نشعر بصغر أو عدم أهمية الشخص الذي يفعل ذلك. وهذا الصغر من الصعب علينا أن نحترمه أو نعجب به.

## حواجز على طريق الفهم

نصل الآن إلى طرح بعض الأمور التي يمكنها أن تسبب سوء فهم في العلاقات أو من شأنها أن تجعل الفهم شيئاً صعباً. إننا لا نركز كثيراً على ماهية الحالات الشائعة في سوء الفهم لكن نركز بالأحرى على القضية الأساسية وهي كيف يحدث سوء الفهم في المقام الأول.

يعتمد الفهم والمعرفة المتبادلة على أمرين، نقل عبارات دقيقة وذات معنى تعمل على كشفنا للآخرين وكذلك تقديم

تفسيرات دقيقة وذات معنى لما يقوله الآخر من عبارات عن نفسه.

**الحاجز الأول والأكثر شيوعاً للفهم بناء على ذلك هو نقص التخاطب أو التخاطب غير السليم.** من الصعب جداً، إن لم يكن مستحيلاً، للشخص الآخر أن يفهمنا لأنه ليس أمامه سوى الاعتماد على الفهم المبني على معلومات غير دقيقة أو غير موجودة أصلاً. فتكون أحكامه مجرد تخمينات أو استنتاجات تتعلق بطبيعة الشخص الحقيقية. هناك بالتأكيد تخاطب من نوع أو آخر طوال الوقت. حتى أوقات صمتنا تنقل أشياء. لكن ما لم نكن قادرين على نقل أفكارنا ومخاوفنا وحالاتنا الشعورية وآرائنا بطرق مفهومة، تتزايد احتمالات حدوث سوء تفاهم.

يمكن إرجاع التخاطب غير السليم أو غير الكامل إلى عدد من الأسباب. قد يكون نتيجة الخجل أو التحفظ، أو لحدوث صعوبة مؤقتة في التعبير عن حياتنا الداخلية؛ قد تكون مشاعر صغر نفس أو نتيجة أية إحباطات أخرى أقنعتنا بعدم وجود من يهتم بما نقوله عن أنفسنا. أو قد يكون حتى شعوراً غير صحي بالسرية بدرجة زائدة لأن هناك جوانب

مختفية في رغباتنا وأفكارنا لا نجرؤ على تعريضها لضوء النهار.

على الجانب الآخر هناك أيضاً أشياء تتداخل مع قدرتنا على الفهم والإدراك بدقة. من بين كل هذا تسود أشكال متنوعة من التفرقة أو التحامل في الحكم والتي نكتسبها سواء مع إدراكنا لذلك أو عدم إدراكنا له، وهو ميل نحو إطلاق أحكام وصفات على البشر بصورة تجعلنا نهيئ أذهاننا بصورة مسبقة فيما يتعلق بهم قبلما يفتحون شفاههم بكلمة. هناك أيضاً الجزم غير المبني على بينة أو دليل والذي يقرر الأمور مسبقاً وبعيداً عن مدى المنطق أو النقاش وهذا يجعل التخاطب أمراً غير ضروري لأن رأينا قد تقرر مسبقاً. "لقد استقر رأيي لا تحاول أن تربكني بحقائق!".

ثم هناك عدم القدرة أو عدم الرغبة في الاستماع بصورة صحيحة. إذا اعترفنا بالحقيقة ففي الواقع أن الكثير من استماعنا لا يعد استماعاً على الإطلاق. أننا نقلب في أذهاننا ما نريد أن نقوله بمجرد ما نجد فرصة لاختراق المحادثة. الاستماع الذكي عادة ما يكون مضحياً وجاداً في تنفيذ ذلك، جاداً أكثر من المتحدث ذاته ولعل هذا هو السبب الذي

يجعلنا نفضل القيام بالأمر الآخر.

عدم الحساسية أو انعدام التخيل وهي أيضاً حواجز تمنع الاستقبال. إننا نحتاج عادة لأن نستمع لما بين السطور، لأن هناك كلمات بين السطور، لكي ندخل إلى عالم الشخص الآخر بخيالنا إذا أردنا حقاً أن نرى ما الذي يحاول الشخص الآخر أن يوصله إلينا. وعندما تنقصنا الحساسية وتفهمنا لموقف الآخر لا تبقى لدينا إلا المعاني الظاهرة للمسرحيات الفكاهية، وفي الحياة الواقعية، لكن النتائج تكون في بعض الأحيان أقل إضحاكاً.

## ما هو الحل؟

قد يتركنا هذا الفصل محملين بانطباع أن كل موضوع العلاقات هذا هو كمثل منجم وفرصتنا في تحقيق النجاح فيه ضعيفة جداً في الواقع.

نشكر الله أن الموقف مختلف بل فوق ذلك سنقوم بالتصرف بصورة أفضل كثيراً وذلك بتنسيق جهودنا نحو بناء علاقات قوية بدلاً من تركيز كل اهتمامنا على تصحيح نقاط الضعف بها. أن تخصيص أربعة فصول للعوامل الإيجابية وفصل واحد على تلك السلبية يعد توازناً صحيحاً في الغالب.

وفوق ذلك نحن بحاجة لأن ندرك المخاطر المحتملة لأنها واردة بالتأكيد. وبصفة عامة عندما أهملنا في تنمية العلاقات أخذت العيوب والنقائص تزحف إليها. سنتناول حل المشكلات بأكثر تفصيلاً في فصل لاحق لكننا نقدم فيما يلي تعليقاً أو اثنين لمساعدتنا في هذا الصدد إذا أدركنا بعد قراءة هذه الكلمات أننا كنا مخطئين بتبنينا بعض الاتجاهات الداخلية الخاطئة المذكورة هنا.

يبدأ الحل دائماً باعتراف صريح بفشلنا وبتحديد طبيعة فشلنا هذا لكن الأمر يستلزم أيضاً أن نتحمل مشاق تصحيح الوضع. وهذا سيعني بصفة عامة أن نتبنى عن إدراك الاتجاه أو الروح المضاد لما كنا نعبر عنه من قبل. كل شر يعد أمر سلبي بصورة جوهرية أو غياب للخير؛ والانتقاد هو غياب التأكيد والتشجيع والتقدير؛ والرفض هو غياب القبول والألفة وهلم جر. لذلك نحن بحاجة أن نعوض ذلك، وعادة ما نحتاج لوقت معين أن نعوض ما قد سبق وفعلناه بدرجة زائدة. إذا أحبطت أحد الزملاء أو صديق أو زوج أو زوجة أو ابن بشدة نتيجة اتجاهاتي الداخلية السلبية، يجب أن أدرك أن هناك نقصاً يجب أن أسدده في إطار تلك العلاقة. سأحتاج

أن أكون مشجعاً بصورة أكثر من المعتاد للتغلب على ذلك الأذى الذي سببته وإصلاحه. إذا كنت قد كسرت جسر الثقة، يجب أن أتقبل مسئولية إعادة بناء تلك الثقة بصبر ومثابرة حتى تستقيم وتتعافى.

إن وجود دليل في حياتك يثبت صحة ما ذكرناه فذلك من شأنه أن يمنحنا فكرة أوضح عما نحتاج أن نتعهده في علاقاتنا. إذا كنت قد فشلت في جوانب تؤثر على الفهم، فهذا هو ما أحتاج أن أتحرك نحوه وليس نحو تحقيق ثقة أكثر أو احتراماً أكبر. وإذا كنت مذنباً في أمور جرحت المحبة، فالأمر لا يحتاج فهماً أكبر أو معرفة أعم، بل اهتماماً ومشاعر أعمق

الفصل السابع

# عندما تتحطم العلاقات

إن انهيار أية علاقة نكن لها التقدير يسبب دائماً ضغطاً ويتناسب هذا الضغط في العادة تناسباً مباشراً مع أهمية العلاقة.

كلما زادت درجة الألفة في علاقة ما، كلما تضخمت الصدمة المتولدة عن انكسار هذه العلاقة. وكلما زادت مساحة حياتنا التي تؤثر فيها علاقة ما كلما زاد الجيشان إذا انفصمت هذه العلاقة. ليس بالضرورة أن يكون الجانبان متماثلين. فحدوث تغير ضخم في الوظيفة قد يحمل في طياته تبدلاً كبيراً في أسلوب حياتنا وإعادة تنظيم رئيسية للعلاقات، لكن ما ينتج عن ذلك من صدمة يكون ضئيلاً جداً. مع ذلك تظل هناك درجة معقولة من الضغط بسبب مدى التغيرات التي تحدث.

على الجانب الآخر قد يؤدي تمزيق علاقة صداقة حميمة أو ضياع علاقة عائلية نتيجة فقدان أحد الأشخاص، إلى صدمة كبيرة على الرغم من انحصار وضآلة التبدل في نمط

حياتنا الخارجي في أضيق الحدود. إن أحد مظاهر تحطم الزواج هو الارتباط بين الصدمة والفوران، الأمر الذي يجعل هذا التحطم مؤذياً. تحدثت مؤخراً مع سيدة اختبرت في حياتها في مرات متفرقة ألم الطلاق وألم فقدان شخص من الأسرة في زواجين مختلفين. كانت تعتبر معاناة الطلاق أضخم بكثير من ألم وفاة زوجها. قالت لي "في زواجي الثاني فقدت زوجي لكنني لم أفقد مطلقاً محبته وأدرك أنه في أحد الأيام سيلتئم شملنا ثانية. لكن في زواجي الأول فقدت زوجي وفقدت محبته أيضاً، وهذا ما جعل الأمر قاسياً جداً".

## حالات ذهنية

يكون حكمنا تحت تأثير الضغط موضع ريبة وشك ويكون مدى كفاءة قدرتنا على اتخاذ القرارات مشوهة من الجوهري أن نتذكر هذا الأمر عندما نحاول أن نساعد أشخاص واقعين في خضم مشاكل تختص بعلاقاتهم، أو إذا كنا نحن أنفسنا في هذا الموقف. لذا فنحن بحاجة للتصحيح الذي تقدمه لنا النصيحة الحكيمة المتجردة القادمة من الخارج، من شخص يهتم بنا لكنه غير غارق شخصياً أو

عاطفياً في المشكلة. رأينا جميعاً أشخاص اعتدنا أن نفكر فيهم على أنهم أشخاص متزنون وموضوعيون جداً، ثم فجأة نجدهم ينقلبون إلى متحيزين ومتعصبين ومتبلدي الذهن نحو الزوج أو الزوجة أو أي شخص آخر يجب عليهم أن يعملوا معه عن قرب. ليس بالضرورة أنهم يتصرفون هكذا عن قصد أو بإراداتهم، لكنهم في الغالب يتصرفون نتيجة لوجود ضغط على العلاقات وهذه المظاهر من الإفرازات المعتادة لذلك.

فيما يلي بعض الحالات الذهنية التي من المحتمل أن نقابلها أو نختبرها عندما تنهار العلاقات.

**على أحد الجوانب نجد التبرير الذاتي - "إنه لم يكن خطأي"**. وهذا هو الميل نحو رؤية ذواتنا في الجانب الصواب من نزاع أو أن نكون الطرف المجروح أو الضحية البريئة لإرادة أو سلوك مريض نابع من الشخص الآخر. إن قدرة القلب البشري على التبرير الذاتي أو خداع الذات بلا حدود، وهذا هو سبب احتياجنا للروح القدس كي يفحص قلوبنا ويفتح عيوننا على الحق. لقد وجدت في مرات عديدة أن التركيب المنطقي المقنع تماماً والذي يفرض وجهة نظري بالقوة ويهدف في الواقع إلى توثيق براءتي التامة، وجدت هذا

المنطق ينهار مثل حزمة من الأوراق التافهة في حضرة روح الله.

**على الجانب الآخر من التبرير الذاتي يوجد الاتهام المضاد** "كان الأمر كله بسبب خطأك". هنا، ننظر إلى الشخص الآخر على اعتبار أن الملامة كلها يجب أن توجه له بسبب ما قد حدث. يشمل الاتهام المضاد عادة ليس فقط إلقاء الأحكام على سلوك الشخص بل وتفسير دوافعه أيضاً. إننا نعلم "لماذا" تحدثوا أو تصرفوا بذلك الأسلوب أو ندرك ما كان كامناً "حقاً" خلف سلوكهم هذا. هذا النوع من الإدانة هو ما أدانه يسوع في مرات عديدة. إن فهمنا لدوافعنا الشخصية الحقيقية أمر لا يجد من يلتفت إليه لأنها دوافع سيئة السمعة. وفوق ذلك نحتل مقعداً ليس من حقنا أن نشغله ونطلق أحكاماً وتقييمات محددة ودقيقة على دوافع غيرنا من البشر.

**تصاحب هاتين الحالتين الذهنيتين حالة ثالثة وهي العذر** "لم أستطع فعل أي شيء". إننا نحتاج أن نجد أسباباً تحلنا من تبعية اللوم أو من مسئوليتنا عن الأسلوب الذي تصرفنا أو تعاملنا به. يجب أن نجد تفسيراً يمكننا أن نشعر عن طريقه أن أي شخص آخر تحت نفس الظروف لابد وأن

يتصرف أو يقول أو يشعر بنفس الشيء. في بعض الأحيان تغطي ملاءة الأعذار كل الأطراف الداخلة في النزاع وعندئذ يمكننا إنقاذ بعض الأشياء الثمينة المتخلفة من حطام الموقف. "أنا لا ألوم زوجي أيضاً. إذا كان أبوه قد سانده مادياً كما يجب لكان نضاله وصراعه أقل كثيراً".

في النهاية، خاصة في انهيار الزواج، نجد الارتباك الكامل. فكلا الطرفين لا يملك أية فكرة واضحة عما سبب ذلك الخطأ أو أفرز تلك المشاكل. "لقد بدأنا حياتنا بكثير من الحب. أي شيء على الأرض جعلنا نصل إلى مثل هذه الفوضى؟"، "أنا لا أعلم ما الخطأ الذي ارتكبناه. لا أستطيع أن أصدق أن هذا ما حدث لنا فعلاً".

كل هذه الحالات الذهنية مدركة بالذهن، لكن هناك حالات في اللاوعي ولأنها كذلك فهي ذات تأثير أكثر قوة. أنها تسمى آليات الدفاع، وتستخدمها الأنا لحماية ذاتها من الفحص الذاتي المؤلم أو غير المحبوب.

أحد أمثلة هذا النوع من أسلحة الآنا هو **التبرير العقلي**. وهو استبدال المنطق الحقيقي بمنطق آخر أكثر قبولاً لصورتنا عن ذواتنا. فمثلاً إذا حدث تخطي لنا في الترقية في

أعمالنا فقد نقتنع بأن سبب ذلك عائد إلى كوننا مسيحيين أو لأني امرأة أو شخص أسود اللون أو لأني لا أشرب مع الجمع ، أولاً لا أرغب في إنجاز بعض المجاملات لرئيس العمل. السبب الحقيقي هو أننا لسنا أكفاء لهذه الوظيفة ولعل أحد أسبابنا الداخلية هو عجزنا التام عن مواجهة هذا الأمر. فبدون وعي نجد أسباباً أكثر قبولاً كي نشرح بها فشلنا.

الإسقاط هو أحد آليات الدفاع المشهورة. إنه يتمثل في قدرتنا على رؤية أخطاء في غيرنا هي في الواقع أخطائنا الشخصية وسقطاتنا بعينها والتي نحن غافلون عنها. الشخص الذي يشتكي دائماً من روح الانتقاد في الكنيسة من المرجح أنه بذلك يقوم بإسقاط مشكلته الشخصية على أولئك الذين حوله.

ثالث تلك الأمور هو الإزاحة. إن التفاعلات أو الأحاسيس التي ليس بمقدورنا أو لا نرغب في التعبير عنها أو الاعتراف بها بخصوص أمر ما تجد لها مخرجاً في موقفٍ لا يمت للموقف الأصلي بصلة، فالرجل الذي يتعرض لتأنيب قاسي أو عقاب في وظيفته ويكتم غضبه خوفاً من رئيسه، أو حرصاً على صورته في العمل، قد يعود إلى البيت ويطلق لغضبه العنان مع زوجته أو أطفاله بدون سبب على الإطلاق

وسيكون عموماً هو غير مدرك على الإطلاق لما يفعله، بل مندهشاً من أن زوجته وأطفاله يسببون له ضيقاً لا يحتمل بهذه الدرجة ويتعمدون إغاظته في حين أن كل ما كان ينشده هو أمسية عائلية هادئة.

## حالات نفسية

عندما تكون العلاقات تحت ضغط أو في طريقها للانهيار، يشتمل الأمر دائماً على قدر كبير من التوتر والمعاناة النفسية. إن ردود فعل البشر النفسية معقدة للغاية وإذا نظرنا لمثل هذا الموقف من الخارج يجب أن نكون حساسيين ومدركين لما يمر به هؤلاء في تلك اللحظة. والمظاهر الخارجية لا تكفي للتعبير عن ذلك. فمثلاً إذا كان هناك شخص يذرف الدموع الغزيرة، فهل هذا حزن أو فرح أو شعور بالذنب أو راحة أو خوف أو إحباط أو غضب أو ألم؟ إذا تصرفنا أو تفاعلنا بموجب تفسير خاطئ للمشاعر التي يعبر عنها ذلك الشخص فمن الممكن بسهولة أن نجعل الأمور أسوأ مما هي عليه. فيما يلي بعض الحالات النفسية المعتادة والتي تظهر عندما تكون العلاقات الهامة معرضة لضغط أو تدهور.

**أول أمر هو الألم.** من الممكن أن يشار إلى الألم على أنه

نتيجة جرح أو فقدان شخص أو شيء أو حزن أو أسى أو وحدة أو كآبة. إن المعاناة التي يشتمل عليها الجرح النفسي مؤلمة بقدر ألم أي جُرح عضوي لكن لأن هناك الدليل الخارجي الذي يشير إلى ذلك بسيط جداً، فهو يجتذب تعاطفاً أقل. يستطيع أي شخص أن يرى ذراعاً مصابة بكسر وأن يقدم المعونة، لكن لا يرى أحد قلباً مكسوراً. إننا لا نقدم مشورة لشخص أصيب بكسر في ساقة كي يسير في نفس الطريق الذي نتوقع أن يسير فيه شخص كسير الروح.

**ثاني أمر هو الغضب.** ولأن الغضب يعتبره الكثير من المسيحيين – عن خطأ – أمراً غير مقبول بصفة دائمة، فكثيراً ما ستجد أشخاصاً يشتكون من أنهم جرحوا بينما هم غاضبون في الحقيقة. إلى جانب ذلك، قد يجتذب الجرح التعاطف، لكن الغضب نادراً ما يفعل ذلك. قد يظهر الغضب في صورة عدوانية أو مرارة أو حقد أو رغبة في الانتقام أو إغاظة. لن يفيد مطلقاً أن نسيء تفسير الوضع أو نحاول تهدئته. بل إننا بحاجة أن نفهم أن الغضب جزءاً شرعياً من مكونات النفس البشرية. إنه أحد المشاعر الخاصة بمواقف الطوارئ ووظيفته هي استثارتنا لمواجهة التهديد أو الخطر. إذا لم تتم مواجهة

القضية أو حلها، من السهل أن ينزلق الغضب ليصير امتعاضاً واستياء، وهذا معناه حرفياً "تزايد الشعور أكثر فأكثر". سنتناول هذا الجانب من الغضب بتفسير أكثر عندما نتحدث عن حل المشاكل في العلاقات.

**مشاعر الذنب** هي أصعب المشاعر على الإطلاق في تعاملنا معها من عدة جوانب. ولعل هذا راجع إلى أننا بإدراك وبدون إدراك نعمل على الدفاع ضد هذا الشعور في داخلنا. يمكن أن يظهر الشعور بالذنب في ثلاث صور رئيسية:

أولها هو **الأسف**، وهي حالة سلبية متعادلة.

الصورة الثانية هي **الندم أو الإدانة** وهي حالة سلبية وغير مفيدة سريعاً ما تضطرب وتتداخل مع الشفقة على الذات.

الصورة الثالثة هي **التوبة** والتي يمكنها أن تقود إلى إصلاح إيجابي للموقف. التوبة ليست مجرد أسف على أفعالنا الخاطئة بل التحول عنها برغبة لإعادة إصلاح وتعويض وتقويم اتجاهاتنا وسلوكنا الخاطئ.

**هناك مجموعة رابعة من المشاعر تدور حول الخوف** – وهي تشمل على الخشية والإنذار والتهييج والرعدة والذعر.

وهـي تحـدث عندمـا تنـهار الأمـور المريحـة المألوفـة والآمنـة. فالمستقبل مجهول ولا يمكـن التنبـؤ بـه أو حتـى التفكـير فيـه. هـل سـأتمكن مـن مجاراتـه؟ مـا الـذي سيحدث؟ الغضـب والشـعور بـالذنب والخـوف تسـير معـاً يـداً بيـد في العـادة. إذا ظـهر أي منـهم ففـي الأغلـب مـايكون البـاقي منتظـراً علـى البـاب أو لعلـهم تحت السـطح مباشرة؛ وهـم يقـوون بعضـهم بعضـاً، فمثـلاً يغضـب الطفل من أبويـه؛ ويشـعر بـالذنب لأنـه يعلـم أنـه يجـب أن يحـب أبويه. والشـعور بـالذنب يجلـب الخـوف مـن العقـاب وبـاقي النتـائج المترتبـة عليـه؛ والخـوف يشـد مـن أزر الغضـب الـذي هـو عبـارة عـن رد فعـل دفـاعي في مواجهـة الخطـر؛ والغضـب يولـد إحساساً أكـبر بـالذنب والذنـب ينتـج خوفـاً أكـبر. عندمـا تنكسـر هـذه الدائـرة فقـط بواسـطة الغفـران تسـتطيع الراحـة والشـفاء الظهور علـى السـاحة.

**الحالـة الخامسـة هـي الغـيرة أو الحسـد.** فالغـيرة هـي إمتعاض وإسـتياء نتيجـة فقـدان وضـع متمـيز. مثـلاً، عندمـا يحتـل شـخص آخـر مكانننـا في حيـاة أو مشـاعر شـخص مـا. تسـتمر الغـيرة في زيجـات عديـدة انتـهت بـالطلاق لتحقيـق الراحـة الظاهريـة لكـلا الطرفـين. فاسـتبدالك بشـخص آخـر حتـى لـو كـان

بالنسبة لدور أنت تدرك أنك لن تقوم به فيما بعد، تجد مشاعر الغيرة تتفجر بداخلك. الحسد هو الصورة المدمرة للغيرة. فالغيرة تقول "أريد ما لديك" أو "أريد أن أسترجع ما قد فقدته لصالحك". أما الحسد فيقول "من الأفضل أن ندمر هذا الأمر تماماً كي لا يمتلكه أي منا". الحسد هو أحد المشاعر المدمرة بصورة خاصة على كل مستويات مجتمعنا الحديث.

في النهاية هناك مشاعر النفور، والشعور بالغربة، واللامبالاة والتبلد. مع شعور اللا مبالاة واللا فرق، تصبح العلاقة ميتة مع فقدان حتى الرغبة في أستعادتها وإصلاحها. فالشخص يصبح لا مبالياً بالأمر كي يأخذ أية خطوة أخرى. حتى إمكانية الإصلاح أو تحقيق المصالحة تفشل في إيقاظ أقل قدر من الاهتمام.

## أساليب السلوك

إن أساليب السلوك الأساسية والتي تنتج عن حالات الذهن والمشاعر هذه يمكن أن تتميز إما بالصراع أو بالهرب، على الرغم من أنها قد تتأرجح بدرجة كبيرة بين هذين النقيضين. في حالة الصراع يكون هناك تصادم ونزاع ومواجهة وتصارع. وقد يتحول الأمر إلى سلوك عدواني عنيف. وقد

يؤدي إلى اعتداء جسدي أو الأكثر اعتياداً، إلى اعتداء نفسي وعاطفي. وهنا يحدث انسحاب وتجنب أية صورة من صور الاحتكاك والتلامس؛ فالشخص يرغب في الخروج من كل هذا الخصم.

على الرغم من المظاهر الخارجية، فالحالة الأولى هي الأكثر أملاً من بين هاتين الحالتين فيما يتعلق بقضية العلاقات. فهي تشير إلى أنه عند الوصول إلى قاع المشكلة هناك طرف أو حتى الطرفان يشعران إنه مازال هناك شيء في تلك العلاقة يستحق الصراع لأجله، حتى لو كان هذا الشيء هو احترامهم الذاتي فقط. أما في الحالة الأخرى فالشخص سواء بإدراك أو بدون إدراك قام بموازنة النقاط المحسوبة لصالح العلاقة وتلك التي ضدها ووصل إلى نتيجة نهائية مفادها أن تلك العلاقة لا تستحق الجهد.

## التدخل للمعونة

لقد خصصنا جزءاً لنرى ما هو التشريح المرضي للعلاقات. وتناولنا الحالات العقلية والعاطفية للبشر في تلك العلاقات ليس على الرغم من ذلك هو المفتاح الأول لشفاء أو إصلاح العلاقة كما سنرى لاحقاً. لكن على الرغم من ذلك

فهذه الحالات تمثل حقل الألغام الذي يتعين علينا أن نواجهه بحثاً عن معونة الأشخاص المشاركين في هذه العلاقات. لذلك نحن بحاجة لفهم ما الذي نواجهه. فالتخبط الأحمق في حقل ألغام شيء لا ينصح به.

إن الطريق الذي علينا أن نسلكه عبر كل هذا ليس صعباً كما قد نظن، مع الوضع في الاعتبار أن نذكر دائماً حقيقة هامة للغاية. عند محاولة مساعدة شخص آخر، سواء بصفتك مشيراً أو صديقاً أو كاتم أسرار أو راعياً فأنت بصدد الدخول في علاقة مع هؤلاء أيضاً وهذه العلاقة تحتاج نفس العطاء ونفس العناصر ذاتها التي تحتاجها أية علاقة أخرى. بمعنى آخر، ما نحن بحاجة للتركيز عليه، ليس أساليب تتناول تقلبات الشخص أو حالته العاطفية والنفسية أو الذهنية التي لا يمكن التنبؤ بها، لكن بإظهار المحبة والثقة والاحترام والإكرام والقيام بمحاولة صادقة لفهمه وفهم ما الذي يمر به.

خذ المحبة كمثال. إذا لم نهتم بالشخص بصدق فلن نكون قادرين على معاونته بصورة فعالة بغض النظر عن مدى مهارة أساليب المشورة التي نتبعها. الأشخاص الذين يمرون بصدمة نتيجة علاقات محطمة هم أكثر حساسية نحو الظروف

النفسية والروحية. وسيميزون ذلك، فكن حريصاً وتجنب عدم الصبر أو فقدان الاهتمام أو الانتقاد أو الإدانة إذا كانوا قد بدأوا في التكون بداخلك، بغض النظر عن مدى مهارتنا في إخفاءها أو التظاهر بعدم وجودها. ينطبق نفس الأمر على الاحترام. لأن ذلك الشخص يمر بفشل أو رفض في جانب هام من جوانب حياته، فثقته في نفسه وصورته عن نفسه تكونان عرضة لتهديد شديد. فذلك الشخص يكون في أمس الاحتياج للاحترام والتقدير وتأكيد الذات وذلك بهدف تثبيت شعوره بالقيمة والتقدير. إن وجود أي اتجاه بالتعالي أو الرفعة من جانبنا أو تقديم أية حلول باهتة أو متبسطة أكثر من اللازم للمشاكل التي يواجهونها سيتم تفسيرها على أنها تحقير أكثر وامتداداً لما سبق وعانوه وهذا هو السبب الذي جعل بولس يكتب بكل تلك الحكمة إلى أهل غلاطية قائلاً "أيها الإخوة إن انسبق إنسان وأخذ في زلة فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً"[٣٧]

وبنفس الأسلوب نحن بحاجة لبناء مجال من الثقة والتصديق يشعر فيه الأشخاص بالأمان الكافي لإفراغ ما

---

[٣٧] غلاطيه ٦ : ١ – ٢

بداخلهم وهم يدركون أنه لن ينتشر بأية صورة أو أنه سيوجه أو يستخدم ضدهم.

في النهاية، إن الاحتياج الأول والأشد إلحاحاً للشخص هو العثور على شخص آخر يريد أن يفهمه، لا أن يوافقه أو يتفق مع كل ما يقوله أو يتبنى وجهة نظره بل أن يحاول بإخلاص وصدق أن يفهمه. إن الموقف المعتاد كثيراً في علاقة معرضة لضغوط شديدة هو أن تجد شخصين يعتقدان أنهما يعرفان بالضبط النقطة الخطأ في الطرف الآخر في الوقت الذي يظن فيه كل منهما أن الآخر لا يفهمه على الإطلاق، وهما في واقع الأمر لا يفهمان نفسيهما.

عندما يكون هناك استماع بصبر وذكاء وتضحية واهتمام فالشخص المضطرب أو الذي يعاني من المشكلة سيجد عادة الشجاعة كي يفرغ تشوشه العقلي وأعاصير المشاعر بداخله. عندما يتم هذا تستكين قوتهم، مؤقتاً على الأقل. وتبدأ أجزاء تلك المعضلة في التراخي في أماكنها الصحيحة وتأخذ بعض القضايا المستترة في البروز نحو منطقة الإدراك الواعي. ثم بعد ذلك، وليس قبل ذلك مطلقاً، يستطيعون أن يستمعوا لشخص آخر.

## الفصل الثامن

# طريق العودة ... المصالحة

ليس من الضروري اليوم أن يكتب أي شخص كتاباً جديداً عن الحاجة للمصالحة. فهذا الاحتياج يصدمنا في وجوهنا أينما نذهب. العلاقات بين الأجناس، والعلاقات العائلية، والعلاقات في دائرة الأعمال والعلاقات الدولية، كلها حافلة بكميات ضخمة من الألم والغضب والخوف والشعور بالذنب. وهي تصرخ طلباً للشفاء، والرغبة في المصالحة ليست غائبة تماماً، على الرغم من وجود أشخاص على كل جانب من جوانب تلك الانقسامات يحركها الخوف والتحيز متجهين نحو طرفي النقيض بقوة.

المشكلة في العادة هي أننا نفتقد ليس فقط الموارد التي تفرز لنا مصالحة حقيقة بل طريقة تحقيق ذلك تضللنا أيضاً. إننا نتحدث بلا انقطاع عن المصالحة؛ بل هناك رغبة عميقة بداخلنا نحوها. ونحاول أن نحل مآسي معينة وخلق أشخاص جدد أثناء معالجتنا، لكننا لا نحقق بذلك المصالحة، سواء في

حـالات انـهيار الـزواج؛ أو النزاعـات التجاريـة أو في أيرلنـدا أو جنـوب أفريقيـا أو الضفـة الغربيـة. ونتعجـب لمـاذا لا تحـدث المصالحـة.

إنـي مقتنـع أن هنـاك سـبباً رئيسـياً لهـذا الموقـف وهـو افتراضنـا أن كـل شـخص يـدرك كيـف يتصـالح، إذا أرادوا ذلـك حقـاً. لـذا ننتـهي بـالصراخ في وجـه بعضنـا البعـض مطـالبين بتحقيـق ذلـك، ويـزداد الأمـر مـرارة ولا مبـالاة ونفـوراً. هنـاك تراجيديـا خاصـة في عصرنـا الحديـث وهـي فكـرة أن الضغـط سـيحرك الثقـل المـتراكم، لكـن الصيغـة النهائيـة للضغـط هـي العنـف. وننتـهي بـإطلاق النـار بعضنـا علـى البعـض ونحـن بصـدد المصالحـة.

فقـط الكتـاب المقـدس يقـدم السـبب لهـذا التعـارض: مـا تريـد أن نفعلـه ومـا ننتـهي إلى فعلـه. وإجابتـه علـى ذلـك هـي النفـور، وهـو أحـد النتـائج الأولى للسـقوط. بكلمـات أخـرى، النفـور هـو الطبيعـة الثانيـة لطبيعتنـا السـاقطة. والتصـالح علـى الجـانب الآخـر شـيء غريـب تمامـاً عنـا ويعتمـد بالكـامل علـى النعمـة الإلهيـة.

المسـيحيون يحملـون علـى أكتافـهم مسـئولية رهيبـة في

عالم منقسم بشدة لأن الله قد أعطانا خدمة المصالحة بعينها (٢كورنثوس ٥ : ١٨). لكن إذا حاولنا أن نحقق المصالحة بدون فهم واستخدام قوة النعمة الإلهية، فسنفشل، وسيكون فشلنا مشيناً أكثر من فشل المشيرين والمعالجين العالميين. وفوق ذلك، إذا كانت مسئوليتنا هي خدمة المصالحة فنحن ملتزمون أن نتمكن من دوافعها وأساليبها.

هذا الجزء من الكتاب إذاً هو الأكثر أهمية وحسماً على الإطلاق. افهمه جيداً وسينفتح أمامك مجالاً جديداً من الرجاء في تعاملك مع العلاقات الواقعة تحت ضغط والمحطمة، كما انفتح هذا الباب بالنسبة لي. إذا تخطيته لأنه يبدو مزدحماً بالأفكار اللاهوتية أو إذا مررت به مرور الكرام لأنك تعتقد أنك تفهم كل هذا من قبل، فستجد نفسك في النهاية تعود إليه مرة بعد أخرى.

لقد أدركت أن بحثي الشخصي عن إجابات لهذه المعضلة كان مسوقاً بشعور عميق من عدم الرضا عن سجل الكنيسة الضعيف في إصلاح العلاقات الواقعة تحت ضغط أو المحطمة. لقد بدا بالنسبة لي أن إنجازات المشورة المسيحية أفضل بقدر قليل جداً مما حققته المشورة العادية، وليس في

هذا أو ذاك ما يجعلك مبتهجاً بما تحقق.

في أحد أيام الجمعة ظهراً كنت جالساً في مكتبي أقرأ (أفسس ٢) وتوقفت عند العدد ١٣ الذي يقول فيه بولس "... أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح". ثم يستطرد بعد ذلك ويقول "لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط. أي العداوة... لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً..."

أذكر أني توقفت عند تلك النقطة وأخذت أفكر "كيف ينتقل بولس هكذا من مناقشته أمر الخلاص إلى التمييز العنصري بهذه الصورة، بدون حتى التوقف لالتقاط الأنفاس؟".

ثم رأيت فجأة ما تمنيت أني كنت قد رأيته منذ سنوات خلت، إن صليب المسيح هو الوسيلة الفعالة لكل مصالحة، ليس فقط في العلاقة بين الله والجنس البشري بل في كل العلاقات بين البشر. بكلمات أخرى، فالصليب هو الإجابة على كل مختلف أشكال النفور والانقسام التي تسببها الخطية. كل كلمة عظيمة استخدمت لوصف الخلاص كانت تحمل في طياتها فكرة أساسية وهي إصلاح شيء وإعادته إلى

تصميمه أو غرضه الأصلي. وبهذا يصير الفداء شراء واستعادة شيء كان قد وقع تحت نير العبودية، والتجديد يعني إعطاء حياة مرة ثانية لشيء كان قد مات، والخلاص يحمل معنى إنقاذ شيء من الدمار. عندما يتعلق الأمر بالعلاقات. فالكلمة السحرية هي: المصالحة. إن الصليب هو المصدر الإلهي والوحيد لمصالحة غير محدودة. فهو يصالح ليس فقط البشرية مع الله بل شخص مع شخص آخر. عند تحطم الزواج أو في الصراعات أو الاستقطابات التجارية، والتنافر العرقي والصراع الدولي نجد أن العناصر واحدة: نزاع، ظلم، قهر، سوء فهم، وعود مكسورة، احترام ممزق. إن أي حل لا يصل إلى قلب هذه القضايا لن يحقق المصالحة أبداً.

قد نبتدع حلولاً، ونصل إلى مواقف متوسطة، ونساوم كثيراً لكننا نجد أن كلا الطرفين مازالا يرغبان في أعطاء أقل قدر ممكن والحصول على أكبر ضمانات ممكنة. ما هي الثقة التي يجب أن نتحلى بها بالنسبة لزواج تم "إصلاحه" بناء على هذه القواعد.

## ما هي المصالحة؟

للمصالحة معنيان رئيسيان. فهي تشير إلى إصلاح التوافق بين طرفين كانا على خلاف أو تشير إلى إنهاء نزاع أو عدم توافق بين طرفين.

في العهد الجديد تستخدم كلمة مصالحة النتيجة الإجمالية لحياة المسيح وموته والذي نتج عنها أساساً تغيير في العلاقة بين الله والجنس البشري وذلك عن طريق تغيير الاتجاهات الداخلية داخل كل طرف نحو الطرف الآخر.

إن الهدف من المصالحة بناء على ذلك هو إصلاح وإعادة البر. لأننا نستخدم كلمة تبرير لوصف عمل البر، فنحن نميل إلى التفكير في البر كمفهوم قانوني. إنه في الحقيقة تعبير يختص بالعلاقات وهو يعني الارتباط بصورة صحيحة أو بالتعبير الإنجليزي القديم فهي تعني الارتباط "بالأسلوب السليم". ليكون المرء باراً فهذا معناه أنه يكون على علاقة صحيحة وسليمة مع الله مبنية على التفاهم والتوافق معه.

تشتمل المصالحة على التبدل في الاتجاهات الداخلية، لأن تلك الاتجاهات مهمة للغاية في العلاقات.

تختلف الاتجاهات الداخلية عن المعتقدات. فالمعتقدات

متسعة الجوانب لذا فهي تؤثر على الطريقة التي نفكر بها في القضايا أو القيم. أما الاتجاهات الداخلية فهي ذات عنصر مشترك؛ لكنها بالإضافة إلى ذلك ذات عناصر نفسانية وأخرى سلوكية. إنما نحن لا نتصرف بصفة عامة بناء على معتقداتنا، لكن وفقاً لاتجاهاتنا الداخلية فعلاً. في الواقع تتضح اتجاهاتنا الداخلية من الأسلوب الذي نسلك به.

على سبيل المثال قد أؤمن أن كل البشر متساوون بغض النظر عن اللون أو الجنس. لكن إذا كنت أبيض البشرة وليست لي أية صداقات شخصية مع غير البيض يتضح بجلاء اتجاهي الداخلي العنصري.

تتغير اتجاهات كل من الله والجنس البشري بواسطة الصليب. فاتجاه الله نحو الجنس البشري يتغير من الغضب إلى البركة؛ واتجاهنا نحو الله يتبدل من التمرد والعداوة إلى البنوة.

لاحظ بتدقيق أن مشاعر الله نحونا لم تتغير مطلقاً. فمشاعر الله نحو خليقته الساقطة كانت دائماً محبة غير مشروطة غير متغيرة غير محدودة. لكن اتجاه الله نحو الخطية يجب أن يكون دائماً هو الغضب المقدس. لا يمكنه أن يتغاضى

عن الخطية فهي إساءة لا يمكنه أن يتغاضى عنها ويظل بعد ذلك هو الله القدوس وحده.

دعني أوضح ذلك. أنت تسير في الطريق. إذا مررت برجل يضرب امرأة، لن يمكنك أن تعبر هكذا وتتجاهل الأمر. لن يمكنك أن تفعل هذا وتعيش مع ذاتك في سلام، فهذا التصرف إساءة لرجولتك. حتى إذا فر ذلك المهاجم منك يجب أن تتبعه وتأتي به لمسائلته عن أفعاله. تعد كل خطية إساءة إلى "ألوهية" الله بصورة أكبر من هذا بكثير جداً، لذا لا يمكنه أن يظل بمعزل عن هذا الأمر ولا يبالي به.

لذا فالمصالحة تستوجب الكفارة. والكفارة هي تغطية الخطية بشيء يجردها من قدرتها على تشويه العلاقة بين الجنس البشري كله والله. هذا "الشيء" هو ما يسميه العهد الجديد دم المسيح. كانت رعدة الجنس البشري دائماً مبنية على الخوف من أبدية الخطية؛ فبمجرد أن أخطئ أصير شخصاً خاطئاً ولا يوجد شيء يستطيع أن يبدل حقيقة خطيتي إلى الأبد. قد يبدو هذا غريباً على الكثير من البشر اليوم، لكن هذا يعود فقط إلى قمع الشعور بالخطية في مجتمعنا لكن تحت مستوى الشعور والضمير يضطرم الإحساس بالذنب

وليس من يوقفه ولا تستطيع أي من فلسفاتنا العقلانية الحديثة أن تحررنا من لدغاته. لكن هل يستطيع شيء أن يبدل من وجه الخطية، أم أنها كما يكتب عنها "فيتزجيرالد".

"الإصبع المتحرك يكتب، وما أن يكتب يتحرك، وليس بمقدور كل توسلاتك أو ذكائك أن تمسح أو تلغي ولو نصف سطر، ولن تقدر كل دموعك أن تغسل كلمة واحدة منها"

في مقابل هذه الرعدة والقضاء والقدر يقف صليب المسيح منتصباً، فهو الحل النهائي الذي يقدمه الله لمشكلة الشعور بالذنب ومشكلة الخطية.

وفوق ذلك، وهذه النقطة حيوية جداً، تستوجب الكفارة صدور حكم. إننا بحاجة لأن نفهم المبدأ الذي تنطوي عليه حتى على المستوى البشري. لا يمكن مطلقاً أن يتعامل شخصان مع موقف خطأ حدث بينهما بطريقة تزيل تماماً الإساءة وبالتالي النفور ما لم يصدر حكم على هذا الفعل الخاطئ. الغفران بمفرده لن ينهي قدرة الخطية على تسميم العلاقات. فقط عندما يتم الحكم على الخطية تتحقق الغلبة الكاملة على تأثيراتها المزقة للعلاقات.

يجب أيضاً أن يفهم مرتكب الخطأ الحكم ويتقبل عدالته قبل أن يكون فدائياً. حتى الطفل الصغير بحاجة لفهم سبب تأديب أبويه وأن يوافق بصورة ما على عدالته وصوابه وإلا لن يؤدي التأديب وظيفته التقويمية؛ وهذا قد يؤدي إلى تحطيم الطفل أو إغاظته، الأمر الذي سيجعله متمرداً أو صدامياً.

لا يوجد شخص واحد، حتى وإن كان أفضل الجنس البشري قاطبة يستطيع أن يفهم ويوافق على عدالة الله الكاملة في التعبير عن غضبه المقدس وحكمه الأبدي ضد الخطية. إن أعظم شخص مسيحي ناضج يواجه صراع في ذهنه في بعض المرات بخصوص السبب الذي يجعل الله يحدث كل هذه الجلبة بسبب خطايانا الصغيرة التي لا ضرر منها، وهذا راجع إلى إصابتنا بعدوى مرض شديد للدرجة التي تجعلنا لا نستطيع فهم طبيعته القاتلة. شخص بلا خطية ويحمل في ذاته كل الخطايا هو وحده يستطيع أن يتفق تماماً مع صحة وصواب وكمال عدل الله المطلق في تعامله مع الخطية كما فعل هو على الصليب. لذا تقع دينونة الله على تلك النقطة الوحيدة في كل الكون التي يمكن أن تصير نقطة الفداء، تقع

على المسيح ممثلنا وبديلنا، وآدم الأخير والرأس لكل الجنس البشري.

لكن الإنسان عدو في قلبه لله، وغريب ومتمرد. وبيننا وبين الله توجد هوتان، الهوة بين الخالق غير المحدود والمخلوق المحدود، وهوة أخلاقية أكبر بين الله القدوس وجنس بشري خاطئ. ونحن لم نكن نمتلك الوسيلة أو حتى الرغبة كي نعبرهما. لذا فالمصالحة تستوجب التجسد، لكي يعبر الله تلك الهوتين عليه أن يجد موطئاً لقدميه على كلا الضفتين. لا يستطيع الرجال والنساء الساقطون تغيير اتجاهاتهم الداخلية نحو الله فلا توجد منطقة في الطبيعة البشرية لم تتأثر أو تفسد فيمكنهم أن يستندوا عليها لتحقيق التغيير في قلوبهم. وحيث أن الخطية والتمرد قد لمستا كل أركان الحياة البشرية، فلا توجد مناطق غير مصابة أو طبيعية في تلك الحياة.

وجد الله في التجسد تلك القوة. وفي ابنه، ابن الإنسان الذي بلا خطية وجد الله موطئاً لقدمه في هذه البشرية ليجعل تغيير القلب أمراً ممكناً.

في بستان جثسيماني أخذ يسوع إرادتنا البشرية المتمردة

المتمركزة حول ذاتنا، وفي ذاته كسر تلك الإرادة ليحقق مشيئة الآب "ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت"[٣٨]. ولم يصل هذه الصلاة مرة واحدة أو مرتين بل ثلاث مرات قبل أن تتحقق، وبألم ومعاناة نفسية وروحية شديدة للدرجة التي كان يعرق فيها كقطرات دم. لم تكن إرادة المسيح تلك هي التي كانت تصارع في بستان جثسيماني؛ بل كانت أرادتنا نحن. لذا عن طريق الصليب والقبر الفارغ تتم معجزة المصالحة. فالعداوة المتمردة نحو الله تتغير إلى طاعة محبة، والتشكك والإلحاد يتحول إلى ثقة، ويصير التجديف عبادة.

تقود المصالحة إلى الشركة المقدسة. فالله يرسل روح البنوة إلى قلوبنا صارخاً "يا أبا الآب"[٣٩] حتى تتعلم قلوبنا أن تطلق نفس تلك الصرخة.

## ما الذي تمت مصالحته؟

في الحقيقة إننا بحاجة لأن نتأمل بعمق في هذا الأمر مع أنه أمر معتاد ومعروف. فالسؤال التالي هو "ما الذي تمت مصالحته؟" بكلمات أخرى، كيف نقوم بتلك القفزة الواضحة

[٣٨] مرقس ١٤ : ٣٦

[٣٩] غلاطية ٤ : ٦

من المصالحة التي تقود إلى الخلاص الشخصي كي نصل إلى مصالحة صراعات ونزاعات البشرية؟. ما الذي يجب أن يفعله الصليب مع تحطم الزواج أو انقسام الكنيسة أو الصراع التجاري أو التطرف العرقي؟ تقودنا الرسالة إلى أهل كولوسي إلى الإجابة. يقول الإصحاح الأول والعدد ١٦ "فإنه فيه (أي في المسيح) خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى ... الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل".

ويقول في العدد ٢٠ "وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات".

- كل الأشياء قد خلقت بالمسيح.
- كل الأشياء محمولة بالمسيح.
- كل الأشياء مُصالحة عن طريق دم المسيح.

ما الذي يعني هذا بالنسبة لموقف بشري نخصه بالفحص والمناقشة؟ الصليب هو التدخل الإلهي في كل النزاعات. وهو الفداء الذي يصل إلى كل المناطق التي وصلتها الخطية ويصلح كل ما قد أفسدته. وليس من قبيل المصادفة أن

الخطية مذكورة على أنها أول ما نقض العلاقة البشرية مع الله ثم قوض العلاقات البشرية بين الأشخاص وبعضهم. في العائلة الأولى تدهورت علاقة المساواة بين الرجل والمرأة إلى سيارة أحد الطرفين ومكر الطرف الآخر. وانتهت المحبة الأخوية بجريمة قتل.

إن الصليب هو مصالحة الله لكل الأشياء لنفسه. الكفارة فقط هي التي تجعلنا واحداً مرة ثانية؛ والصليب فقط هو الذي يعيد إصلاح الأمور.

الصليب هو المكان الذي إنسكبت فيه محبة الله الأبدية الفادية والتي بلا حدود تجاه الموقف البشري. وعند الصليب نختبر التأثير المُغير لتلك المحبة في حياتنا الشخصية. أذكر صديقاً لي كان قبل تجديده مقامراً مندفعاً وكان يقول وعيناه تبرقان بتساؤل "كنت أُحب زوجتي وأطفالي وكنت أدرك أن مقامراتي تؤذي معيشتهم، لكني لم أستطع أن أتوقف عنها. لماذا عندما كنت أحب عائلتي التي كنت أراها كل يوم من أيام حياتي لم تقدر تلك المحبة أن تغيرني، لكن محبتي للمسيح الذي لم أره مطلقاً غسلت شوقي نحو المقامرة؟".

هناك مصدر للمحبة في الصليب يمكنه أن يعيد شحن

المحبة البشرية التي تأذت للدرجة التي انتهت بموتها، وقد رأيت هذا شخصياً يحدث أمام عيني. هناك محبة كافية على الصليب كي تجعل الإرادة تهتم بأحوال واحتياجات العمال وتجعل العمال يهتمون بثروة أصحاب العمل. هناك ما يكفي من المحبة لإيقاظ مشاعر التعاطف والكرم والاهتمام بين اليهود والعرب والبروتستانت والكاثوليك والسود والبيض والأمريكان والجنوب الأفريقي.

لقد أثبتت المحبة البشرية عدم كمالها على الرغم من بذلها لأفضل مجهوداتها. وفي مواجهة نزاع رئيسي في العلاقة نجدها تفلس. أما المحبة الإلهية التي تهتم انطلاقاً من ملئها وليس انطلاقاً من الاحتياج، هي رجائنا الوحيد. وقد جعلت الجلجثة كل هذا ممكناً وفي متناول اليد سواء على الساحة السياسية أو أي موضع آخر يكون لها احتياج فيه. فقط عن طريق موت وقيامة يسوع المسيح من الممكن لعدوِّي أن يكون قريبي.

بل فوق ذلك من الممكن بالنسبة لي أن أثق مرة ثانية في شخص كنت قد فقدت كل الثقة فيه من قبل، وأن أكون راغباً في ترك مقاليد الأمور له لأني الآن أثق فيه. إن الصليب أيضاً

عمل إيمان في صورته النهائية. فيسوع أخذ الثقة البشرية إلى أقصى حدودها المطلقة "يا أبتاه بين يديك أستودع روحي"[٤٠]. وبهذه الصرخة دخل إلى ظلام الدينونة الإلهية. كان المستقبل خارج نطاق سيطرته، بل كان بين يدي الآب، وهو لم يكن قد أعد أية خطط للطوارئ.

إن الإيمان الذي نثق به في المسيح نحصل عليه أيضاً من المسيح، مثل الحب الذي نحبه به يأتي أيضاً منه لهذا قال بولس "أحيا بإيمان ابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي".

وهناك إيمان كافي في الصليب كي يجعل أولئك الذين فشلوا في الماضي يصيرون جديرين بالثقة، وأولئك الذين لا يتحملون مسئولية يمكن الاعتماد عليهم، وغير الجديرين بالثقة يصيرون أمناء. وقد أثبت بطرس وباقي التلاميذ هذا الأمر. لقد وثق المسيح فيهم جميعاً مرة ثانية. لم يُعد خطط طوارئ أيضاً بل كانت هذه المرة حافلة بإيمان جديد وأمانة جديدة.

لقد رأيت ذلك يحدث أيضاً، الثقة الكاملة تحل محل

---

[٤٠] لوقا ٢٣ : ٤٦

الشكوك على كلا الجانبين. أنا لا أعرف مطلقاً ما هي أعظم معجزة يجريها الله على الإطلاق، أن يجعل الشخص غير النقي نقياً، أو العنيف مهذباً أو السكير متعقلاً أو غير الأمين أميناً. لعل آخر هذه القائمة هي الأصعب على الإطلاق، لكنني رأيت هذا يحدث أمام عيني، مرات عديدة.

عن طريق الصليب فقط أستطيع أن أقدر وأكرم شخصاً لم أكن له من قبل أي احترام لأني لم أفهمه أو أفهم طرقه. الآن صار لدي الإدراك لظروفه والانفتاح الكافي كي أتخيل نفسي مكانه وأن أرى الأشياء بعينيه.

الإكرام أو الاحترام يحددان القيمة أو التقدير، والقيمة كما رأينا قبلاً قيمة مختزلة دائماً. تتجلى القيمة الحقيقية في الإكرام الأسمى الذي يقدم الابن للآب.

"يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت"[41]

"الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول. أيها الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة.

[41] مرقس ١٤ : ٣٦

أيـها الآب مجـد اسمـك."[42]

## الصليب أيضاً مصدر إكرام يسوع.

"ولكـن الـذي وضـع قليلاً عـن الملائكـة يسـوع نـراه مكلـلاً بـالمجد والكرامـة مـن أجـل ألم المـوت لكـي يـذوق بنعمـة الله الموت لأجـل كـل واحـد".[43]

لكـن الجلجثـة هـي أيضـاً القيمـة العظمـى الـتي وضعـها الله في العـالم "إذ صـرت عزيـزاً في عيـنيَّ مكرمـاً وأنـا قـد أحببتـك..."[44]

إن القيمـة العظمـى الـتي يضعـها بولـس للبشـر نابعـة مـن حقيقـة الصليـب

"... الأخ... الـذي مـات المسيح مـن أجلـه". بذلـك، يوجـد في الصليـب مصـدر يسـتطيع أن يعيـد الاحـترام الـذي ضـاع منـذ زمـن بعيـد مضـى، وهـو يمكننـا مـن فصـل الشـخص عـن سـلوكه بحيـث نسـتطيع أن نـدرك القيمـة الداخليـة للشـخص ومنحـه الإكـرام والكرامـة اللائقـين بـه. يسـتطيع الصليـب أن يبـدل نظرتنـا بطريقـة يمكننـا بـها رؤيـة الرجـال والنسـاء كـأهداف

[42] يوحنـا ١٢ : ٢٧ ٢٨

[43] عـبرانيين ٢٠ : ٩

[44] عـبرانيين ٢٠ : ٩

في ذواتهم وليسوا كوسائل لتحقيق أهدافاً. إننا ننشر رعباً نتيجة السيطرة والتحكم في الآخرين. يجب أن نتعامل مع المحتاجين والضعفاء والأقل حظاً في الحياة بطرق تظهر احتراماً عميقاً لإنسانيتهم.

وفي النهاية، الصليب هو الإعلان النهائي لطبيعة وشخص الله. إنه كشف الله النهائي عن ذاته. إني أشك أننا سنكتشف شيئاً جديداً لنتعلمه عن شخصية الله في كل الأجيال القادمة بعيداً عن هذا الإعلان. كل ظرف، كل سؤال، كل تخمين ينحني في النهاية ليقودنا إلى هذا الإعلان. إننا نصرخ مثل أيوب مرة ثانية قائلين "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد". إذا كان التفاهم المتبادل يعتمد على كشف متبادل للذات، فهناك نعمة في الصليب قادرة أن تمنحنا الشجاعة والقدرة كي نُسقط الأسوار فيما بيننا حتى يمكنني أن أظهر نفسي الحقيقية لك. تنطلق النعمة والرأفة من الصليب بحيث أستطيع أن أظهر القبول لك وبحيث تمتلك أنت الشجاعة كي تخلع عن نفسك وسائلك الدفاعية وتظهر ذاتك الحقيقية لي. هذه هي قوة الصليب التي نتمسك بإعلانها الخاص بنعمة

وأمانة الله في وجه كل المآسي والضغوط والألم والجروح وفساد العالم الساقط الذي نعيش فيه. على الرغم من هذا فكل ما نعلمه أن الله عادل وصالح ومازلنا مقتنعين بأن تدبيره هذا كان مدفوعاً بمحبة غير محدودة وتقوده حكمة أبدية. إذا استطاع الصليب أن يحقق ذلك، سيكون فيه مصدر القوة التي تمكننا من البدء في فهم كل منا الآخر على الرغم من كل عقبات التخاطب والسلوك التي تقف في طريق ذلك.

## الفصل التاسع

# كيف يصالح الله؟

عندما وصلت بفهمي إلى هذا المدى بدأت أتأمل "كيف يتم ذلك" وأفكر في أساليب التصالح. إن المدخل المعتاد للتصالح هو عملية حل المشكلة. والطريقة بسيطة بدرجة كافية لكي نفهمها – اكتشف المشكلة، ضع الحلول الممكنة، انتق أفضل الحلول، اتبع هذا الحل وهكذا سريعاً تتم المصالحة!

الصعوبة الوحيدة هنا هي أن هذه الطريقة غير مجدية. هذه الطريقة فعالة جداً للمشاكل الميكانيكية والتنظيمية والتشغيلية. لكن فيما عدا الأمور السطحية للغاية فهي غير فعالة بالمرة للنزاعات والخلافات بين الأشخاص أو النزعات والصراعات العرقية.

في البداية، نجد مشاكل العلاقات قد وصلت إلى نقطة الجحيم منذ زمن طويل مضى وصارت معقدة للغاية ومتشابكة بحيث تكون في النهاية مستحيلة الحل عن طريق الدخول إليها من مدخل الحقيقة الموضوعية.

أذكر زوج وزوجة كانا يمران بجدل مرير بخصوص

شيء كان قد كتبه في خطاب قبل ذلك الوقت بسبع سنوات. قالت أنه كتب كذا كذا. وقال هو أنها تكذب وهي التي كتبت هكذا وهكذا، وهلم جرى ...

كان كلاهما متيقن تماماً من دقة فكرته، لكني اكتشفت أن هذا الخطاب قد حرق قبل تاريخ مقابلتي لهم بخمس سنوات على الأقل. الله وحده يعلم الحقائق الصحيحة فيما يتعلق بفحوى هذا الخطاب. قد تبدو القضية مبالغاً فيها لكنها ليست حالة شاذة في ذاتها. تستطيع الذاكرة أن تكون انتقائية جداً فيما يتعلق بما تختزنه وما ترفضه.

فوق ذلك، يؤدي إجهاد حل المشاكل في معظم الأحيان إلى وضع ضغط أكبر على علاقة مثقلة فعلاً بالضغط أكثر مما تحتمل. في مشورة الزواج أذكر مرات كنت أصر على الوصول إلى قاع مشكلة واحدة على الأقل وأنجح في إيضاح الحقائق الموضوعية ولا ينتج عن ذلك إلا طرفين مجروحين بصورة أكبر يشعران بمرارة نحو أحدهما الآخر أكثر مما كان حين بدأنا.

الطرف الذي ثبت أنه كان محقاً صار لديه مبرراً لمرارته ويصير أكثر حنقاً بسبب الظلم الذي عانى منه. والطرف الذي يظهر أنه الطرف المخطئ يصير غاضباً جداً نظراً لسلبه تبريره

الذاتي، ويكون مصمماً أكثر من كل ذي قبل على الخروج من الأمر بلا خسائر بصورة أو بأخرى. وفوق كل هذا فتوازن الاجتماعيات في هذه الحالة بعينها لا يعكس الاحتمالات في كل المشاكل الأخرى التي لم تطرح للفحص بعد. عندما أنظر إلى الطريقة التي يصالح الله بها، أكتشف أن حل المشاكل هو ما يفعله الله حقاً. إنه لا يقول "لديك هذه المشكلة العويصة في حياتك. تعامل معها أولاً قبل حتى أن نناقش أمر المصالحة." إنه لا يفعل شيئاً من هذا مطلقاً.

في الحقيقة، عندما آتي إلى الله لا أعرف ما هي مشاكلي الحقيقية. قد تكون هناك خطية أو خطيتين تمثلان خطاياي حسبما أذكر، لكنها لا تزيد عن كونها خطايا رمزية تمثل حقيقة أنني قد ابتعدت بعيداً أو بحاجة للمصالحة. إن إدراكي لمشاكلي الحقيقية يأتي فقط بعد ذلك، بعد ذلك بكثير.

## الأشخاص هم الذين ينالون المصالحة، وليست المشاكل

كيف إذاً يصالحنا الله؟ من المهم جداً فهم هذا الأمر. إنها "الوسيلة" الإلهية، وفي المصالحة لن نفعل ذلك أفضل مما يفعله الله مطلقاً.

أولاً، ألاحظ هنا أن الله ينظر لي كشخص. وهذه هي طريقته منذ البدايات الأولى. عندما أتى الله ليقابل آدم في جنة عدن لم تكن صرخته الأولى "ما الذي فعلته؟ "بل" أين أنت؟

وكانت هذه هي البداية، وليست نهاية بحث الله عن الإنسان الشارد. أتى يسوع من حضن الآب بحثاً عنا. أتى ابن الإنسان كي يطلب ويخلص ما قد هلك[٤٥]. لقد أشرق على نفسي إعلان أنك لا تستطيع مصالحة المشاكل، بل مصالحة البشر فقط. تحل المشاكل وتصالح البشر.

إننا نفقد كل منا الآخر في مستنقع المشاكل التي نخلقها. فنحن نتوقف عن التعامل كشخص لشخص، وبدلاً من ذلك نبدأ في السلوك تجاه سلوك الشخص الآخر ويبدأ الآخر في السلوك في مقابل سلوكنا. بانفصالنا عن بعضنا البعض نتوقف عن الفهم ولا يمكننا الثقة أو الاهتمام بالآخر. ويقوم التنافس وسوء الفهم بالإضافة إلى مجموعة من الاتجاهات الداخلية المليئة بالخطايا الأخرى والأنانية يقوم كل هذا بقطع كل ربط بيننا وبين الآخر.

---

[٤٥] لوقا ١٩ : ١٠

يبدأ الأمر بصورة غير مدركة بالحواس، وهكذا يدخل التشويش والارتباط في الكثير من الزيجات المحطمة: "لقد بدأنا بداية رائعة. لقد أحب أحدنا الآخر حقاً. كيف حدث أن وجدنا أنفسنا في قلب هذه الفوضى؟".

المصالحة بطريقة الله تعني أننا يجب أول كل شيء أن نجد أحدنا الآخر كأشخاص، مرة ثانية أو لعلها للمرة الأولى.

لكننا لن نجد أحدنا الآخر مطلقاً عبر متاهة المشكلات المتراكمة. فكل ما نجده هي المشاكل. لذا يجب أن نضع عن قصد كل اختلافاتنا وخلافاتنا في جانب، نضعها جميعاً في سلة "الأمور المعلقة"، وأن نتجاهلها حتى نجد أحدنا الآخر. وهذا هو الأسلوب الذي أتينا به إلى الله في أول مرة.

"ليس بيدي شيء أقدمه
لكني أتعلق بالصليب
عرياناً آتي إليك كي تسترنى
بلا رجاء أنظر إليك طلباً للنعمة ... "

هكذا يصير الخلاص هو النموذج لكل أشكال المصالحة بين الأشخاص. يجب أن ننحي جانباً جداول أعمالنا ومواعيدنا ومشاكلنا وحقوقنا ودفاعاتنا ومراكزنا ومفاهيمنا

وتفسيراتنا وافتراضاتنا المسبقة. حتى المبادئ التي نعتقد أننا نُدافع عنها والحق الذي نتمسك به يجب وضعها جميعاً جانباً مؤقتاً. يجب أن نتصالح أولاً. لعلك تسأل "لكن ماذا نفعل حيال المشاكل؟ لا يمكننا تجاهلها ونتمنى أن تذهب من تلقاء نفسها. كيف نتصالح إلا على أساس من العدل والحق؟"

في علاقة الله معنا، نجده مهتماً حقاً بحل المشكلة. وهو يقول لي باستمرار "أنت تعاني من هذه المشكلة وأنا لا أحتمل ذلك أكثر من هذا" أو هذا الأمر يعوق علاقتنا ويجب عليك أن تواجهه – الآن!".

فيما يلي نقطة هامة في الأمر. الله مثابر وصبور ولا يلين مطلقاً في حل المشكلة لكنه يفعل ذلك بعدما نتصالح وليس قبل ذلك. يُعد حل المشكلة أحد نتائج المصالحة، وليس وسيلة المصالحة.

وفوق ذلك، يتعامل الله مع مشاكلنا فقط بعدما يحملنا بأمان في ستر محبته غير المتغيرة وندرك أن علاقتنا معه لا تعتمد على نجاحنا في حل المشكلات على الإطلاق. يمكنني ببسالة مواجهة إجراء جراحة كبرى تتوقف عليها حياتي لأني أدرك أن قبولي لدى الله وعلاقتي معه لا تعتمد على

أدائي في حل المشكلة، بل تعتمد على نعمته، وهي نعمة غير مشروطة.

كما أن الخلاص هو مصدر ونموذج المصالحة، كذلك التبرير يصير نموذج حل المشكلات في العلاقات. سنكتشف المعاني المندرجة تحت هذا الأمر في الفصل التالي.

## النعمة فقط هي التي تعمل

النقطة الثانية الهامة التي أدركتها هي أن الله يصالحنا على أساس النعمة. منذ سنوات خلت، وقع خلاف مرير بين اثنين من أفراد كنيستي. وفي النهاية احتكما لتعليم يسوع في (متى ١٦ : ١٧ ١٨) لأنهما كانا يدركان حاجتهما لإنهاء هذا الخلاف. إتبعا النص الكتابي حرفياً: اذهب إلى الشخص الآخر بمفردك؛ إذا لم يستمع لك، خذ أثنين أو ثلاثة من الشهود؛ وإذا ظل رافضاً الاستماع، أخبر الكنيسة بذلك.

كانت النتائج مجزرة حافلة بالأشلاء والدماء. كان الأمر يبدو بالنسبة لي أنه كان من الأفضل ترك الوضع كما كان أصلاً.

أذكر أني كنت أقود سيارتي لحضور اجتماعاً بعد ذلك الحدث بأسبوعين وأخذت أتأمل ما قد حدث. وقلت "يارب،

لقد أتبعوا تعليماتك بأمانة ولم يتحقق شيء. ما الخطأ الذي حدث هنا؟"

كانت هذه إحدى المرات التي أدركت فيها أن الله يتحدث لي. قال لي بكل وضوح " أنت لا تفهم: إنها تتحقق على أساس النعمة فقط".

بالطبع! إذا قلت "لقد سرت نصف المسافة وعليك الآن أن تسير نصف المسافة" فهذه ليست نعمة، إنها ناموس. وإذا قلت "لقد قمت بما يجب عليّ أن أقوم به والآن ماذا عن قيامك بنصيبك من الأمر؟" إنها ليست نعمة، إنها (عمل).

النعمة ببساطة في اللغة البشرية تعني عمل الصالح نحو الآخر بدون ربطه بأمور أخرى. إذا قلت "لقد أتيت للمصالحة معك وليست هناك شروط أو ارتباطات أخرى تقيد هذا فهذه هي النعمة. على هذا الأساس تتم خطة الله للمصالحة بصورة رائعة.

هذا هو السبب أن الشخصيات المحورية في أية مصالحة بين قطاعات منقسمة بعمق في مجتمعنا يجب أن تكون شخصيات مسيحية على جانبي الانقسام. فهم فقط من يفهمون النعمة لأنهم كانوا من المستفيدين بها. لذا فهم فقط

من يقدرون على شرحها وتمثيلها لعالم مجروح. هذا هو ما يجعل الانقسام والصراع بين المسيحيين وبين الكنائس مثل فضيحة لا تُحتمل، لأنه من المفترض أن نكون خدام مصالحة.

## المصالحة والعلاقات

في النهاية، يصالح الله البشر بإدخالنا في العلاقة معه. تتم المصالحة عن طريق الشركة معه. لا يمكنك أن تحصل على مصالحة تؤدي إلى تسوية نزاع وفي نفس الوقت تترك الطرفين متباعدين. لذا فهي مأزق وعملية تنفيذية معاً، مأزق يشير إلى بدايتها وعملية تنفيذية في التعبير عنها.

هناك كلمتان معتادتان في الكتاب المقدس في سياق الحديث عن المصالحة ومن المهم فهمهما. أولهما: العهد وثانيهما: الصداقة. العهد رابطة من الالتزام الشخصي والولاء بين طرفين وهو أبدي الصبغة بطبيعته. العهد المبني على مواقيت يتعارض مع شروطه كعهد. وهو في هذا يختلف عن العقد. فالعقد علاقة مخلوقة بناء على شروط العقد؛ إذا تغيرت الشروط، تتغير العلاقة. للعهد التزامات وشروط لكنها مبنية على العلاقة وليس على أي شيء آخر. لذا فمصالحتنا مع الله

مبنية على العهد الجديد. في العهد القديم كانت المصالحة بين يعقوب ولابان مختومة بعهد أيضاً.

الزواج عهد، وبعض من المعجزات التي رأيتها كانت إعادة وإصلاح عهود زواج محطمة عن طريق المصالحة.

الصداقة مثل العهد. عندما اختار يسوع أن يدعونا أصدقائه، تقبل الالتزام الأخلاقي للصداقة، بحيث لا شيء، ولا حتى الموت يجب أن يسمح له أن يفصل الأصدقاء عن بعضهم. وهو الذي قال "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"[٤٦].

لقد وضع يسوع حياته لأجلنا، نحن أعدائه، وحولنا إلى أصدقاء له. وهو يرسل روحه القدوس إلى قلوبنا كي لا يوجد شيء في السماء أو الأرض أو خليقة ما يمكنه أن يفصلنا عن صديقنا هذا.

المصالحة تدخل بنا إلى عهد كتابي وصداقة مع أحدنا الآخر، مع التزام أخلاقي أنه منذ تلك اللحظة فصاعداً لن يوجد شيء أو اختلاف أو مشاجرة أو مأزق أو مسألة أو جدال سيتمكن من فصل أحدنا عن الآخر.

---

[٤٦] يوحنا ١٣ : ١٥ ، روميه ٨ : ٣٨-٣٩

## خطوات نحو المصالحة

كيف إذاً نجد أحدنا الآخر ثانية ونسمح لله أن يحقق المصالحة بيننا؟ إذا كان الصليب يقدم لنا مثل هذه الأرضيات المليئة بالرجاء، كيف نبدأ في تحقيق ذلك.

الشيء الأول الذي يجب أن ندركه هو أننا يجب أن نكون مبادرين. يجب أن نكون دائماً الجانب الذي يبادر بالتحرك أولاً، لا يمكنني القول "الأمر عائد إليه، أو إليها، أو إليهم. أنا لا أبادر بذلك، فهم الأشخاص الذين خلقوا هذا الانقسام". يوضح يسوع بجلاء أين يجب أن تبدأ الحركة طلباً للمصالحة. في (متى ٥ : ٢٣-٢٤) يقول "فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك" تأخذ المصالحة كل من الأولوية والإلحاح لكن لاحظ أنها لا تقول أن لي شيئاً على أخي، فقط تقول أن له شيئاً ضدي. يقول يوحنا "من قال أنه في النور ويبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة" (١يوحنا ٢ : ٩). إذا كان أخي يبغضني، فهو في الظلمة ولا يمكنه أن يجدني، إذا لم أكن أبغضه، فأنا في النور ويمكنني أن أذهب وأجده.

على الجانب الآخر، في (متى١٥ : ١٧-١٨) يقول يسوع أنه إذا أخطأ أخي في حقي، فأنا مازلت الشخص الذي يجب أن يأخذ بزمام المبادرة كي يُظهر له خطأه ويحاول أن يربحه. قد يكون مقيداً ومحملاً بالذنب، ولأني لا أعاني من أي ذنب أصارع ضده يمكنني أن أتصرف بصورة أكثر حرية وأكثر نعمة مما يمكنه هو بهدف تحقيق المصالحة.

من الممكن بالطبع وجود حصيلة من المشاعر السلبية التي يجب التعامل معها. بعضها، مثل النفور أو المرارة، يجب تناولها من جانب واحد. بغض النظر عن الاتجاه الداخلي في الشخص الآخر، يجب أن نتعامل معها بأنفسنا لأن هذه المشاعر تقف في طريق اتخاذ خطوات أخرى نحو المصالحة. ما الذي يحدث عندما تمضي العلاقة في طريق خاطئ؟ نصاب بالجروح والألم. تستطيع المرارة بسهولة أن تدخل الجروح وتصيبها بالعدوى. لكن إذا وقفنا عند نقطة المرارة فنحن نغلق الباب في وجه المسيح تماماً ليكون خارج المشهد. لا يمكنه أن يأتي ويشفي جروحنا إذا كنا بغفلتنا هذه نحاول تبرير مشاعرنا المُرة. الهروب من المرارة لن يشفينا؛ المسيح فقط يمكنه أن يشفينا، لكن عندما نتعامل مع الأمر

فنحن نزيل عقبة رئيسية في وجه الشفاء.

إن التخلص من النفور عمل إرادي. إننا ندرك هذا في جوهر التعبير الذي نستخدمه. فنحن نقول "إني أحمل شيئاً ضدك". إذا كنت أحمله، فأنا لن أتخلص منه.

وفوق ذلك، التمسك بالنفور والمرارة يجعلنا تحت قوة الشخص الأخر. فأنا لست حراً كي أختار كيف أتصرف أو أشعر أو أسلك نحو ذلك الشخص لأن منظره أو حتى ذكره يثير بداخلي النفور وذلك النفور يحسم الأمر بالنسبة لي. دع النفور جانباً، وعندئذ تصير حراً في اختيار كيف يجب عليك أن تفكر أو تتصرف نحو ذلك الأمر.

وفوق ذلك، التمسك بالنفور والمرارة يجعلنا تحت قوة الشخص الآخر. فأنا لست حراً كي أختار كيف أتصرف أو أشعر أو أسلك نحو ذلك الشخص لأن منظرة أو حتى ذكره يثير بداخلي النفور وذلك النفور يحسم الأمر بالنسبة لي. دع النفور جانباً وعندئذ تصير حراً في اختيار كيف يجب عليك أن تفكر أو تتصرف نحو ذلك الأمر.

إن التعامل مع هذه القضايا هام جداً لسبب آخر. أنه يساعدنا عبر المهمة الصعبة والتي فيها نفصل بين الشخص

وبين ما فعله. الأمر ليس مثل التجول عبر صفات دليل من الإساءات ومحاولة غفرانها واحدة فواحدة. فهذا الأمر مستحيل في تلك المرحلة. بل بالأحرى يجب النظر إلى الشخص كشخص، والتعرف على مشاعرنا ضد هذا الشخص واختيار أن نطلقه حراً مما كنا نحمله ضده في قلوبنا من نقمة أو حسد أو نفور.

"رأيت شيئاً يتحرك في الجبال، وظننت أنه حيوان.

اقترب مني أكثر وتبينت أنه إنسان.

واقترب أكثر فأكثر فوجدت أنه أخي."

يمضي في نفس السياق أيضاً، الاحتياج إلى توبة حقيقية. لنبدأ في ذلك علينا أن ندرك أنه بتصرفاتنا وبردود أفعالنا قد أخطأنا ضد الروح القدس وأحزناه. فهو ذاته يمثل رابطة اتحادنا بكل العلاقات الموجودة في جسد المسيح. إذا أسأت التصرف نحو زوجتي أو أطفالي أو أخي في المسيح، فأنا أحزن الروح القدس. وإذا كان رد فعلهم خاطئ يحزن الروح القدس ثانية.

كذلك في سلوكنا في هذه العلاقة بهذه الصورة نصبح معتدين أيضاً، جزئياً على الأقل. فقد نكون حنثنا بوعودنا أو

قطعنا عهوداً في الزواج أحدنا نحو الآخر وندرك أننا قد كسرناها فعلاً أو فشلنا في الحفاظ عليها. لذا فنحن نُصَّنف مع كاسري العهد ونحتاج ان نتوب ونطلب غفران الله لهذه الخطايا.

ثم نحتاج أن نجد أحدنا الآخر مرة أخرى، كأشخاص. إذا عملنا بأمانة لتنفيذ الخطوات السابقة، فهذا الجانب يكون بسيطاً بصورة مثيرة للدهشة وسهلاً في التطبيق. عندما تفتش قلوبنا أحدها عن الآخر يمكنها عندئذ العثور على بعضها البعض مثل الحمائم العائدة إلى بيوتها. لا يوجد أكثر حيوية وبريقاً من قصة يسوع عن عودة الابن الضال.

"... وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله"[٤٧]. بالنسبة لأولئك الذين يحتاجون أن يدركوا "كيف يفعلون ذلك" دعونا نحاول أن نطبق هذا خطوة بخطوة.

أولاً، نحن نحتاج أن نضع مشاكلنا جانباً عن قصد، وكذلك خططنا وتوقعاتنا ومتطلباتنا المستقبلية. بمعنى آخر، تجنب تماماً كل تعبير مثل "لكن" و"بشرط". إن سلوك

[٤٧] لوقا ١٥ : ٢٠

الشخص ليس ما نتناوله في الحاضر، بل الشخص كشخص.

ثانياً، نحتاج أن نصل أحدنا للآخر بقلوبنا. هناك دائماً احتياجات للتواصل بالكلمات وبالتلامس الجسدي. لاحظت أنه ورد كثيراً عن يسوع أنه كان يفعل هذا، تحركه مشاعر التعاطف وكان يلمس البعض ويضع يديه عليهم ويأخذهم بيده. وكانت هناك أيضاً الطريقة التي كان يتحدث بها لهم يابني، يا ابنتي، يا امرأه...".

في بعض الأحيان كنت ألحظ الدهشة في أعين البشر، وفي أصواتهم نتيجة لما اكتشفوه. لقد اكتشفوا أنه في كل ماضيهم لم يلمسوا الشخص الحقيقي مطلقاً من قبل. في المجموعات التي كانت تعاني من الانشقاق والانقسام المر بخصوص مسائل تتعلق بسياسة أو مبدأ ما تسمع منها نفس الشيء "لم أعرف مطلقاً أنهم هكذا" أو "خذهم شخصاً شخصاً، ستجدهم أفراداً لطفاء حقاً".

ثالثاً، بالتحرك نحو الآخر بذلك الاتجاه من التوبة والإتضاع يمكننا أن نطلب الغفران ونمنحه أيضاً غفراننا لأجل نفورنا منه، وبالإيمان في عمل المصالحة الذي في الصليب يمكننا الدخول في علاقة جديدة مع بعضنا بعضاً. لاحظ

بتدقيق أن هذا الأمر يمثل خطوة إيمان. وهي خطوة إيمان كبرى بحجم قبول المسيح للخلاص، لأنه ما نناله هنا خلاصاً مبني على عمل الصليب لإنقاذ علاقة محطمة. إننا نختبر مستوى آخر من البر بالإيمان، وذلك في عودة العلاقة صحيحة مع إخوتنا. في حالة ما إذا كان هذا يبدو غريباً بالنسبة لك، هناك مقطع في (أيوب ٣٣:٢٦) يقول فيه أن الله أعاد للإنسان بره ونجد من السياق أن ما يعنيه هذا المقطع أن الله شفاه وأعاد لجسده علاقة صحيحة مع البيئة المحيطة به.

الذي يحدث هنا هو تغيير قلبي، وتبدأ المحبة في التدفق نحو أولئك الذين صاروا مقاومين لنا أو معارضينا أو أعدائنا. تولد الثقة مرة ثانية على الرغم من مرات الفشل السالفة والاحباطات السابقة ويصير بإمكاننا نحن الذين كسرنا وعوداً أو تعهدات وعهودا في الماضي أن نصبح جديرين بالثقة. ليس من قبيل المصادفة أن يكون الصليب هو الذي جعل التلاميذ أمناء بدءاً من بطرس الذي أنكر المسيح والآخرين الذين تخلوا عنه على الرغم من تأكيداتهم على الولاء له.

وهنا أيضاً ننظر إلى أحدنا الآخر بأعين جديدة، ونكتشف حساً جديداً بالقيمة في أحدنا الآخر مضى عليه وقتاً

طويلاً منذ أن اختفى. أذكر سيدة كانت تقول عن هذه النقطة "أدركت أن زواجنا كان يستحق الإنقاذ رغم كل شيء لأن زوجي كان يستحق الإنقاذ أيضاً، وبصورة ما، شعرت أني أستحق ذلك أيضاً".

وفي النهاية عند هذه النقطة التي يقابل فيها شخص شخصاً آخر من المحتمل جداً أن يبرز على الساحة حب الاستطلاع الغريب الذي لا يشبع من المعرفة، وتبرز أيضاً الرغبة في أن يعرفك الآخر.

ما الذي يحدث عند تلك النقطة أمر فردي بحت ويتباين كثيراً من شخص لآخر. كأقصى ما يمكنني ملاحظته فالفرد يختبر ولادة جديدة لان ما كنا نتناوله هنا ليس مجرد تقنية بل مواجهة شخصية. بالنسبة للبعض يصير الأمر تحولاً داخلياً لحظياً، مثل التغيير المفاجئ. أذكر زوجين كانا مجروحين ومتنافرين بعمق، تقابلا بعد أكثر من سنتين من الافتراق، وقد صار الزوج مؤمناً، وتمت مصالحة زواجهما وأحبا بعضهما البعض ثانية وحدث كل هذا في ظرف أسبوع واحد. في حالات أخرى يكون الأمر أكثر تدرجاً، ويكون المدخل المبدئي أكثر تردداً وحذراً ويكون هناك إدراك ملموس

بعض الشيء لكنه حقيقياً أن الأمور مختلفة هذه المرة، وأن هناك شيء جديد وجذري قد حدث بينهما.

هذه النتيجة الأخيرة هي بالضرورة أكثر شيوعاً عندما تكون الأطراف عبارة عن مجموعة من البشر لأن الأفراد في المجموعة يأتون بطرق مختلفة وبسرعات متفاوتة وصولاً إلى نقطة المصالحة.

لكن إتمام العمل يصل أساساً إلى نفس الصورة والنتيجة – فالانقسام قد غُطي وأولئك الذين كانوا متنافرين من بعضهما البعض وفقدوا القدرة على التلامس سوياً، قد وجدوا بعضهما البعض ثانية.

عند قبول بعضنا البعض، ندرك أيضاً ونقبل الحاجة للتغيير. يمكننا الآن أن نكرس أنفسنا لمواجهة التغيرات الضرورية والتي ستجلبها المصالحة بلا شك وأن نساعد بعضنا بعضاً على التغيير، بغض النظر عن مدى عدم الراحة الناتج عن ذلك أو صعوبته التي قد تلوح في البداية. ما نختبره عند هذه النقطة هو عمل النعمة الإلهية التي تمنحنا بداية جديدة. هناك قوة دافعة محركة جديدة في هذا العمل. والعلاقة الناتجة تكون مؤسسة على عهد، لذا فالتغيير، حتى لو كان

تغييراً جذرياً فهو تغيير في الذهن. لا يمكننا أن ننزلق نحو الطرق القديمة؛ فهي لم تكن فعالة قبلاً، ولن تعمل الآن أيضاً. لدينا الآن خطة عمل جديدة. إن التزامنا الآن هو بناء متين مرتكز على الأربعة دعامات التي ناقشناها من قبل في هذا الكتاب ـ وهي المحبة والثقة والاحترام والتفهم.

قال لي رجل في منتصف العمر "أتمنى لو كنت قد سمعت هذا منذ عشرين عاماً عندما تزوجت حديثاً. أردت أن يكون هناك إطار لذلك وفشلت جداً بسبب الجهل وسوء الإرادة".

حتى المشاكل يمكن مواجهتها برجاء جديد لأننا الآن نقف في موضع أمين يمكننا تناول مشاكلنا منه. وفيما يتعلق بقضية المشاكل يمكننا الآن أن نواجهها، وليس قبل ذلك، بل الآن.

الفصل العاشر

# حل مشكلات العلاقات

لقد رأينا أننا قد تصالحنا مع الله، ليس على أساس حل المشكلة بل على أساس النعمة. لكن الله مهتم جداً بالمشاكل التي في حياتنا وفي سياق علاقتنا المستمرة معه فيما يتعلق بقضايا بعينها بأسلوب مثابر ومدقق. إننا نسمي هذه العملية التبرير. إذا اختبرنا كيف يقوم الله بها، سنكتشف أنه كما أن الخلاص هو النموذج أو المثال للمصالحة، فالتبرير يتحول لأن يكون هو نموذج حل المشاكل. بهذا أنا لا أعني أن التبرير في حد ذاته يحل كل مشاكل العلاقات بل أن طريقة الله في التبرير هي طريقة حل مشاكل العلاقات.

## يمكننا تلخيص المبادئ التي يستخدمها الله كالتالي

**أولاً، تبدأ بقبولنا الأمين لدى الله على أساس عمل الصليب.** وقبولنا وأمانتنا لا يعتمد على الإطلاق على نجاحنا في حل المشكلات. يمكننا مواجهة عمليات ضبط رئيسية لسلوكنا وأسلوب حياتنا في سياق تعاملات الله معنا لأننا نعلم

أنه بغض النظر عن نجاحنا أو فشلنا في مواجهة مثل هذه التحديات فنحن دائماً محفوظون في أمان في محبة الآب غير المشروطة. يتحول المبدأ أيضاً ليكون هو المبدأ الجوهري الأول لحل ناجح لمشكلات العلاقات. إنني أدرك الآن أنه في السنوات المبكرة من زواجي كنت قادراً على مواجهة عمليات الضبط الرئيسية في شخصيتي لأنني أدركت بصورة ما أن "جيني" كانت مكرسة ذاتها لي ولزواجنا بدون شرط وستمضي في محبتها لي على الرغم من مشاكلي وضعفاتي. بدون التقيد بهذا في العلاقة، فنحن باستمرار تحت خطر الإحساس بالضغط كي نتغير، حتى عندما يكون التغيير مطلوباً، أو ما هو أسوأ من ذلك في بعض الأحيان، وهو الشعور أنه من حقنا الحصول على شيء أكبر كمكافأة لأننا استطعنا تحقيق هذا التغيير.

**ثانياً، عندما نكون أمنين في ظل إدراكنا لقبول الله لنا**، فالروح القدس يقودنا نحو توبة متتابعة ومتخصصة عن الأفعال والاتجاهات الشخصية الخاطئة وتأسيس أساليب سلوكية جديدة. وبعد ذلك نكتشف أنه في الوقت الذي لا نستطيع أن نؤذي أو نفسد أو نبدل محبة الله لنا، لا يمكننا

أيضاً دفعه إلى نفاذ الصبر أو التغاضي عن أمور فينا يدرك أنها بحاجة إلى تغيير. أو نندفع بسرعة في اتجاه مضاد لأمانته المحبة المستمرة.

في علاقة حية ونامية تكون هناك نفس المعاملة المتتابعة مع أحجار العثرة والتصرفات والاتجاهات الخاطئة. أحد الأشياء التي نكتشفها هي أن العلاقة ذاتها بصورة أو بأخرى تتطلب منا سوياً أن نتغير بدلاً من أن يطلب أي من الطرفين أن يتغير الطرف الآخر في أسلوبه أو طرقه. قال جورج ذات مرة لي "إنها ليست "لين" التي ألقت بكل شيء يختص بهذا الأمر على عاتقي، بل علاقة زواجنا ذاتها هي التي استلزمت أن أطور من أرائي في هذه الجزئية بذاتها".

في النهاية، عندما نواجه التغيرات المتتالية في سلوكنا وشخصياتنا وأسلوب حياتنا نجد أنها تقود أكثر فأكثر إلى التناغم والتوافق مع صفات وشخصية الله، ونحن نختبر أكثر فأكثر فرحاً في علاقتنا به. وفوق ذلك، نختبر الملء أكثر فأكثر مع تعلمنا كيف نعيش لمجده وليس لذاتنا. ينطبق نفس المبدأ أيضاً على جوهر كل العلاقات البشرية. ما أن نتعلم أن نضبط أنفسنا الواحد على الآخر وأن نتوافق في

تصرفاتنا واتجاهاتنا مع بعضنا البعض، سنكتشف تزايداً في الفرح والحبور عندما نعيش لأجل تحقيق ملء الشخص الآخر وليس أنفسنا. إذا كنا لا نقدم الذات فبذلك تكون ذاتنا غير ممتلئة أو مكتملة، وسنجد أيضاً أن الذات الممنوحة أو المقدمة للآخر هي ذات ممتلئة أو مكتملة.

أحد أول نتائج المصالحة الحقيقية هي دائماً اختفاء مشاكل عديدة من تلقاء ذاتها. وهي المشاكل التي لم تكن سبب الخلاف وعدم الوفاق بل بالأحرى نتيجة لها. وتتبدل الاتجاهات الداخلية كثيراً بالمثل حتى أنه في سياق عملية المصالحة ذاتها تختفي المصادر الرئيسية للمصاعب والخلاف. عندما تصبح مشاعر التفوق أو النقص، أو العنف أو الدفاعية غير ضرورية فيما بعد، ستنتهي الصراعات التي تسببها أيضاً. وبعد فترة وجيزة يكون ممكناً بالنسبة لنا أن نضحك من أنفسنا مرة ثانية، وأن نضحك من الشخص الآخر أيضاً.

## التحمل وطول الأناة

عندما يقوم الأشخاص ببداية جديدة لعلاقاتهم يقررون في المعتاد عدم السماح مطلقاً للمشاكل غير المحلولة أن تتراكم مرة أخرى؛ وما أن يواجهون مشكلة حتى يتناولونها بتركيز

إلى أن يحلونها. الدافع رائع لكن في الواقع العملي إذا إلتزموا بتغيير ذلك فمن المحتمل ألاّ يمضوا في ذلك أكثر من بعد ظهر اليوم التالي. فالحقيقة أن كل الاختلافات والمتاعب في العلاقات بمجملها لا تستلزم حل لها على الإطلاق. فما يحتاجونه هو ما يقول عنه الكتاب المقدس: التحمل وطول الأناة.

تتكون هذه الأشياء من عاداتنا الشخصية الصغيرة أو خصوصياتنا المزاجية ومنعطفات سلوكنا الشخصي، والأساليب التي تعمل بها الأمور أو نعبر بها عن ذواتنا والتي تحتك بالشخص الآخر بصورة خاطئة. إنها عموماً تتحول إلى مشاكل لأننا بدأنا بالفعل في الانزواء بعيداً، وصارت هناك مساحة تفصل بيننا فعلاً. فمثلاً، عاد مرسلون إلى الوطن من حقل الخدمة مهزومين، ليس بسبب الطقس أو الأمور الصحية أو الاضطهاد؛ بل لأنهم لم يستطعوا تحمل زميلاً لهم يصدر غطيطاً عالياً أثناء النوم أو يصر على النوم والنافذة مفتوحة (أو مغلقة).

التحمل وطول الأناة هو القدرة على عدم الإصابة بالإحباط أو الاستثارة نتيجة أخطاء أو ضعفات الآخرين. وهو

ليس مجرد تساهل وغفران أو صبر لا أكثر أو التأقلم مع الأمور. إنه تحمل نشط فعال لأحمال بعضنا البعض. "بطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة".[48] التقبل أمر يتعلق بالشخص ذاته، لكن التحمل وطول الأناة أمرٌ يتعلق بسلوكه.

إنها إحدى مناقب الكاهن حسبما يقول الكاتب للعبرانيين. فالكاهن "قادراً أن يترفق بالجهال والضالين إذ هو أيضاً محاط بالضعف".[49] يشير هذا إلى السببين الرئيسيين اللذين يجعلانا نجد التحمل وطول الأناة أمراً صعباً، أولاً: بسبب نقص التعاطف وعدم القدرة على التعرف على سقطات الشخص الآخر، وثانياً: عدم الرغبة في مواجهة ضعفاتنا الشخصية وميولنا غير المعبر عنها والتي من المحتمل ألاّ تقل إثارة وإزعاجاً عن تلك التي للشخص الآخر.

لكن إذا كنا نعاني من نقص في قدرتنا على التحمل وطول الأناة يمكننا أن نذهب بهذا الأمر إلى رئيس كهنتنا الأعظم "فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذا لئلاّ تكلوا وتخوروا في الطريق".[50]

[48] أفسس ٤ : ٢

[49] عبرانيين ٥ : ٢

[50] عبرانيين ١٢ : ٣

التحمل وطول الأناة لا يعني بالضرورة تجاهل الموضوع بل إنه يمنح الصبر والرقة في انتظار الوقت المناسب وفتح الموضوع بأسلوب إيجابي وبنّاء. عندما يثير الله قضية في حياتي أتعجب دائماً من أنه تحملها طوال هذا الوقت، وانتظر طويلاً لينتقي الوقت المناسب ليتناولها. التحمل وطول الأناة يحررنا، بمعنى آخر، يطلقنا من الاحتياج لتصرف فوري أو للقيام بتصادم لتفريغ تلك الشحنة.

فوق ذلك، يمنحنا النعمة كي نأخذ خطوات نحو حماية أحدنا الآخر من الإغراء أو الضغوط التي ندرك جميعاً أنها تسبب مشاكل معينة.

## جروح لم تلتئم من الماضي

هناك مشاكل أخرى قد تنشأ بيننا لا تتعلق في الواقع بالعلاقة الحالية على الإطلاق. وهي تحدث نتيجة أشياء حدثت لنا في الماضي أو خارج نطاق العلاقة الحالية وتركت جروحاً لم يتم شفاؤها أو التئامها مطلقاً. فمثلاً، قد يكون هناك أب أو مدرس بالمدرسة قد دمر حياتنا الغضة بدفعة ضخمة من النقد جعلتنا نصاب بالشلل لأنها سلطت الضوء على بعض الأمور بعينها التي كنا نرتعد منها فعلاً ومن

إمكانية تواجدها حقاً في حياتنا. لسنوات تالية تدفن ذكريات هذا الجرح أو الخوف حتى تُنسى تماماً. لكن ملحوظة مازحة أو عفوية يطلقها أحد الأصدقاء أو الزملاء باستخدام نفس تلك الكلمات المحملة بالمشاعر القديمة ذاتها تدفع في الحال بالرد السريع الحاد الدفاعي أو المرير إلى شفاهنا، وهي كلمات ندرك أنها غير عادلة حتى ونحن ننطق بها، لكننا لا نستطيع منع أنفسنا من قولها.

هذه المواقف مستحيل تقبلها لدى الآخر لأنه لن يرى أية علاقة منطقية أو مفهومة بين ما قاله أو فعله ورد فعلنا هذا. من المحتمل جداً ألا ترى أنت أيضاً العلاقة أو يكون من الصعب أن تشرح سبب هذا الهجوم الجارف في رد فعلك هذا. قد يكون الموقف أكثر حساسية وحرجاً إذا كان الشخص يعاني من انهيار زواجه وتزوج ثانية سريعاً أو قبل أن يمر وقت كافي للشفاء من صدمة العلاقة السابقة أو التعامل مع المشاكل المتعلقة بالاتجاهات الداخلية والتي ساهمت في هذا الانهيار.

ولا يكفي أن ندرك أن ردود فعلنا ليست نتيجة خطأ في سلوك الشخص الآخر على الرغم من احتياجنا لمعرفة ذلك

وتصحيح تلك الظروف في الحال. هناك جانب إيجابي في هذا: إن ما قد دُفن قد صعد إلى السطح الآن وهناك فرصة لنا كي نتعامل مع هذه القضية. يمكن شفاء جروح مشاعرنا فقط عندما نشعر بها، بعد ذلك فقط نتلامس مع المنطقة المصابة ونحضرها للمسيح كي ينقيها ويشفيها. مثل هذه الخبرات تُعد جزء من رحلتنا الداخلية نحو الكمال وسنصير بعد ذلك ممتنين إلى الأبد لتلك الملاحظة البريئة التي قالها صديق لنا أو شريك الحياة وكانت هي الوسيلة التي استخدمها الله لجذب انتباهنا نحو الجروح المتقيحة المدفونة بداخلنا

## الأخطاء غير المقصودة

ثم هناك منطقة الأخطاء غير المقصودة. وهي أخطاء من السهل جداً والصعب جداً التعامل معها في آن واحد. إن جانب العقد يمثل ركناً أساسياً لأي مفهوم عن الخطأ الأخلاقي. أنا واقف في حافلة عامة وإذ بها تتوقف فجأة مما يفقد كل من فيها اتزانهم. إذا وطأ أحدهم قدمي بكل ثقله، قد أتألم لكن لن يكون لي الحق في الغضب منه لأن الأمر كان عرضاً، لم يكن هناك قصد في إيذائي. على الجانب الآخر إذا

دخلت في مناقشة حامية الوطيس مع شخص ما وسدد نحوي لكمة قوية وأخطأ فيَّ، فمن حقي أن أغضب منه لأنه على الرغم من عدم إصابتي فعلاً إلاّ أنه كان يقصد ذلك.

يمكننا بالطبع أن ندّعي أموراً غير صحيحة بخصوص مقاصدنا. يمكننا أن نقول "آسف، لم أقصد إيذاءك" عندما نكون مدركين طوال الوقت أن هذا الهدف في مرمى البصر. من جانب آخر، مرات يؤذينا قول أو فعل ما ولم يكن هناك قصد سيء من وراء ذلك على الإطلاق. وهنا أواجه مشكلة. يبدو لي أنه عندما نتوقع التوبة، أو حتى عندما تُقدم المغفرة بصورة عفوية كنتيجة لعدم القصد أو الإدراك، فهذا يفسح المجال لمخاطر الالتباس. قد ينتهي الموقف والشخص الآخر يشعر شعوراً حقيقياً بالظلم لأن الغفران يفترض مسبقاً وجود ذنب، ولم يكن هناك قصد يستحق اللوم على الإطلاق.

على الجانب الآخر، لا يمكن ترك النتائج بلا تصحيح فقط لأن الآخر لم يقصد مطلقاً إحداث التأثير الذي وقع. لا يمكننا إسقاط النتائج على اعتبار أنها "سوء حظ" لا أكثر. فعدم الإكتراث قد يكون موضع لوم حقاً. يجب أن نصحح الأمور بسرعة وكرم وإنصاف بقدر الإمكان. إني مسئول عن

نتائج سلوكي حتى إذا نتج عنه أمور لم أكن أدركها مسبقاً ولا أقصدها.

في النهاية، هناك الأخطاء الحقيقية التي يجب مواجهتها والتعامل معها قبل أن نستمر فيما نقوم به. هذه الأخطاء لا يمكن تجنبها ولا يجب تأجيلها. إذا لم يتم التعامل معها ستجلب توتراً حقيقياً في العلاقة. وفوق ذلك إذا استمر هذا التقاعس فنحن نزرع بذار انهيار العلاقة. لكن كيف نتعامل مع هذا الوضع؟

## إعادة توجيه الغضب

هناك في اعتقادي منطقة هامة من سوء أو نقص فهم طبيعة وموقع الغضب ذاته. كونراد بارس، وهو طبيب نفساني مسيحي كتب عن اللامبالاة بين الكثير من المسيحيين تجاه الشرور الاجتماعية مثل الإجهاض أو الأفلام الإباحية أو الفقر أو التمييز العنصري. واقترح أن أحد أسباب هذا هو أن تعليم الكنيسة عن الغضب كان في الأغلب سلبياً. لا يستطيع المؤمنون أن يحبوا مثل هذه الممارسات لكنهم تعلموا أيضاً أن الغضب شيء خطأ. والنتيجة هي الانهزامية اللامبالية أو الاحتجاج بلا مشاعر. وهذا الأسلوب هو ما صوّره و.ب.

يتيسي تماماً في قصيدته "المجيء الثاني".

"الأشياء تتباعد، والمركز لا يستطيع جذب الأشياء،

فوضى عارمة تسود العالم؛

وأمواج الدماء المظلمة تنطلق، في كل مكان

وصلاة وفاة البراءة قائمة،

الأفاضل فقدوا كل إدانة، بينما الأشرار مملؤون قوة منفعلة".

مما يثير الحزن أن هناك انفعال وقوة مشاعر أكثر على الجانب الشرير أكثر مما يوجد على جانب الخير والصلاح في الأغلب.

## ما هو الغضب

إحدى المشكلات هو أن لغتنا لا تشتمل على فرق واضح بين الغضب كمشاعر والغضب كسلوك، لكن التفريق الواضح بينهما أمر ذو أهمية جوهرية. الغضب هو أحد المشاعر التي منحها الله لنا. إنه في الحقيقة أحد مشاعر الاستثارة لمواجهة الطوارئ ووظيفة إطلاق طاقة ذهنية تمكننا من مواجهة مأزق أو خطر، وبعض الكلمات الأخرى التي نربطها بالغضب تعبر عن هذا الجانب من الطاقة. فكر على سبيل المثال فما يصل

إليك من معنى عند استخدام تعبيرات مثل: سخط، تعصب، نقمة، أو ضراوة.

الغضب كمشاعر أمر متعادل أخلاقياً في حد ذاته على الرغم من ذلك. فيمكنه أن يؤدي إلى سلوك خطأ أو سلوك قويم. "اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً" (أفسس ٢٦:٤، ٢٧) هذا التفريق بين المشاعر والسلوك نراه بوضوح في العلاقة بين قايين وهابيل. نقرأ في تكوين ٥: ١-٧ "فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك". لاحظ أن السؤال هنا كان منصباً على المشاعر فقط، ولم يوفها، لكن يأتي بعد ذلك التحذير" إذ أحسنت أفلا أرفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها". النقطة المحورية بالنسبة لقايين، وبالنسبة لنا أيضاً هي سلوكه وليس مشاعره.

## متى يكون الغضب ضرورياً؟

الغضب بذلك هو رد فعل عاطفي الغرض منه هو تنبيهنا للقيام بالتصرف الواجب في مواقف مثل هذه:

- تصحيح إساءة أو تصرف خطأ موجه نحونا أو نحو

الذيـن نحبـهم أو مـن علينـا مسـئولية أخلاقيـة تجاهـهم. إذا لم نغضـب عنـد وقـوع قسـوة علـى بعـض الأطفـال أو النسـاء أو العـاجزين أو الحيوانـات فـهناك شـيء خطـأ بصـورة خطـيرة في حساسيتنا وإدراكنـا الأخلاقـي.

– الدفـاع عـن أنفسنا أو عـن أولئـك الذيـن نحبـهم أو عـن الأشياء الـتي نعتز بـها ضـد الأذى أو الخطـر، وضـد تكـرار أو استمرار مثـل هـذا التصـرف الضـار.

– طلـب اعتـذار أو توبـة أو إصـلاح أو المعاقبـة علـى إسـاءة أو فعل خطأ قـد وقـع.

– جعـل الشـخص الآخـر يـدرك مـا نحـس بـه ومـداه كـي تكون له الفرصـة ليصحـح الأمـور ويتعـامل معنـا بصـورة أكـثر عـدلاً أو لطفاً في المستقبل. هـل تذكـر ذات مـرة شـعرت بغضـب حقيقـي في النهايـة مـن سـوء سـلوك شـخص مـا، وتجـده يقـول لـك وقـد اجفل مـن المفاجـأة:

"أنـا أسـف، لم تكـن لـدي أدنـى فكـرة أن هـذا هـو شـعورك تجـاه ذلـك الأمـر"؟ أنـت لسـت بحاجـة لأن تقـرأ باسـتفاضة في الأنـاجيل كـي تـدرك أن يسـوع غضـب في عـدة مواضـع. عندمـا قلـب موائـد الصيارفـة وطردهـم مـن الهيكـل، لا يحتـاج الأمـر إلى

مجهود كبير كي نتخيل نغمة صوته وهو يقول لهم: كيف تجرؤون على تحويل بيت أبي إلى سوق!؟ إن الاقتباس الكتابي الذي قفز إلى ذهن التلاميذ نتيجة هذا السخط هو "غيرة بيتك أكلتني"[٥١] الصورة تشير إلى قوة خاضعة تحت السيطرة وغيرة أخلاقية موجهة. إن ما يلخص أكثر اللحظات الحية تصويراً للغضب الإلهي من بين كل مقاطع الكتاب المقدس هو ذلك الغضب الموجه ضد الخطية والشر عند قوله "غضب الخروف".

## متى يتبرر الغضب؟

لقد أشرنا من قبل إلى الطريقة التي تسير بها المشاعر والسلوك معاً. لكن من الممكن فصلهم، ويجب تمييزهما عن بعضهما. السؤال الذي يجب أن نواجهه هو "كيف أدرك أن غضبي هذا له ما يبرره في المقام الأول؟" إن ردود الفعل النفسية هي بالأكثر نتيجة إدراكنا وفهمنا، لذا إذا توقعت أن هناك خطر غير موجود في واقع الأمر على الإطلاق أو تهديد غير كائن، سأتجاوب مع ذلك بغضب غير ضروري ولا نفع

---

[٥١] يوحنا ٢ : ١٦-١٧

فيه. كذلك إذا كان ذلك الشيء محميًا وليس عليّ أن أدافع عنه في المقام الأول، فغضبي لن يكون له ما يبرره أيضاً. فمثلاً قد أدافع عن كبريائي أو تصوري عن ذاتي أو بعض الآراء الزائفة أو التافهة، الشيء الذي يحتاج التصحيح في مثل هذه الحالات هو إدراكي وتمييزي أنا، فأنا بحاجة أن "أرى" الأشياء من منظورها السليم.

من المهم فهم أن المشاعر على الرغم من كونها عوامل محركة قوية للسلوك إلاّ أنه ليس المقصود منها أن تكون هي الدليل الذي يسير سلوكنا بموجبه. فالمقصود أن يقوم ضميرنا وعقلنا وإرادتنا بتوجيه سلوكنا. قد يثيرني الغضب كي نواجه ما اعتقد أنه خطر لكن يجب ألاّ يحملني هذا الغضب على جناحه بل يجب أن أقرر رد الفعل الصائب طبقاً لفهمي وروحي. فالمشاعر مبينة في الواقع بحيث تتقبل صدور قرار نابع من هذه المؤهلات الأسمى، والطاقة التي تقدمها تلك المشاعر توجه لتغذية رد الفعل.

حتى إذا كان رد الفعل الصائب هو عدم فعل أي شيء، أو ضبط النفس أو الغفران، فالمشاعر لم تكبت أو تواجه بالتجاهل نتيجة هذا القرار. في الحقيقة أن قبول هذا القرار من

جانب الإرادة معناه أن المشاعر قد اكتملت ولم تصب بالإحباط.

هناك كلمة أخرى لوصف إحساس الغضب وهي "الحدة" والانفعال. المعنى الأصلي للكلمة شيق جداً، فنحن نستخدم تلك الكلمة لوصف عملية تحديد "تقسية" الصلب. المقصود من الغضب هو تقسيتنا لمواجهة الأزمة التي أمامنا بنفس الطريقة التي يتم بها تقسية الصلب عند تحديده. لكن إذا كانت طاقة الغضب الانفعالية متروكة العنان، نقول "فقدت السيطرة على انفعالاتي" وهذا هو ما يحدث فعلياً. إننا نفقد قدرتنا على السيطرة على ذواتنا في الشجار مثلما يندفع الملاكم في هياج مسعور.

إن التمييز بين المشاعر والسلوك يمكنه أن يساعدنا أيضاً كي نرى كيف يمكن توجيه الغضب نحو تحقيق مصالحة خلاّقة. أولاً نحن نحتاج أن ندرك ونواجه الغضب في ذواتنا، وان نقرر سواء ما إذا كان غضباً عن حق وله ما يبرره، أم أن هناك في الحقيقة مسألة تحتاج مواجهة. إذا كان الأمر كذلك، فنحن بحاجة لأن ندرك ونتقبل الغضب ونترك طاقته التنبيهية كي تمنحنا الدافع الذي يمكننا من مواجهة

الموقف إذا كانت هناك إساءة أو فعل خطأ يجب التعامل معه، فنحن إذاً بحاجة أن نفعل ذلك بأمانة وتفهم. فالغضب والتفهم والتعاطف ليست أمور مستحيلة التلاقي والتوافق. إن تلك المسائل بحاجة لمواجهة متمكنة تغطي كل الجوانب قبل تناول موضوع الغفران. في الواقع أن الغفران غير الناضج أو محاولة تجاهل وأبعاد الموقف المحرج يؤدي في الأغلب إلى دفن الأمر برمته. وينطبق نفس الشيء عندما يكون البشر خائفين جداً من الغضب حتى أنهم يكبتونه قبل أن يحصل على فرصة للتنفيس عن ذاته. والنفور يعني تصاعد المشاعر أكثر فأكثر. ومن الممكن أن ينتج عنه أيضاً الحسد والمرارة والاكتئاب. تذكر قصيدة بليك بعنوان شجرة السم:

كنت غاضباً من صديقي

أخبرته بغضبي، وانتهى هذا الغضب

كنت غاضباً من عدوي، وأخذ غضبي في النمو

وأخذ ينمو ليلاً ونهاراً حتى أثمر عن تفاحة براقة

وعدوي أخذ يلاحظ بريقها

وأدرك أنها ملكي

وتسلل إلى حديقتي

عندما ألقى الليل بستره.

وفي الصباح نظرت بسرور

لعدوي الممدد تحت الشجرة

## الطريق نحو الغفران

عند مواجهة قضية، يجب توضيح الخطأ، وتقبل المسئولية عنه والتفكير في الغفران. لا يوجد شيء يمكن تخفيفه مثلما يحدث مع الاعتذار. فعبارة (إني أعتذر) عادة ما تكون أقل بكثير من الاعتراف الضروري بارتكاب الخطأ. يمكنني أن أعتذر بينما أشعر في داخلي أنك تستحق كل ما حدث لك. لكنك الآن ليس لديك شيء ضدي لأني قد اعتذرت.

أنا بحاجة لان أعلن بصراحة واتضاع "لقد ارتكبت شيء خطأ وأنا مسئول عن الإساءة التي لحقت بك وأطلب منك أن تسامحني".

قد نحتاج في بعض الأحيان أن نقوم بعملية إصلاح أو أن نعرض تعويضاً على الطرف المجروح بطريقة مقبولة لتعويض ما قد فقده أو ما يعادله. التعويض مؤشر جيد للتوبة لكني أكرر أن أفضل صورة له يمكن أن يقررها الطرفان معاً بعدما يتصالحان.

عندما يعلن الشخص المخطئ عن أخطائه ويطلب المغفرة، يجب أن ينال هذا الغفران حتى وأن كان سبعين مرة سبع مرات كما قال يسوع[٥٢]. لكن دعونا نوضح بعض الأمور التي يساء فهمها والتي عادة ما تربك وتشوش عملية الغفران برمتها.

أولاً، الغفران ليس هو القول أن شيئاً كان خطأ وقد تم تصويبه، ولا يعني أن الأمر لا يهم. أذكر سيدة كانت تحاول أن تغفر لزوجها خرقه لزواجهما عندما أحضر صديقته الجديدة معه إلى المنزل وتوقع من زوجته أن تخدمهما.

قالت هذه السيدة "كيف يمكنني أن أغفر له والأمر على هذه الدرجة من الخطأ؟".

الغفران بهذا المعنى يختلف عن العفو، فالله وحده يستطيع أن يعفو عن خطيئتنا. لكن الغفران هو التعامل مع مشاعرنا ورد فعلنا تجاه الشخص الذي جرحنا. وهو يعني إطلاقهم أحراراً من الإدانة أو العقوبة فيما يتعلق برغباتنا الداخلية.

عندما يطلب منا الغفران فهو اختيار إرادي نقدمه.

---

[٥٢] متى ١٨ : ٢٢

فنحـن نحمـل شـيئاً ضـد هـؤلاء بإرادتنـا، وبإرادتنا أيضـاً يمكننـا إطلاقـهم أحـراراً. والغفـران ينـهي بفاعليـة المسـألة لانـه عندمـا أغفـر للشـخص الآخـر أقـول لـه "لـن اذكـر ذلـك أمـامك مـرة ثانيـة مطلقاً – فقـد غفرتـه. ولـن أذكـره أيضاً لنفسـي مـرة ثانيـة في كآبـة أو شفقة على النفـس، فـهو قـد غُفـر".

مـع مغفـرة مثـل هـذه، سـريعاً مـا تخمـد مشـاعر الغضـب ضـد الآخـر. إذا لم يحـدث ذلـك، يقـدم يسـوع أصلـح نصيحـة نفسـية علـى الإطـلاق. في كـل مـرة تـبرز فيـها المشـاعر السـلبية، صـل لأجـل الشـخص الآخـر، وباركـه وإذا واتتـك الفرصـة، اصنـع معه معروفاً. وسـريعاً مـا تتبخـر المشـاعر السـلبية.

## ما العمل إذا لم يكن هناك تجاوباً؟

أشـرنا مـراراً كثـيرة إلى عنصـر التبـادل الجوهـري في العلاقـات. فالعلاقـات لا يمكـن أن توجـد مـن جـانب واحـد، أو أن يقـوم طـرف واحـد بالمحافظـة عليـها أو مصالحتـها. مـا الـذي يحـدث عندمـا يرفـض الطـرف الآخـر المصالحـة أو الاعـتراف بوجود مشـكلة أو بأيـة مسـئولية تجـاه ذلـك؟

إن الإطـلاق أو التحـرر أو التفريـغ النـهائي لمشـاعرنا في مواقـف مؤلمـة مثـل هـذه يكـون غفرانـاً مـن جـانب واحـد وبـلا

شرط. "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون."[٥٣]

وهذا لا يحقق المصالحة لكنه يحررنا من قوة الموقف ويمنع دخول الجسد والنفور إلى الموقف. عاد يسوع إلى الآب بدون أية أفكار تميل إلى الانتقام أو المرارة ضد أولئك الذين رفضوا بعناد أن يتصالحوا معه بل وقتلوه بقسوة وعن عمد. بمجرد أن نغفر يمكننا أن ننال الشفاء من أية روابط تكونت نتيجة الجروح أو المهانة. نحتاج أن نستودع مستقبل العلاقة في يدي الله، إذا كان لها مستقبل حقاً، لكن نمونا وكمالنا وسلامنا لن يتعرضوا لتهديد فيما بعد بسبب تلك العلاقة.

---

[٥٣] لوقا ٢٣ : ٣٤

## ملحق

## سمة "أحدكم الآخر"

هناك عدد كبير من المقاطع الكتابية التي تؤكد على تبادلية العلاقات، وهي مقاطع تتميز بعبارة "أحدكم الآخر" أو ما يماثلها، وهي تمثل مصدراً هاماً من مصادر بناء العلاقة.

فيما يلي تجد تلخيصاً لها وفقاً لتقسيم العناصر الأربعة التي سبق لنا أن ناقشناها في هذا الكتاب.

### المحبة

١ – أحبوا بعضكم بعضاً (يو ١٤ : ٣٤ ، ١٥ : ١٢، ١٧ / رو ١٣ : ٨ ، ١ بط ١ : ٢٢ ، ١ يو ٣ : ١١ ، ٤ : ٨)

٢ – وادّين بعضكم بعضاً بالمحبة (رو ١٢ : ١٠).

٣ – تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض (١كو ١٢ : ٢٥).

٤ – كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض (أف ٤ :٣٢ ؛ ١تس ٥: ١٥).

٥ – محتملين بعضكم بعضاً (كو ٣ : ١٣ ، أف٤:٢).

٦ - مسامحين بعضكم بعضاً (كو ٣ : ١٣ ؛ أف ٤ : ٣٢).

٧ - عزّوا بعضكم بعضاً (١تس ٤ : ١٨).

٨ - كونوا مضيفين بعضكم بعضاً (١بط ٤ : ٩).

٩ - اخدموا بعضكم بعضاً (غل ٥ : ١٣).

١٠- احملوا بعضكم أثقال بعض (غل ٦ : ٢).

١١- صلّوا بعضكم لأجل بعض (يع ٥ : ١٦).

١٢- كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض (أف ٤ : ٣٢).

١٣- سلموا بعضكم على بعض بقبلبة مقدسة (١كو ١٦ : ٢٠؛ ١بط ٥ : ١٤).

١٤- لا يغبن أحدكم أخاه (لا ٢٥ : ١٤).

١٥- لا يسلب أحدكم أخاه (١كو ٧ : ٥).

## الثقة

١٦- خاضعين بعضكم لبعض (أف ٥: ٢١)

١٧- اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥: ١٦).

١٨- يكلم كل إنسان قريبه بالحق (زك ٨ : ١٦).

١٩- مهتمين بعضكم لبعض (رو ١٢ : ١٦).

٢٠- لا يكذب بعضكم بعضاً (كو ٣ :١٩).

٢١- لا يذم بعضكم على بعض (يع ١٤ : ١١).

٢٢- لا يكن بعضكم على بعض ( يع ٥ : ٩)

٢٣- لكن الأخ يحاكم الأخ (١كو ٦:٦).

٢٤- لا نكن معجبين نغاضب بعضنا بعضاً (غل ٥ : ٢٦).

## الاحترام أو الإكرام

٢٥- اقبلوا بعضكم بعضاً (رو ١٥ : ٧).

٢٦- شجعوا بعضكم بعضاً (١تس ١١:٥ ؛ عب ١٣: ٣؛ ١٠ : ٢٥).

٢٧- ابنوا أحدكم الآخر (رو ١٤: ١٩ ؛ اتس ٥ :١١).

٢٨- نحن الكثيرين.. أعضاء بعضاً لبعض (رو ٥ :١٢).

٢٩- وادين بعضكم بعضاً (رو ١٢ :١٠).

٣٠- يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض (يو ١٣ :١٤).

٣١- حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم (في ٢ :٣).

٣٢- كونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض (١بط ٥:٥).

٣٣- ولنلاحظ بعضنا بعضاً (عب ١٠ :٢٤).

## التفهم أو الإدراك

٣٤- لنا شـــركة بعضنـا مـع بعـض (١يـو ١ :٧).

٣٥- سـالوا بعضكـم بعضـاً (مـر ٩ : ٥٠).

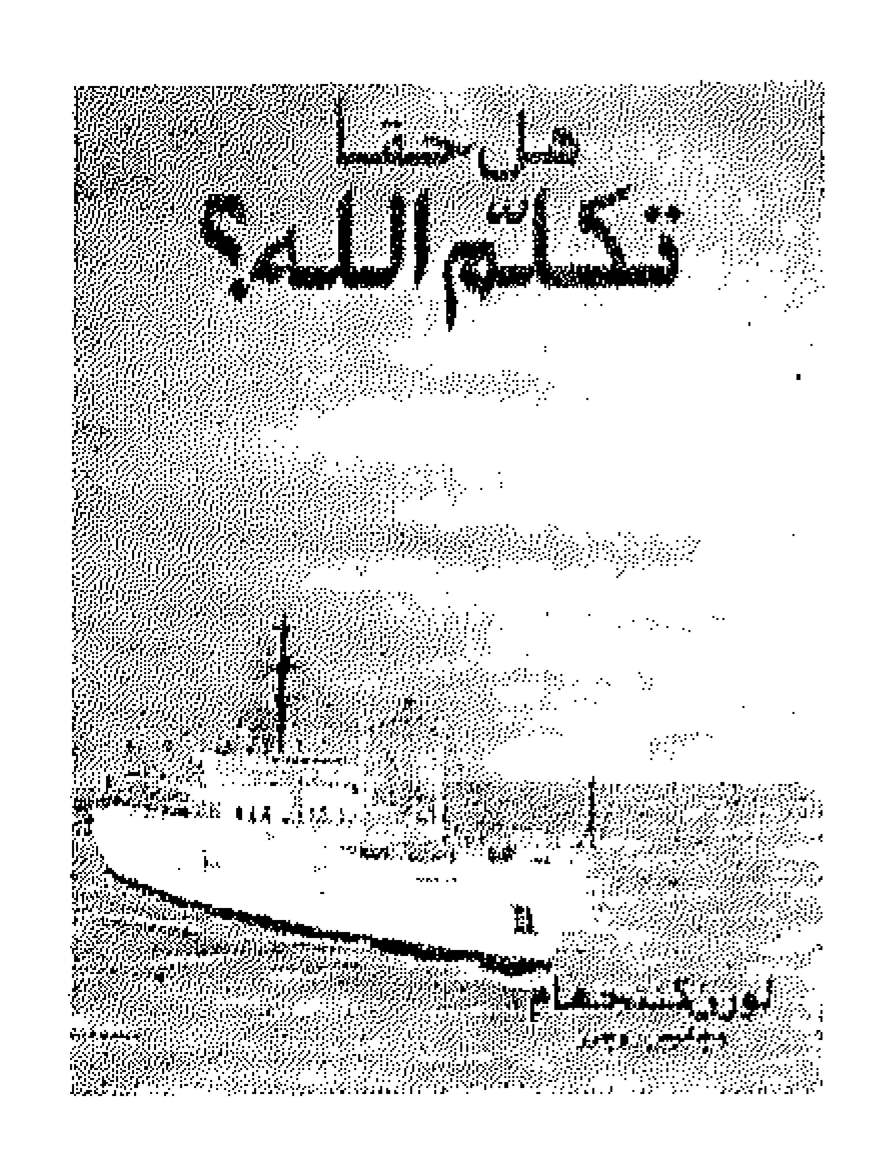
٣٦- معلمـين ومنذريـن بعضكـــم بمزامـــير (أف ٥ : ١٩).

# الفهرس

# إصدارات

# مكتبة المنار






## Is that Really You Lord?
By Loren Cunnigham

يأخذك الكاتب في رحلة جميلة حول العالم لتكتشف قصة شاب في العشرين من عمره، رأى رؤيا وقد تحققت في أنحاء العالم. ويصف الكتاب بوضوح مبادئ "سماع صوت الله"

٥ جنيه ١٦٨ صفحة




## Joni
By Joni Eareckson

هذه قصة نادرة عن صراع شابة مع مرض الشلل الذي أصابها وهي في ربيع عمرها، وفي صراعها مع المرض سلمت حياتها للرب يسوع. واستخدمها الرب بقوة

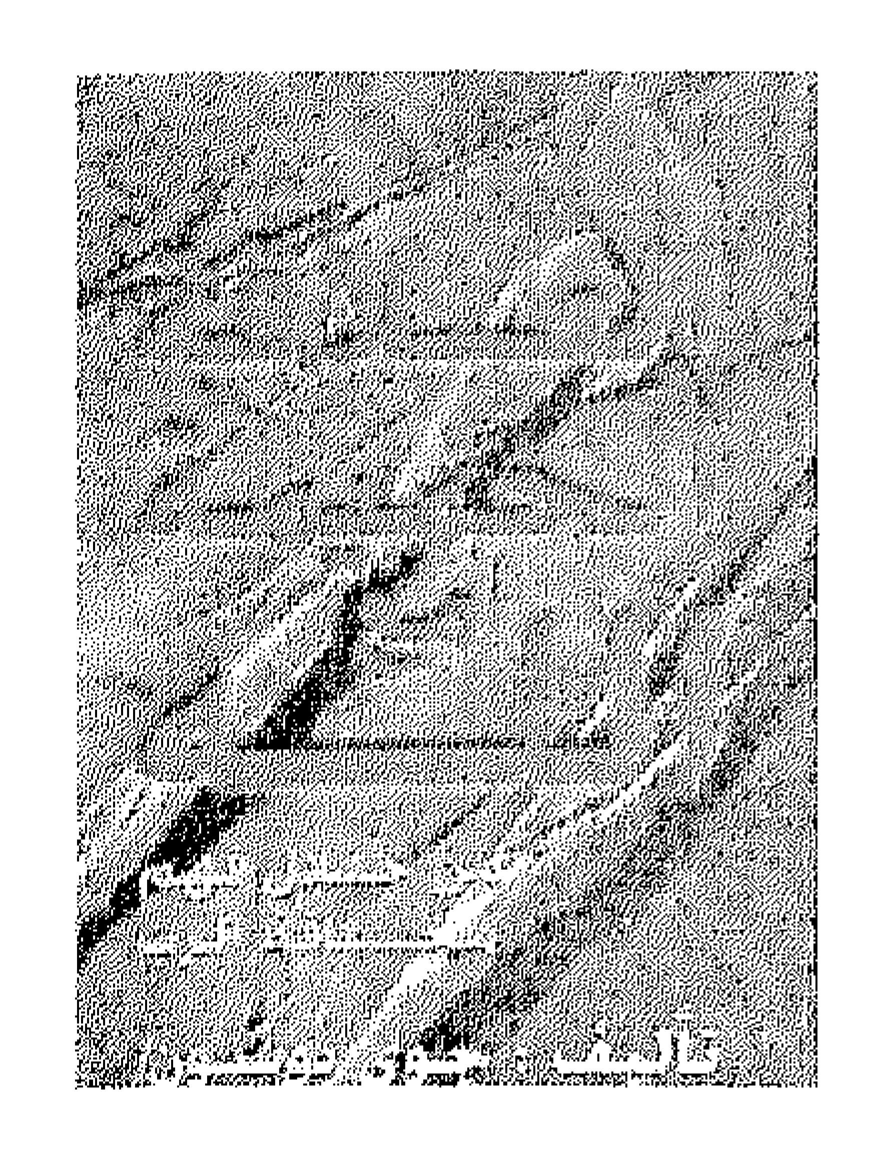
٦ جنيه ٢٤٤ صفحة




## Winning God's Way
By Loren Cunningham

يمر الكثيرون بحالات الشعور بالإحباط وضعف العزيمة هذا الكتاب يشرح كيفية إنعاش الحياة الروحية، ويعرض لنا سبيل الوصول إلى حرية جديدة وشعور بالفرح واختبار قوة الله من خلال مبدأ "التخلي عن الحقوق"

٤ جنيه ١٣٢ صفحة



## Intimate Friendship with God
By Joy Dawson

هذا الكتاب يدفعـك بقـوة لكـي تتمـم شـروط الكتـاب المقدس للعلاقة الحميمة مع الإله الحبيب وكيف تبدأ هذه العلاقة الرائعة.

ستفهم من خـلال قـراءة هـذا الكتـاب معـني مخافـة الرب، التي تطرد من حياتك كل مخاوف أخرى.

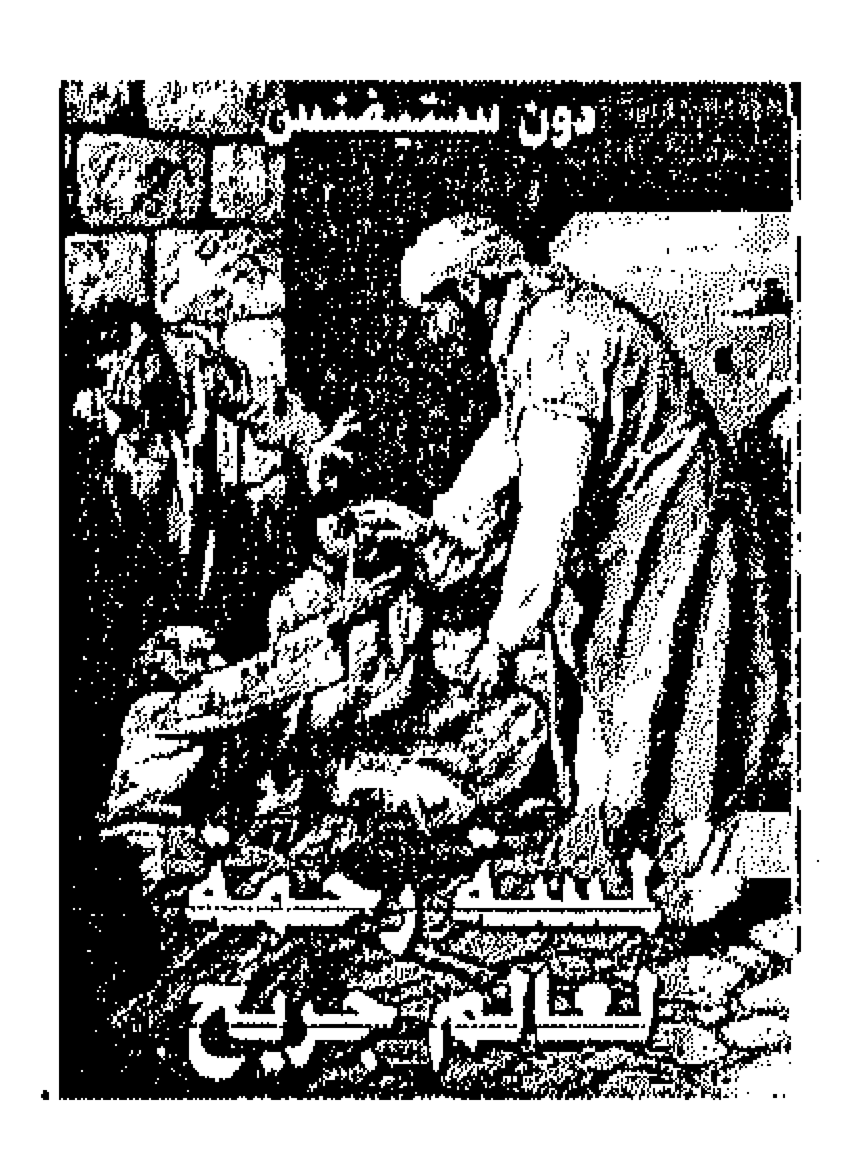
٤ جنيه ١٣٦ صفحة




## Stand Up and Fight
By Barry Austin

استخدم بـاري اوسـتن خبراتـه العمليـة لكـي يوضـح كيف علمه الله أن "يميز هجمـات الشـيطان، وكيـف ينتصر عليها"

٥ جنيه ١٥٢ صفحة




## Mandate for Mercy
By Don Stephens

كُتِبت هذه الكلمات لتمنحك نظرة مختلفة للعـالم مـن حولـك وتشـجعك لتخطـو للأمـام مـن أجـل الفقـراء والمحتاجين لكي تُظـهِر لهـم محبـة الله الفائقـة مـن خلال "خدمات الرحمة"

٥ جنيه ١٤٨ صفحة




## Walls of My Heart

By Dr. Bruce & Barbara Thompson

يقدم هذا الكتاب فكرة الشفاء، ويقود الشخص للتحرر من المشاكل النفسية. كما يهدم ما بناه الشخص حول نفسه من جدران، ليبدأ الروح القدس ببناء أسوار جديدة للخلاص والتسبيح والفرح.

٧ جنيه ٢٧٦ صفحة

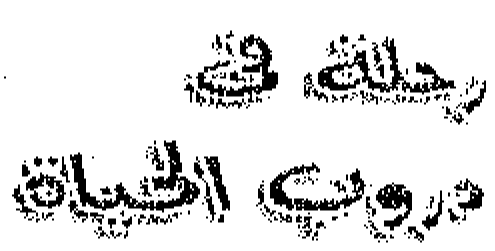


## Prayer Shield

By Dr. Peter Wagner

يقع الرعاة والخدام تحت ضغوط كثيرة، وغالبًا ما نطلب منهم أن يصلوا من أجلنا – لكن هذا الكتاب يشجعنا أن نصلي من أجل الرعاة والقادة والخدام، ولكل من يحملون مسؤولية في الكنيسة.

٦ جنيه ٢٤٠ صفحة






## Journey into Life

By Rudi Lack

يحتوي الكتاب على ٥٢ تأملاً رائعاً.تكتشف من خلال صفحات الكتاب أن يد الله تعمل في العديد من البلاد في جميع أنحاء العالم. وسوف تمجد الله من أجل صلاحه وأمانته في كل مواقف الحياة.

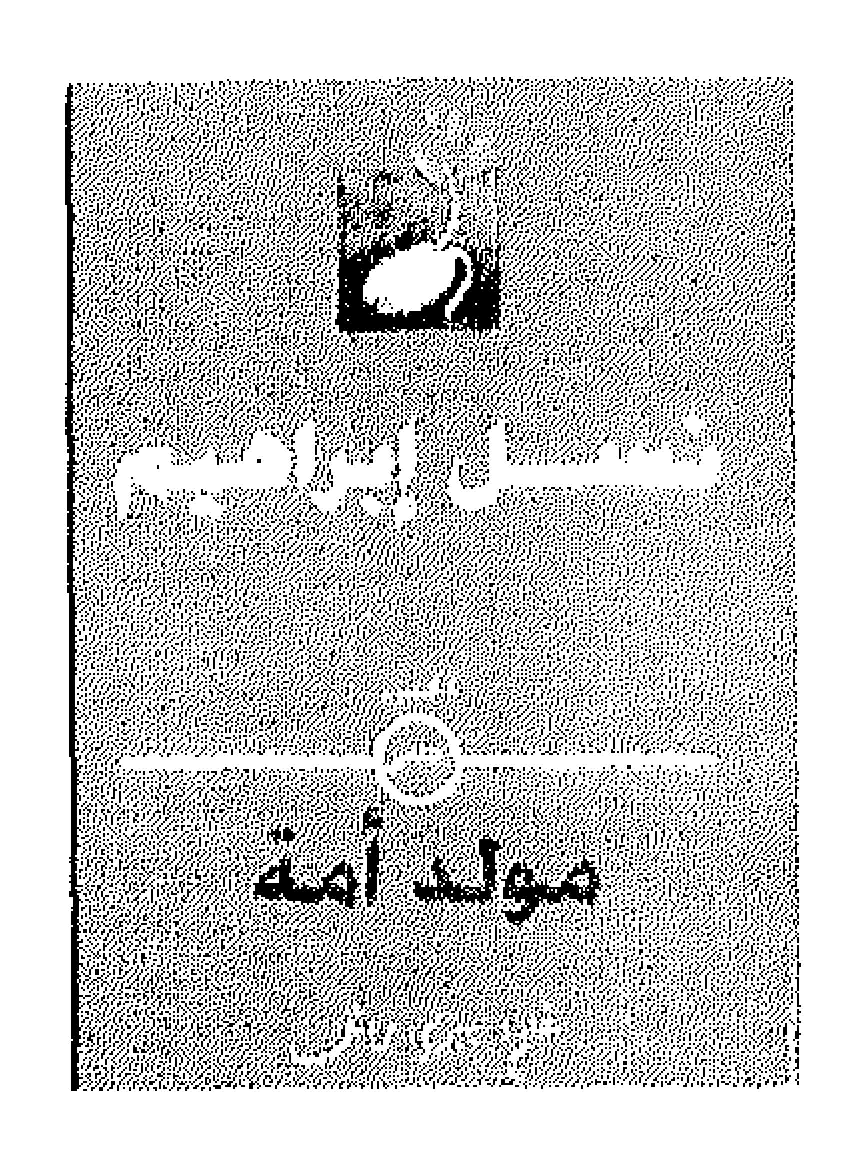
٤ جنيه ١٣٢ صفحة




**The Seed of Abraham**
**(The Family)**
By Percy Rolf

دراسة روحية تأملية رائعة في سفر التكوين لتوضيح الأحداث التي وردت حول (إبراهيم، اسحق، يعقوب ويوسف) يلقي الضوء على مقاصد الله الأبدية لخلاص كل ذرية إبراهيم الروحية.

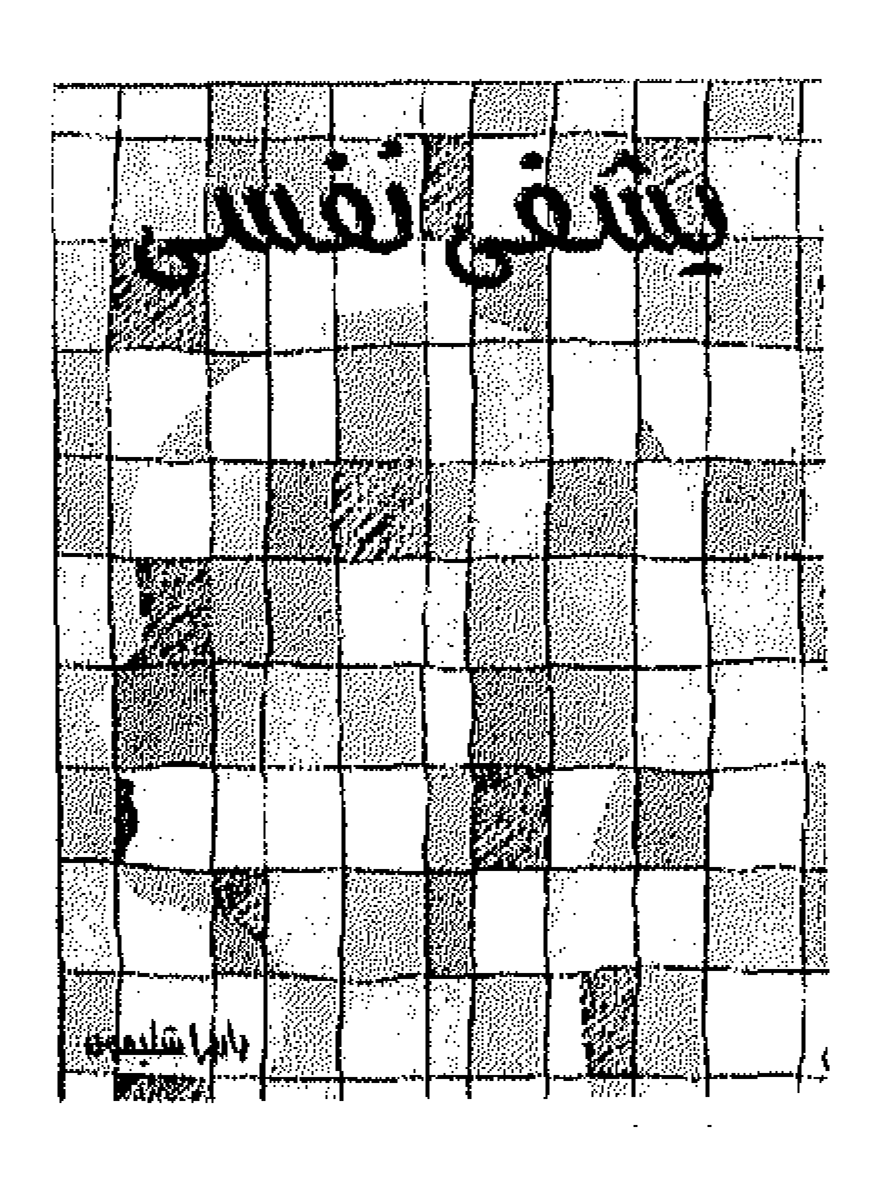
٤ جنيه ١٤٤ صفحة




**The Seed of Abraham**
**(The Birth of a Nation)**
By Percy Rolf

دراسة روحية متعمقة تبحث وتتأمل، في الأحداث المذكورة في سفر الخروج وتلقى الأضواء على فريضة الفصح والرموز الروحية التي تشير بوضوح إلى الرب يسوع "حمل الله" الذي رفع خطية العالم.

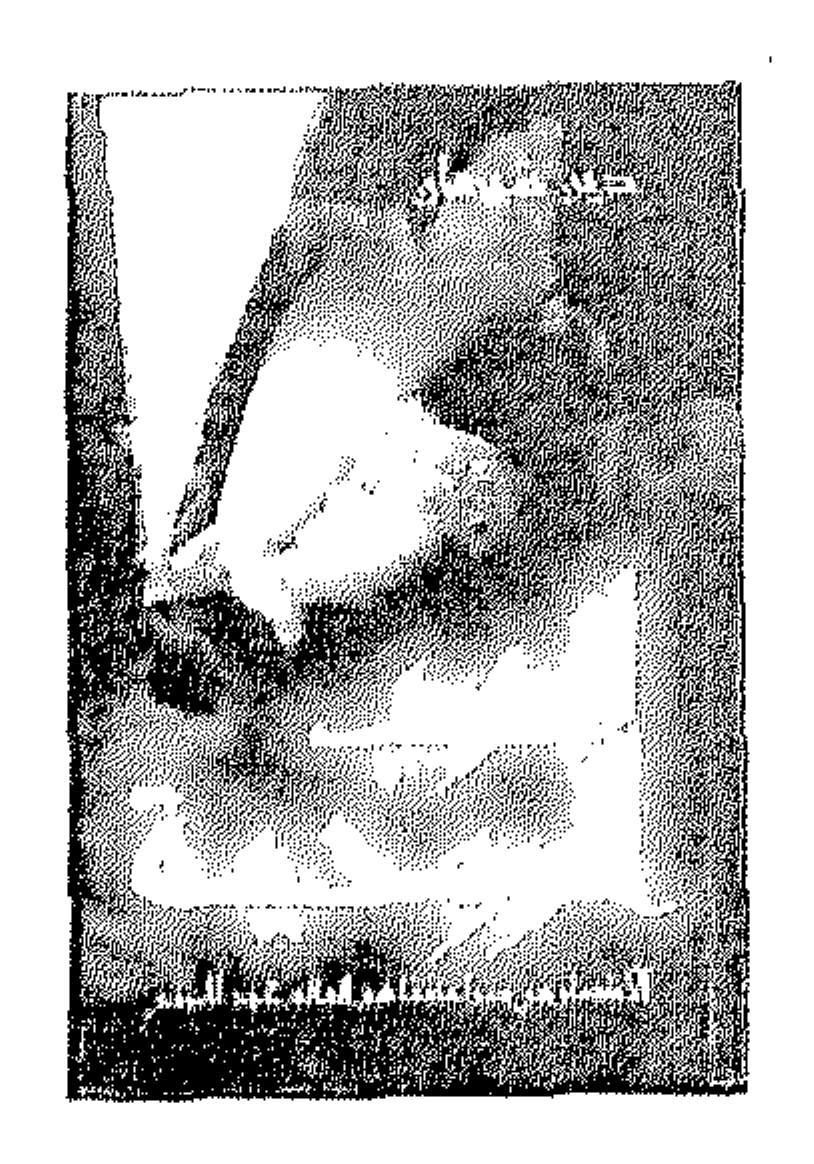
٤ جنيه ١١٢صفحة




**Healing the Hidden Self**
By Barbara Shlemon

يتكلم عن الشفاء الداخلي، ويتناول كل فصل مرحلة معينة من العمر بدءً بفترة التكوين، وحتى مرحلة النضوج، شارحاً المشاكل التي يمكن أن يواجهها المرء في كل مرحلة، وكيفية الحصول على الشفاء من نتائجها.

٣ جنيه ١٩٢صفحة



## Spiritual Warfare
By Dean Sherman

كتاب يقدم دراسة عميقة متزنة عن المواجهات والتحديات التى تقابلنا كل يوم من العالم الغير مرئى ويوضح ما ينبغي أن تكون عليه الحرب الروحية.إنه موضوع حي، متصل بواقعنا المعاصر.

٧ جنيه ٢٣٢ صفحة

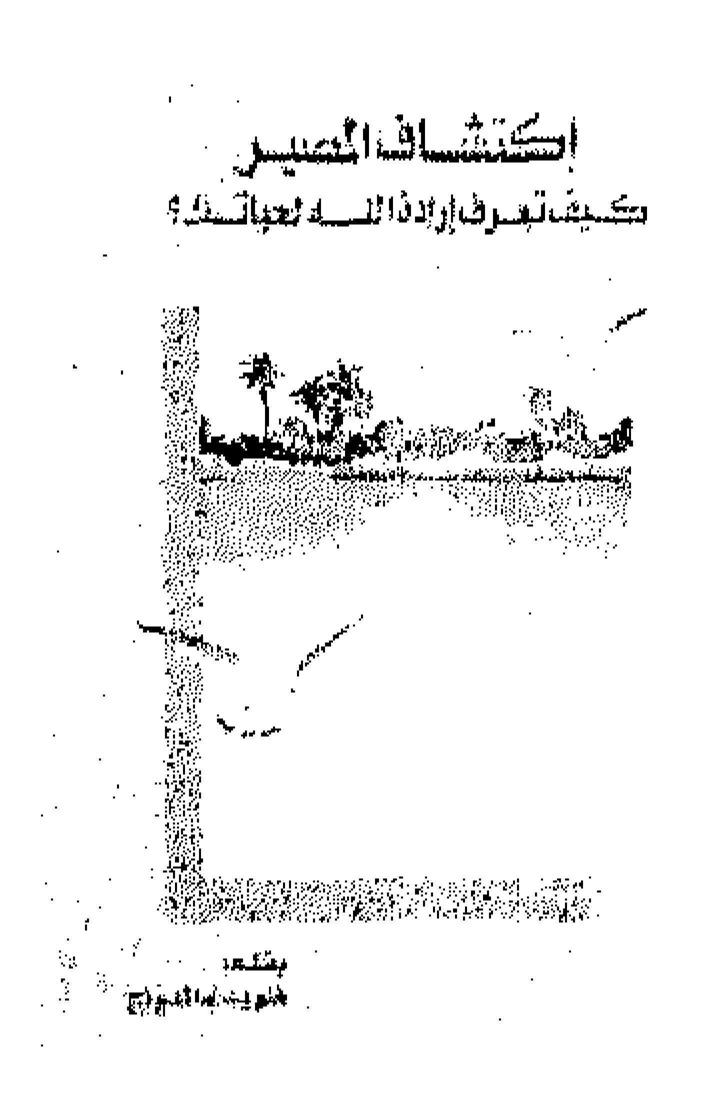


## Daring to Live on the Edge
By Loren Cunningham

يعلمنا هذا الكتاب أنه يوجد إله قادر على تسديد كل الاحتياجات بغنى

ويشجعنا أن ننطلق في مغامرة الإيمان والطاعة والسخاء، ويكشف لنا عن سر "الاقتصاد الإلهي"

٧ جنيه ٢٥٦ صفحة



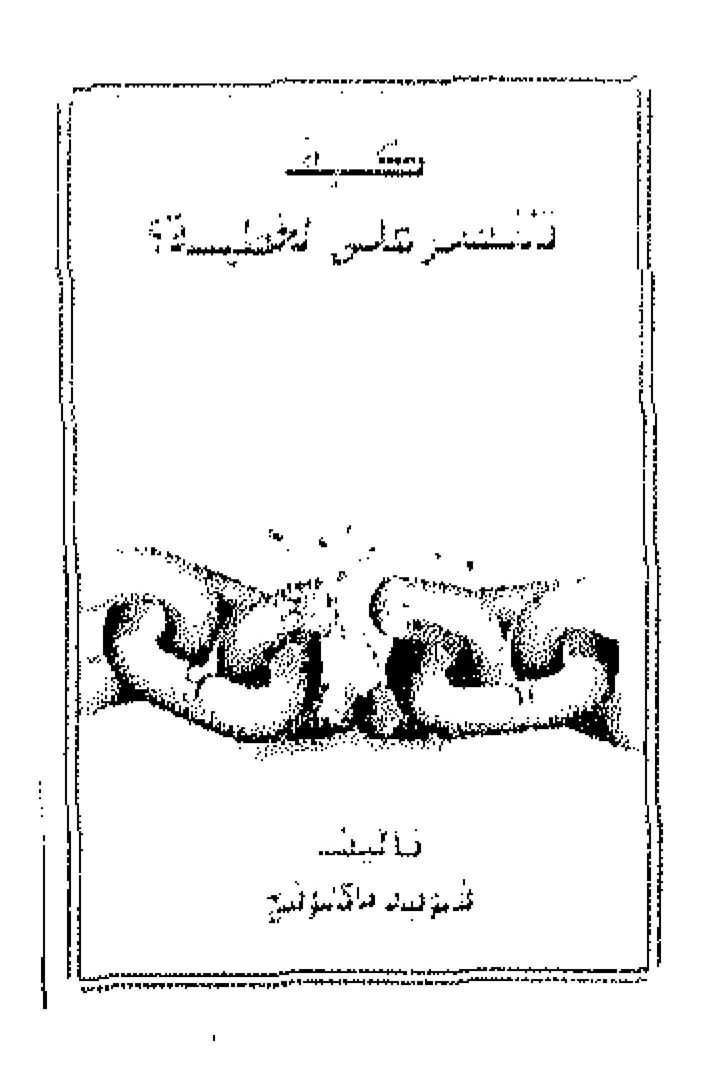

## Discovering Your Destiny
By Floyd McClung

كيف تكتشف مصيرك، وتعرف إرادة الله لحياتك؟

هناك الكثير من القرارات المهمة التي تحدد مصيرنا ومستقبلنا، ماذا أعمل، بمن أتزوج، أين أعيش؟

إنه كتيب يدربك على معرفة مشيئة الله في حياتك.

٢,٥ جنيه ٧٢ صفحة

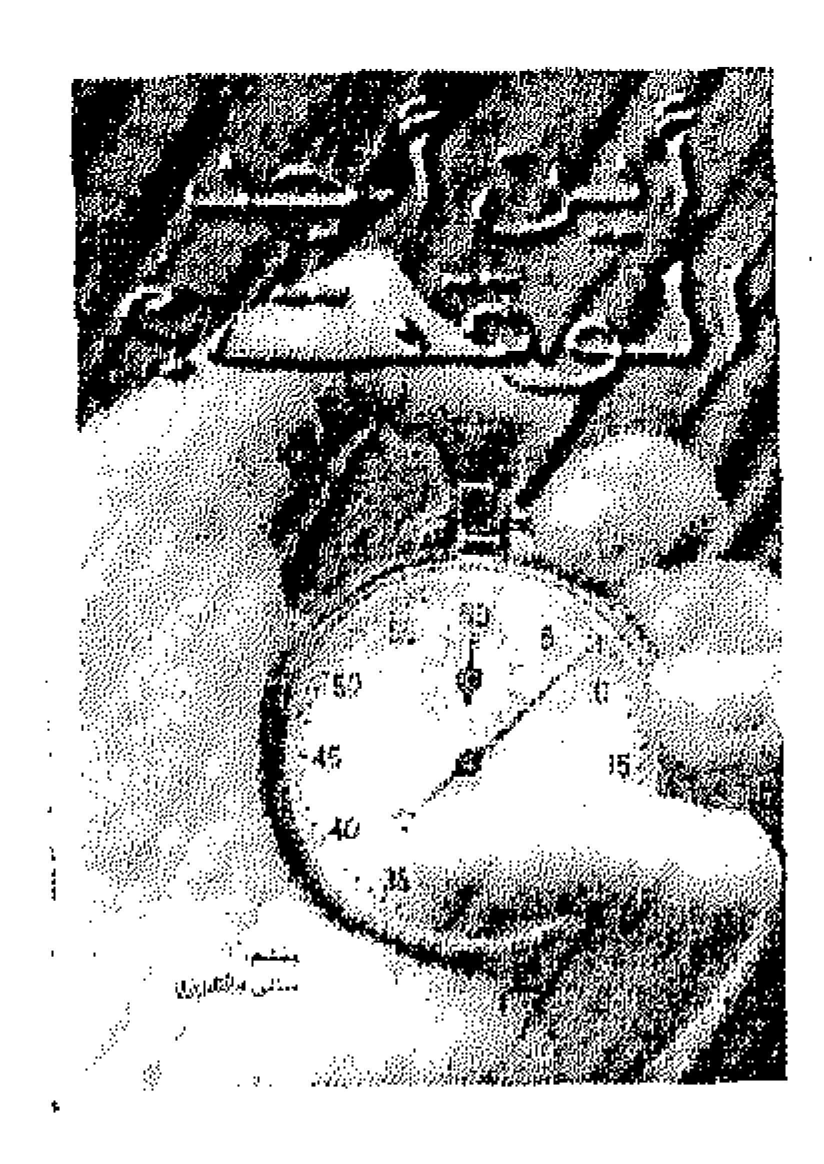


## How to Overcome Sin?

By Floyd McClung

ما هي التجربة؟ وما هي الخطية؟ وكيف تتجنبـهما؟ بين صفحات هذا الكتيب تدرك أن قوة الله أقوي من قوة الخطية وتعرف سر النصرة في الحياة المسيحية.

٢,٥ جنيه — ٨٠ صفحة



## Where will I Find the Time?

By Sally McClung

هـذا الكتـاب يضـع بـين يديـك المبـادئ الأساسـية البسيطة التي وضعها الله لكي نستمتع بكل ما وهبـه لنا.ونعرف كيف نخصص وقتاً للأسرة، وقتاً للزواج، وقتاً للصداقة، وقتاً للعمل، وقتاً للمرح، وقتاً للشفاء، وقتاً للتجديد.

٦ جنيه — ٢٠٨ صفحة




## Learning To Love People you Don`t Like

By Floyd McClung

تتعلم من هذا الكتاب كيف:

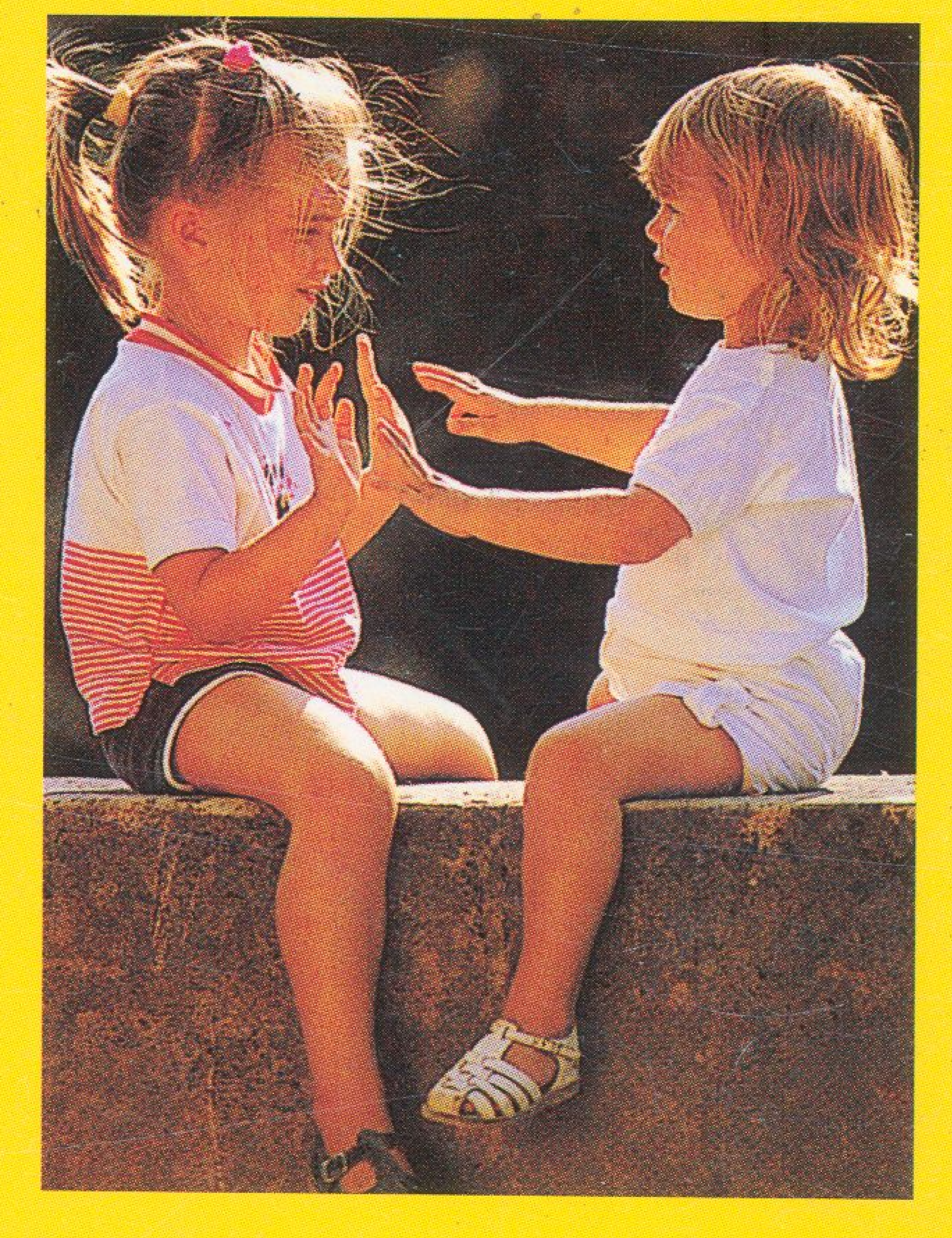
- تنتصر على الخلافات وعدم الفهم.
- تغفر للذين يسيئون إليك.
- تختبر قوة شفاء الله لجروحك القديمة.
- تبنى علاقات مبنية على الثقة والقبول.

٥ جنيه — ١٧٦ صفحة

# العلاقات الصحيحة

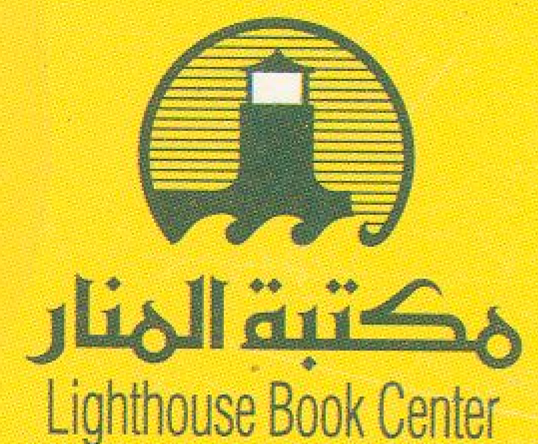
إن هذا الكتاب لا يتناول فقط طبيعة العلاقات والعناصر التى تجعلها فعالة، بل يناقش أيضاً الدافع والمحرك الكتابى المثير لإصلاح تلك العلاقات التى مضت فى طريق خاطئة.

تكمن العلاقات فى قلب الإعلان الكتابى. والاساس أن نكون على علاقة صحيحة مع الله ومع الآخرين أيضاً. وسيبين لك هذا التعليم كيف يمكن أن يصير هذا أمراً واقعاً فى دائرة خبرتك الشخصية.



توم مارشال مؤلف هذا الكتاب تنسكب الحكمة من شفتيه عندما يتحدث وتنساب مع قلمه عندما يكتب. وثمرته من كلمة الله تنتقل إ[illegible]لك لأسلوبه ال[illegible]قوى فى نفس ال[illegible]رض الحقائق ال[illegible]ية.





مكتبة المنار
Lighthouse Book Center